هذا هو الإسلام الذي قالوا عنه!!

للتعريف بحقيقة الإسلام والرد على شبهات المستشرقين

جمع وترتيب

أحمد عبد المتعال

الإصدار الثاني



للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

هذا هو الإسلام الذي قالوا عنه!!

للتعريف بحقيقة الإسلام والرد على شبهات المستشرقين

جمع وترتيب

أحمد عبد المتعال

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

بطاقة الفهرسة

اسم الكتاب : هذا هو الإسلام الذي قالوا عنه !!

المؤلف : أحمد عبد المتعال

الإصدار : الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً .

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا الله الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً (١)﴾ [النساء:١] .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران:١٠٢] .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً(٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً(٧١)﴾ [الأحزاب:٧٠ – ٧١] .

أحبتي في الله سلام الله عليكم ورحمته وبركاته أما بعد:

لا أخفي عليكم أنه كان يشغلني كثيرًا أن الناس في حاجة ماسَّة لكتاب ميسر للتعريف بحقيقة الإسلام غير المشوهة ، فملايين من المسلمين لا يعرفون الكثير عن الإسلام لانشغالهم بأمورهم الحياتية ، ولعدم تلقيهم العلم الشرعي الصافي أثناء مراحل دراستهم ، وكذا نتيجة لتضليل الإعلام الموجه لتشويه الدين الإسلامي ، بل هناك العديد من الشبهات عند كثير من المسلمين نتيجة لتواجدهم مع أصحاب الملل الأخرى ومع المرجفين من المسلمين .

والجدير بالذكرأن هناك الملايين من غير المسلمين الذين يريدون أن يعرفوا الحقيقة عن الإسلام والحضارة الإسلامية بعد أن وصلهم معلومات مشوهة

وغير صحيحة عن الإسلام والحضارة الإسلامية ، فقد بلغهم عن المسلمين أنهم شعوب همجية ، وأن الإسلام انتشر بحد السيف والقمع ، وأن الإسلام هو دين الإرهاب ، ولقد جاء الإسلام لقمع حرية المرأة . . .الخ ، إلى كل هؤلاء أقدم هذا الكتاب **هذا هو الإسلام الذي قالوا عنه!!!** .

ولقد بدأت هذا الكتاب بتنشيط عبادة التفكر والتأمل في عظيم مخلوقات الله للحث على التفكر في آيات الله الكونية والشرعية ، فهي من أعظم الأسباب التي تعين على معرفة ومحبة الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)﴾ [آل عمران:١٩٠ ، ١٩١] فكلما نظرت في شيء دلك على الله تعالى .

فيا عجبا كيف يعصى الإله ::: أم كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة وفي ::: كل تسكينة أبداً شاهد
وفي كل شيء له آية ::: تدل على أنه الواحد

ففي كل لحة ونظرة وشجرة وفي كل زهرةٍ وجبلٍ ، وفي كل تل ، آية من آيات الله ، لكننا لا نتفكر ، فكم من آية نمر عليها ولا نعتبر ، إلا من وفقه الله للتفكر: ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية:١٧ - ٢٠] .

فالسماء بغير عمدٍ ترونها ، من رفعها؟ بالكواكب من زيَّنها؟ الجبال من نصبها؟ الأرض من سطحها وذلَّلها؟ وقال: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك: ١٥] ، وصدق الشاعر حين قال:

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

لله في الآفاق آيات لعل ::: أقلها هو ما إليه هداكَ

ولعل ما في النفس من آياته ::: عجب عجاب لو ترى عيناكَ

والكون مشحون بأسرار إذا ::: حاولْتَ تفسيرًا لها أعياكَ

قل للطبيب تخطَّفته يد الردى ::: من يا طبيب بطبِّه أرْدَاكَ؟

قل للمريض نجا وعُوفيَ بعدما ::: عجزت فنون الطب من عافاكَ؟

قل للصحيح يموت لا من علة ::: من بالمنايا يا صحيح دهاكَ؟

قل للبصير وكان يحذر حفرةً ::: فهَوَى بها من ذا الذي أهواكَ؟

بل سائل الأعمى خَطَا بين الزحام ::: بلا اصطدام من يقود خطاكَ؟

قل للجنين يعيش معزولا بلا ::: راعٍ ومرعى ما الذي يرعاكَ؟

قل للوليد بكى وأجهش بالبكاء ::: لدى الولادة ما الذي أبكاكَ؟

وإذا ترى الثعبان ينفث سمَّهُ ::: فاسأله من ذا بالسموم حَشَاكَ؟

واسأله كيف تعيش يا ثعبان ::: أو تحيى وهذا السمُّ يملأ فَاكَ؟

واسأل بطون النَّحل كيف تقاطرت ::: شهدًا وقل للشهد من حلاَّكَ؟

بل سائل اللبن المُصَفَّى كان ::: بين دم وفرث ما الذي صفَّاكَ؟

وإذا رأيت الحي يخرج من ::: حَنَايا ميتٍ فاسأله من أحياكَ؟

قل للهواء تحثُّه الأيدي ويخفى ::: عن عيون الناس من أخفاكَ؟

قل للنبات يجفُّ بعد تعهُّدٍ ::: ورعاية من بالجفاف رَمَاكَ؟

وإذا رأيت النَّبت في الصحراء ::: يربو وحده فاسأله من أَرْبَاكَ؟

وإذا رأيت البدر يسري ناشرًا ::: أنواره فاسأله من أسْرَاكَ؟

واسأل شعاع الشمس يدنو وهي ::: أبعد كل شيء ما الذي أدناكَ؟

قل للمرير من الثمار من الذي ::: بالمرِّ من دون الثمار غذاكَ؟

وإذا رأيت النخل مشقوق النوى ::: فاسأله من يا نخل شقَّ نواكَ؟

وإذا رأيت النار شبَّ لهيبها ::: فاسأل لهيب النار من أوراكَ؟

وإذا ترى الجبل الأشَمَّ مناطحًا ::: قِمَمَ السَّحاب فسَلْه من أرساك؟

وإذا تـرى صـخرًا تفجـر بالميـاه ::: فسـله مـن بالمـاء شـقَّ صَـفَاكَ؟
وإذا رأيـت النهـر بالعـذب الـزُّلال ::: جـرى فسَـلْه مـن الـذي أجـراكَ؟
وإذا رأيـت البحـر بـالملح الأُجـاج ::: طغـى فسَـلْه مـن الـذي أطغـاكَ؟
وإذا رأيـت الليـل يغشـى داجيـاً ::: فاسـأله مـن يـا ليـل حـاك دجـاكَ؟
وإذا رأيـت الصـبح يسـفر ضـاحيا ::: فاسـأله مـن يـا صـبح صـاغ ضُـحَاكَ؟
هـذي العجائـب طالمـا أخـذت بـه ::: عينـاك وانفتحـت بهـا أذنـاكَ
والله فـي كـل العجائـب مبـدع ::: إن لـم تكـن لتـراه فهـو يـراكَ
يـا أيهـا الإنسـان مهـلا مـا الـذي ::: بـالله جـل جلالـه أغـراكَ؟
فاسـجد لمـولاك القـدير فإنمـا ::: لا بـد يومـا تنتهـي دنيـاكَ
وتكـون فـي يـوم القيامـة مـاثلا ::: تجـزي بمـا قـد قدمتـه يـداكَ (١٥)

فالتفكر من أعظم ما يقودك إلى توحيد الله تعالى ، وهذه عبادة الصالحين الـذين يتفكرون في الآيات البينات ، ويتفكرون في المخلوقات ، وفي عجيب صـنع رب الأرض والسماوات ، فيعودون بإيمان ويقين ، فهذا عاملٌ كبير ينبغي ألا يفـوت المؤمن ، ومن أحسن ما يتفكر فيه العبدٍ ويتـدبر آيـات الله الكونيـة والشـرعية ، قـال تعـالى: ﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَـاتٌ لِلْمُـوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِـكُمْ أَفَـلا تُبْصِرُـونَ﴾ [الذاريات:٢٠ ، ٢١] .

ثم تحدثت عن قصة البشرية ، وبعثة الرسـل وشـهادة الجميع لرسـول الله ﷺ بحسن خلقه وهديه ، وكذا الإعجاز القرآني فالقرآن هو معجـزة الله الخالـدة في أرضه ، ومن ثم فإن الإسلام هو دين الله الذي ارتضـاه الله للناس .

ثم تحدثت عن أركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان الستة ،ثم عرضـت أمـور هامة في العقيدة مثل الـولاء والـبراء ، والحكـم لا يكـون إلا لله ، ثـم عرضـت بعض الأخلاق الإسلامية والآداب الإسلامية بصورة مشوقة إن شاء الله .

ثم بفضل الله تعالى ومنِّهِ رأيت أنه من المفيد الرد على أكثر الشبهات المثارة ضد

الإسلام والحضارة الإسلامية بالأدلة والبراهين لدحض هذه الشبهات .

ولقد وضع هذا الكتاب في سعين درساً ، ويمكن رسم الخطة التى يمكن بها التعرف على حقيقة الإسلام غير المشوهة بالطريقة التى تعود عليهم بالنفع إن شاء الله في دينهم ودنياهم بدراسة ثلاثة كتب جميعهم للمؤلف كما يلي .

قراءة كتاب هذا هو الإسلام الذي قالوا عنه !!!
والذي يحتوى على سبعين درسا أولاً .

↓

ثم قراءة كتاب هيا نؤمن ساعة قبل قيام الساعة والذي يحتوى على ٧٠ لقاءً إيمانيا ، وكتاب زاد المسلم اليومي من العلم الشرعي والذي يحتوى على ٥٠١ زادا يوميا بالتناوب.

إخوتي في الله ، لا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر لأصحاب الفضل الذين أحبهم في الله تعالى ، والذين قدموا لي يد المساعدة في إعداد هذا الكتاب عملًا بحديث رَسُولِ اللهِ ﷺ : «مَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ اللهَ»[1] .

وأخص بالذكر شيخنا الجليل أبا داود الدمياطي يحيى حزة ، المحدث ، الفقيه ، فلقد تعلمت منه الكثير ومازلت أتعلم منه ، أسأل الله تعالى أن ينفع به الإسلام والمسلمين ، والأخ الفاضل المدرس المساعد أحمد محمود الجبة بكلية اللغة العربية بالقاهرة على مراجعته للكتاب لغويًا ، ومدرس اللغة العربية الأستاذ الفاضل عبد المحسن رجب التوارجي على قيامه بمراجعة جزء من الكتاب لغويا ، والأخ العزيز مجاهد عبد القوى مجاهد على تعاونه المثمر البناء ، وكل من قدم لي يد المعاونة في اعداد هذا الكتاب ، ولا أستطيع أن أكافيء أصحاب الفضل إلا أن أقول لهم جزاكم الله خيرا ؛ لقول

---

(١) (صحيح) أخرجه (حم ت الضياء) وصححه الألباني في ص .ج ٦٥٤١ .

النبي ﷺ : «**مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ : جَزَاكَ اللهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ**» [(١)] .

أحبتي في الله ، إن كان ثمة تقصير في هذا الكتاب فمن نفسي ، ولا أستطيع أن أبرر ذلك إلا أن أقول ما قاله العماد الأصفهاني: إني رأيت أنه لا يكتب أحد كتابا في يومه إلا قال في غده:

لو غير هذا لكان أحسن :::ولو زيد هذا لكان أحسن

ولو قدم هذا لكان أفضل:::ولو ترك هذا لكان أجمل

وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر ، اهـ ، وفقنا الله وإياكم لطاعته والعمل بكتابه وسنة رسوله ﷺ .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

كتبه الراجي عفو ربه

أحمد عبد المتعال

١٦ ربيع الأول ١٤٣٦هـ

❊ ❊ ❊

---

(١) **(صحيح)** أخرجه (ت) وصححه الألباني في ص . ج ٦٣٦٨ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

١- دعوة للتفكر في خلق السموات والأرض وآية الليل والنهار

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع ما قاله أول رائد فضاء يصعد إلى القمر ، إنه رائد الفضاء السوفيتي الملحد ، فعندما أصبح حول الأرض ونظر من نافذة مركبته فرأى بديع خلق الله في السماوات والأرض ، فقال: ماذا أرى؟! أنا في حلم أم سُحِرَت عيناي ، ثم يقول: في الفضاء يحل الليل بصورة مفاجئة ، وبسرعة تقطع الأنفاس ، وتعمى العيون بلا تدرج كما هو الحال على الأرض ، وليل الفضاء الخارجي من أشد الأشياء السوداء التي رأيتها في حياتي ، يقول: ثم تظهر الشمس فجأة ، وتلمع كأنها ضوء صاعقة مبدّدة خلال ثوانٍ في وسط الليل الحالك ، فلا تدرج في الفضاء ، بل ثوان وأنت في ليل مظلم في أَحْلَك الظلمات ، وثوان أخرى وأنت في نهار ساطع النور وهاج يبدد الظلمات .

فيا لها من نعمة ، نعمة الشروق والغروب ، والليل والنهار ، التي أقسم الله ﷻ بها في عدة آيات فقال: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ (٤٠) عَلَى أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ(٤١) ﴾ [المعارج:٤٠ - ٤١] ، وقال: ﴿ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) ﴾ [الشمس:٣ - ٤] ، ولك أن تتأمل مرة أخرى ، في قائل هذه الكلمات الشيوعي الملحد ؛ فالبرغم من بديع ما رأى خلال دورانه حول الأرض إلاّ أنه لم يَرِد على لسانه سوى الذُّهول أمام عظمة الكون ، ثم السكوت المطلق عن خالق الكون ومبدعه ، واستحقاقه للعبادة وحده لا شريك له ، فسبحان الله! ﴿ مَن يُضْلِلِ اللهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨٦) ﴾ [الأعراف:١٨٦] ﴿ إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) ﴾ [العاديات:٦] ، ﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ [إبراهيم:٣٤] .

إخوتي في الله ، لو تفكرنا في الأشياء من حولنا ، سنستدل بهذا الجزء القليل على الكثير ، مثل التفكر في السماوات والأرض ، وكم فيها من عبر ! وكم فيها من أسرار ! وكم فيها من مواطن الإعجاز ! والتفكر في الشمس والقمر والليل والنهار والأرض والجبال ، وكذا التفكر في الكائنات الحية من حولنا ، وأيضا التفكر في أنفسنا ، أشياء وأشياء يمكن التفكر فيها ، والغرض من هذا التفكر أن نصل إلى الغاية ، وهي معرفة خالق هذه الأشياء .

تأمل – أخي في الله – تعاقب الليل والنهار بصورة معتدلة ، وتفاوت الليل عن النهار ، وكلٍ عن مثله ، فلا ليل يشبه ليلا ، ولا نهار يشبه نهارًا منذ خلق الله الخلق وحتى قيام الساعة ، إن ذلك من أعجب وأبدع آيات الله الدالة على ربوبيته وألوهيته وحكمته ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْل وَالنَّهَار﴾ [فصلت:٣٧] ، ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُوراً (٦٢) ﴾ [الفرقان:٦٢] .

إن تعاقب الليل والنهار نعمة عظيمة ؛ إذ هي تنظم وجود الأحياء على الأرض ، من نمو النبات ، وتفتُّحُ الأزهار ، ونضج الثِّمار ، وهجرة الطيور والأسماك والحشرات ، ومن شاء فليتصور ليلا بلا نهار ، أو نهارًا بلا ليل ، كيف تكون الحياة؟ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ الله عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ الله يَأْتِيكُم بِضِيَاء أَفَلَا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ الله عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ الله يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ(٧٢) ﴾ [القصص:٧١ – ٧٢] ، أما إنها لو سكنت حركة الشمس لغرق نصف الأرض في ليل سرمدي ، وغرق نصفها الآخر في نهار سرمدي ، وتعطلت مع ذلك مصالح ومنافع ، ومن عاش في المناطق القطبية بعض الوقت عرف نعمة تعاقب الليل والنهار ؛ إذ يبقى النهار لمدة ستة أشهر ، والليل كذلك ، ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ(٧٣) ﴾ [القصص:٧٣] .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

قال أحد علماء الفلك الكفار عندما نظر إلى السماء من خلال منظار بَنَاه بنفسه ، فرأى ما أذهله في هذا الكون : إن الإنسانية لن تنتهي من اكتشاف أسرار الكون ، ولن تعرف من الكون إلا مقدار ما نعرفه من نقطة ماء في محيط عظيم . فهل آمن مع ذلك وصدَّق؟ لا ، وصدق الله ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧] .

وقال آخر أيضًا: إن وضع الأجرام السماوية ليس مجرد مصادفة وعشوائية ، بل هي موضوعة في الفضاء بدقَّة وإتقان ؛ إذ أن القمر لو اقترب من الأرض بمقدار ربع المسافة التي تفصلنا عنه لأغرق مدُّ البحر الأرض كلها ، وما علاقة القمر بالبحر؟! الله يعلمها الذي قال وصدق: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] .

يقول أحد كبار علماء الفلك وهو يهودي: أريد أن أعرف كيف خلق الله الكون ، أريد أن أعرف أفكاره ، الله بارع حاذق ليس بشرِّير ، الله لا يلعب بالنرد مع الكون ، تعالى الله ، وجلَّ الله ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللهِ تُنكِرُونَ﴾ [غافر: ٨١] فكيف لو إطلع على ما جاء في القرآن ، لربما كان من المؤمنين حقًا . نعم ، الله لا يلعب مع الكون ، ﷻ ، فهو القائل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ(١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ(١٨)﴾ [الأنبياء: ١٦ – ١٨] .

معاشر الإخوة ، ما الأرض بالنسبة للكون إلا كحبة رمل في صحراء عظيمة تسير في مسار حول الشمس دون أن يصطدم بها ملايين النجوم ، والكواكب المنتشرة في الكون ، ولا يزال علماء الفلك يكتشفون من خلال تجاربهم ومراصدهم ومناظيرهم كل يوم ما يدهش العقول في هذا الكون الفسيح ، فمنهم من رأى المجرات الصغيرة وهي تتألف من عشرة ملايين نجم قد عُرِف منها ما عُرِف ، نعم ، لقد رأى مجرتنا درب التبانة ، وقد تألَّفت من مائة

مليار نجم ، قد عُرِف منها الشمس ، وتبدو هذه المجموعة كقُرص قُطره تسعون ألف سنة ضوئية ، وسمكه خمسة آلاف سنة ضوئية ، ومع هذا البعد الشاسع فإن ضوء الشمس يصلنا في لحظات ، وكذلك نور القمر . بل قد رأى هناك مجرات تكبرها بعشرات المرات ، أحصى منها مائة مليار مجرة تجري ، كلها في نظام دقيق بسرعة هائلة ، كلٌ في مساره الخاص دون اصطدام ، كل يجري لأجل ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاء بُرُوجاً وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُّنِيراً﴾ [الفرقان: ٦١] ، هذا الذي رآه ، وما لم يره أكثر ، فقد قال الله ﷻ : ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ(٣٩)﴾ [الحاقة: ٣٨ - ٣٩] .

والله عز وجل ما خلق السماوات والأرض عبثا ، بل خلقهما لحكمة بالغة ، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص:٢٧] .

أخي في الله ، لو كان في السماوات والأرض آلهة غير الله سبحانه وتعالى تدبر شؤونهما ، لاختلَّ نظامهما ، فتنزَّه الله رب العرش ، وتقدَّس عَمَّا يصفه الجاحدون الكافرون ، من الكذب والافتراء وكل نقص (٥٩) .

وصدق الله تعالى حين قال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا الله لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ الله رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢] ، وصدق الشاعر حين قال:

فيا عجبا كيف يعصى الإله ::: أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة وفي ::: كل تسكينة أبداً شاهد

وفي كل شيء له آية ::: تدل على أنه الواحد

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٢- دعوة للتفكر في عجائب البحار

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هـادي لـه ، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع الحوت الأزرق الذي يصل طولها إلى ثلاثين مترا ويزن ٢٠٠ طن ، ويسبح بسرعة ٤٠ كيلومتر في الساعة ، ويأكل ما بين ٣ إلى ٤ في المائة من وزنه أي حوالي ٨طن في اليوم الواحد فمن يستطيع أن يوفر غذاء أحد الحيتان ، إنه الله القائل : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (هود)﴾ [هود:٦] .

والحيتان مثل بقية الثدييات تلد صغارًا تتغذى بالحليب الذي تدره الأم ، بينما يبيض معظم السمك ولا يقوم بتغذية الصغار بعد الفَقْس ، وأنثى حوت العنبر تحمل صغيرها لمدة ١٦ شهرًا ، ويبلغ وزن وليد الحوت الأزرق نحو ١,٨ طن عند ولادته ويبلغ طوله سبعة أمتار ، والحوت الأم شديدة الحرص على صغيرها ؛ فتظل ترعاه عـام على الأقل بعد ولادته ، وترضع الحيتان صغارهن كبقية الثدييات وعمر الحوت الأزرق حوالي ٦٠ عامًا .

إخوتي في الله ، عجائب البحار لا تعد ولا تحصى نذكر فقط في هذا المقام السمك الطائر وهو نوع من الاسماك يقذف نفسة من الماء بحركة من ذيلة القوى وينزلق فى الهواء حيث يمد زعانفه الكبيرة التي تعمل كجناحين ، ولكى يطير يهز السمك الطيار ذيلة بسرعة فيغطس الجزء الاسفل من زعنفة الذيل في الماء ويخرج منة فيساعد السمك على الارتفاع في الهواء ويستخدم السمك الطيار اربعة زعانف كبيرة للطيران وهذا النوع من الأسماك يستخدم أجنحته للهروب من الأعداء الذين يطاردونه في البحار وعلى رأسهم الأخطبوط ، ويبلغ متوسط طولة ٤٥ سم و يطير مدة تقرب من ٤٥ ثانية بعدها يدخل الماء

للحصول على الأكسجين ، ويعيش فى البحار الدافئة مثل البحر الابيض ، فمن هيأ هذه الأسماك للطيران أهي الطبيعة أم الله جل وعلا الذي قال : ﴿ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ [طه:٥٠] (٧٠) .

أحبتي في الله ، هناك أسماك تعيش في المياه المالحة وأسماك تعيش في المياه العذبة ومع ذلك فيوجد أسماك تعيش في المياه المالحة والمياة العذبة مثل: سمكة الحنشان فهي تعيش في البحيرات الشمالية في مصر وتقضى حياتها في المياه العذبة وفى مياه البحر ، وبعد فترة تصل من ٤-١٠ سنوات من بقائها في المياه العذبة تستعد للهجرة آلاف الكيلومترات حيث تخرج في الليال المظلمة وتتحرك الى جبل طارق ثم إلى المحيط الأطلنطي منتقله الى بحر السرجاسو و تقوم الآباء بالتلقيح وتموت بعد التلقيح مباشرة ، وتفرخ هذه الاسماك في شهر فبراير من كل عام على عمق ٤٠٠ متر تحت سطح البحر في منطقه بحر السرجاسو في المحيط الأطلنطي حيث تقوم الإناث بإلقاء بويضتها على هذا العمق وبعد ذلك تصعد البويضات لسطح الماء وتفقس خلال ٢٤ ساعه من وضع البيض ، ويحمل تيار الخليج الدافئ هذه اليرقات في رحله تستغرق ٢٢ شهرا حتى تصل الى الرصيف القاري لأوربا على المحيط وعند وصول اليرقات الى مدخل البحر الابيض المتوسط تتحول الى يرقه دوديه شفافة تعرف باسم الحنشان الزجاجية وتدخل الأنهار والبحيرات في اتجاه مضاد للتيار للبحث عن الغذاء وتصل أحجامها من ٥:٧ سم في عمر ٣ سنوات بعدها تتحول للون الرمادي الداكن المائل للاصفرار ثم تستقر بعد ذلك في البحيرات لفتره ٤ : ١٠ سنوات ، ثم تتكرر دورة التكاثر من جديد فمن هداها لذلك: ﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) ﴾ [النمل :٦٣] .

أخي الحبيب ، تأمل معي مرة أخرى كيف مد الله البحار ، وخلطها ، وجعل مع ذلك بينه حاجزاً ومكاناً محفوظاً ، فلا تبغي محتويات بحر على بحر ، ولا خصائص بحرٍ على آخر عندما يلتقيان ، ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُوْلِي النُّهَى ﴾

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

[طه:٥٤] ، في إيران أنهار عندما تلتقي بمياه البحر ترجع مياهها عائدة إلى مجاريها التي جاءت منها ، ونهر الأمازون يجعل مياه المحيط الأطلسي عذبة لمئات الكيلو مترات من مصبه فيه فلا يختلط بمياه المحيط الأطلسي ، وتلتقي مياه المحيط الأطلسي بمياه البحر الأبيض فتبقى مياه البحر الأبيض أسفل لثقلها ولكثرة ملحها وتعلو مياه المحيط لخفتها ، وكذلك لا تختلط مياه البحر الأسود بمياه البحر الأبيض عندما تلتقي بل تشكل مجريين متلاصقين فوق بعضهما البعض ، فمياه الأسود تجري في الأعلى نحو مياه البحر الأبيض لأنها أخف ، ومياه البحر الأبيض تجري في الأسفل لأنها أثقل فتجري نحو البحر الأسود ، فتبارك الذي قال ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَحِجْراً مَّحْجُورا (٥٣) ﴾ [الفرقان:٥٣] .

معاشر الإخوة ، سأل رجل أحد السلف عن الله ، قال له : ألم تركب البحر؟ ، قال: بلى ، قال فهل حدث لك مرة أن هاجت بكم الريح عاصفة قال: نعم ، قال وانقطع أملك من الملاحين ووسائل النجاة ، قال: نعم ، قال فهل خطر ببالك وانقدح في نفسك بأن هناك من يستطيع أن ينجيك إن شاء ، قال: نعم ، قال فذاك هو الله لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً الذي قال في كتابه ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنِّ مِنَ الشَّاكِرِينَ(٢٢) فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَينَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ(٢٣) ﴾ [يونس:٢٢ - ٢٣] (٥٩) .

إخوتي في الله ، عجائب البحر أعظم من أن يحصيها أحد إلا الله ، كشف علماء البحار من النصف الثاني من القرن العشرين أن في البحار أمواجاً عاتية دهماء مظلمة حالكة ، إذا أخرج المرء يده لم يكد يراها فعلى عمق ستين متراً

عن سطح البحر يصبح كل شيء مظلماً في البحار ، بمعنى أننا لا نستطيع رؤية الأشياء في أعماق تبعد ستين متراً عن سطح البحر ، ولذلك زود الله الأحياء البحرية التي تعيش في أعماق البحار اللجية بنور تولده لنفسها ومن لم يجعل الله له نوراً في تلك الظلمات فما له من نور ، نسي هؤلاء المكتشفون أن الله ذكر تلك الظلمات في قوله قبل أن يخلقوا وآباؤهم وأجدادهم ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ(٤٠)﴾ [النور:٤٠] تُرْجِمَ معنى هذه الآية لعالم من علماء البحار أفنى عمره في ذلك ، وظن أنه على شيء وأنه اكتشف شيئا ، وجاء بشيء فيه إبداع ، فقال في دهشة بعد ترجمة الآية: إن هذا ليس من عند محمد الذي عاش حياته في الصحراء ، ولم يعاين البحر ولججه وظلماته وأمواجه وشعبه ، إن هذا من عند عليم خبير ثم شهد شهادة الحق ودخل في دين الله ، نعم لا يملك إلا ذلك ، من وصف الظلمات في قعر البحار سوى الله العليم الباري ، سبحانه ملكاً على العرش استوى وحوى جميع المُلْكِ والسلطان ، لا إله إلا الله كيف تعمى العيون وتعمى القلوب عن آيات الله ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ الله قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢] (٥٩) ، وصدق القائل :

فيا عجبا كيف يعصى الإله ::: أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة وفي ::: كل تسكينة أبداً شاهد

وفي كل شيء له آية ::: تدل على أنه الواحد

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٣- دعوة للتفكر في هذا الكون العظيم

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع حقيقة علمية عظيمة يتحدث عنها القرآن الكريم قبل ألف وأربعمائة عام ، يقول المهندس عبد الدائم الكحيل: منذ بداية القرن العشرين بدأ العلماء يلاحظون أن القشرة الأرضية مع الطبقة التي تليها ، ليست قطعة واحدة ، بل مقسَّمة إلى ألواح ، وتفصل بين هذه الألواح شقوق تمتد لآلاف الكيلومترات ، وبدأوا يرسمون الخرائط الخاصة بشبكة الشقوق أو الصدوع والتي توضح هذه الألواح .

ولكن الذي يثير العجب أنهم اكتشفوا صدعاً ضخماً ، فقد اكتشف العلماء صدعاً يمتد لأكثر من ٤٠ ألف كيلو متر ، وأسموه حلقة النار ، هذه الحلقة موجودة في قاع المحيط الهادئ وتمتد على طول الساحل الغربي لأمريكا مروراً بألاسكا ثم اليابان والفيلبين وأندونيسيا ثم جزر المحيط الهادي الجنوبية الغربية ثم نيوزيلندا ، ووجدوا أن النشاط الزلزالي في هذه الحلقة ينتج عن اصطدام الألواح الأرضية بعضها ببعض ، ويؤكد العلماء أن ٩٠ بالمئة من براكين العالم وزلازل تتركز في هذه الحلقة (حسب وكالة الجيولوجيا الأمريكية) .

والله تعالى يخبرنا بهذا الصدع منذ أربعة عشر قرنا من الزمان ، قال الله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴾ [الطارق: ١٢ - ١٣] ، هذه آية عظيمة حيث يُقسم الله تعالى بالأرض وبظاهرة جيولوجية عظيمة وهي (الصدع) ، وهذا دليل واضح على أن كتاب الله ليس بكلام بشر وهو القرآن الكريم ، بل هو قول فصل أنزله الذي يعلم أسرار السماوات الأرض .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

أخي في الله ، تأمل هذه الأرض بينما هي هادئة ساكنة وادعة ؛ مهاد وفراش ، قرار وذلول ، خاشعة ، إذا بها تهتز ، تتحرك ، تثور ، تتفجر ، تدمّر ، تبتلع ، تتصدع ، زلازل ، خَسْف ، براكين ، تجدها آية من آيات الله ، وكم لله من آية يخوف الله بها عباده لعلَّهم يرجعون! ، وهي مع ذلك جزاء لمن حقَّ عليه القول . وهي أيضًا تذكير بأهوال الفزع الأكبر ، يوم يُبعثون ويُحشرون ، وعندها لا ينفع مال ولا بنون ، يذكر صاحب علوم الأرض القرآنية أنه قبل حوالي خمسة قرون ضرب زلزال شمال الصين عشر ثوان فقط ، هلك بسببه أربعمائة وثلاثون ألف شخص ، وقبل ثلاثة قرون ضرب زلزال مدينة لشبونة في البرتغال لعدة ثوان ، هلك فيه ستمائة ألف ، وشعر الناس برعب وهَلَع وجزع إثر ارتجاج الأرض تحت أقدامهم على مساحة ملايين الأميال ، فنعوذ بالله أن نُغْتَال من تحتنا .

فإلى أولي الألباب ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاء أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ(١٦) ﴾ [الملك: ١٦]، انفجرت جزيرة كاراكات في المحيط الهندي قبل قرن ، فسُمِع الانفجار إلى مسافة خمسة آلاف كيلو متر ، وسجلته آلات الرصد في العالم ، وتحولت معه في ثوان جزيرة حجمها عشرون كيلو مترًا مربعًا إلى قطع نثرها الانفجار على مساحة مليون كيلو متر مربع ، وارتفعت أعمدة الدخان والرَّماد إلى خمسة وثلاثين كيلو متر في الفضاء ، وأظلمت السماء على مساحة مئات الكيلو مترات حاجبة نور الشمس لمدة سنتين ، وارتفعت أمواج البحر إلى علوّ ثلاثين مترًا ، فأغرقت ستة وثلاثين ألف نسمة من سكان جاوا وسومطره ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ﴾ [المدثر:٣١] ، فعجبًا للإنسان يسمع ويرى آيات الله من زلازل وبراكين وأعاصير وأوبئة تحصد الآلاف في ثوان فلا يتفكر ولا يتدبر ولا يُقدِّر الله حق قدره بل يُعيد ذلك أحياناً إلى الطبيعة في بلادة وبلاهة لا مثيل لها ﴿ وَمَا قَدَرُوا الله حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

يُشْرِكُونَ(٦٧)﴾ [الزمر: ٦٧]، وهناك آيات كثيرة أودعها الله في هـذه الأرض وسخرها لنا لنكتشفها ونزداد إيماناً ويقيناً بهذا الخالق العظيم، ولتكون وسيلة نرى من خلالها قدرة الله لنكون مـن المـوقنين، يقـول تبـارك وتعـالى في محكـم الـذكر: ﴿ **وَفِي الْأَرْضِ آَيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠)** ﴾ [الـذاريات: ٢٠ - ٢٣]، هـذه آيات عظيمة يحدثنا فيها تبارك وتعالى عن آياتـه في هـذه الأرض وفي الأنفـس، فالأرض التي خلقها الله تعالى لنا هيأها بصورة مناسبة للحياة، فلو كانت الكرة الأرضية التي نعيش عليها وهي تبعد بحدود مئة وخمسين مليون كيلـو مـتر عـن الشمس، لو كانت أبعد بقليل من هذه المسافة عـن الشـمس لتجمـدت الحيـاة على الأرض، ولو كانت أقرب أيضاً بقليل من الشمس لاحترقـت المخلوقـات على وجه الأرض.

فـالله تبـارك وتعـالى جعـل هـذه الأرض في مـدارها الصـحيح والمناسـب للحياة، والعلماء اليوم يقولون بالحرف الواحـد: إن هـذه الأرض وُضـعت في المـدار الصحيح، والقابل للحياة، ولولا ذلك لم تظهر الحياة على ظهرها أبداً.

ولو أن هذه الأرض كانت بطيئة في دورانها، مـاذا حـدث؟ نحـن نعلـم أن دوران الأرض حول نفسها في مواجهة الشمس يولد الليل والنهار، فلو كانـت الأرض أبطأ مما عليه اليوم، لامتد الليل طويلاً، ربما لأشهر أو لسنوات وامتـد النهار طويلاً أيضاً، ولكن الله تبارك وتعالى الذي جعـل الليـل لباسـاً والنهـار معاشاً جعل مدة دوران الأرض حول نفسها هو بحدود ٢٤ ساعة، وهذه المـدة مناسبة لتركيبة جسم الإنسان، فالإنسان لا يستطيع أن ينام أكثر من ٧ أو ٨ أو ٩ ساعات، ولذلك فإن الله تبارك وتعالى جعل الليل، وجعل النهار، مـدتهما مناسبة لحجم وعمر وحركة هذا الإنسـان، وهـذه نعمـة مـن نعــم الله تبـارك وتعالى الكـثيرة والـتي قـال فيهـا: ﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ** ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، فهذا هـو حـال الإنسـان.. دائمـاً يظلـم نفسـه ويكفر بنعم الله تبارك وتعالى التي أنعمها عليه.

إخوتي في الله ، إذا نظرنا إلى سطح القمر مثلاً ، نلاحظ أنه مليء بالفوهات البركانية ، وبالحفر التي أحدثتها الزلازل والنيازك التي ضربته لبلايين السنين ، فإذا نظرنا إلى القمر نرى أنه غير مسطح وغير ممهد وغير صالح للحياة أصلاً ، فلا يمكن إنشاء وإعمار الحياة على ظهر القمر ، وأن الأرض هي الكوكب الوحيد الذي إذا وقفت على ظهره لا تشعر بأي انحناء أو أي خلل ، بل تراه مسطحاً وممهداً ومفروشاً أمامك ، لذلك قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨] ، وقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ(١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (٢٠)﴾ [الغاشية:١٧ - ٢٠] .

الإخوة الأعزاء ، يقول الدكتور يحيى المحجرى في كتاب آيات قرآنية في مشكاة العلم أن أهم اكتشاف عام ١٩٢٩ هو إكتشاف هابل اكتشف أن كل المجرات في ابتعاد مستمر عن بعضها بسرعات هائلة قد تصل في بعض الأحيان إلى كسور من سرعة الضوء وكذلك بالنسبة لنا فكل المجرات التى نراها حولنا - ما عدا الأندروميدا وبعض المجرات الأخرى القريبة - في ابتعاد مستمر عنا ، ولنا الآن أن نتساءل عن معنى هذا الاكتشاف ، إذا كانت وحدات الكون كلها في ابتعاد مستمر عن بعضها فإن ذلك لا يعنى إلا شيئا واحدا وهو أن الكون في تمدد حجمي أو اتساع مستمر مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧] ، وصدق الشاعر حين قال:

فيا عجبا كيف يعصى الإله ::: أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة وفي ::: كل تسكينة أبداً شاهد

وفي كل شيء له آية ::: تدل على أنه الواحد

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

٤- دعوة للتفكر في خلق الإنسان

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع التفكر في خلق هذا الكائن العظيم إنه الإنسان ، فحينما يتأمل الإنسان على ما جاء في القرآن الكريم يجد الكثير من الآيات القرآنية التي تكلمت عن خلق الإنسان بل سيجد العجب العجاب ، ويجد فعلاً عظمة الله تعالى في خلق هذا الإنسان ، هذا المخلوق العجيب ، من يتصور أيها الفضلاء! أننا نحن هذا الكائن الغريب؟! هذه الأجسام العظيمة ، هذه العقول ، هؤلاء البشر الذين يمشون على الأرض من يتصور أن أصل هؤلاء جميعاً هو من نطفة؟! بل من نطفة قذرة يتقذر الإنسان منها لو رآها على ثوبه ، لو وقعت على ملابسه لتقزز الإنسان منها ، ولقد جاء في القرآن الكريم أن الإنسان خلق من سلالة من ماء مهين قال تعالى: ﴿مِنْ سُلالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ [السجدة:٨] .

بل حتى القرآن أحياناً يذكر هذه الحقيقة على استحياء: ﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ [المعارج:٣٩] .

وجاء أيضا قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ(١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ{١٣} ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ(١٤)ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ(١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ{١٦} وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ(١٧)﴾ [الحج:٥ – ٧] .

والله سبحانه وتعالى يبين لنا قصة خلق الناس فيخبرنا بأنه جل وعلا قد خلق آدم من طين مأخوذ من جميع الأرض .ثم خلق بنيه متناسلين من نطفة: هي مني الرجال تخرج من أصلابهم ، فتستقر متمكنة في أرحام النساء .ثم خلق النطفة

علقة أي: دمًا أحمر ، فخلق العلقة بعد أربعين يومًا مضغة أي: قطعة لحم قَدْر ما يُمْضغ ، فخلق المضغة اللينة عظامًا ، فكسى العظام لحمًا ، ثم أنشأ خلقًا آخر بنفخ الروح فيه ، فتبارك الله ، الذي أحسن كل شيء خلقه .ثم إنكم أيها البشر بعد أطوار الحياة وانقضاء الأعمار لَميتون .ثم إنكم بعد الموت وانقضاء الدنيا تُبْعثون يوم القيامة أحياء من قبوركم للحساب والجزاء .

إخوتي في الله: من نقطة واحدة من ماء الرجل تتحد ببويضة المرأة في الرحم ، وينشأ ذلك الخلق المعقد المركب ، ويزود الجنين بإمكانات لا يستخدمها في بطن أمه ولكن يستخدمها عند خروجه للحياة ، فالجنين له عينان ، وأذنان ، ويدان ، ورجلان ، . . .وللجنين جهازاً تنفسياً كاملاً من الأنف إلى الرئة وجهازاً هضمياً من البلعوم إلى المريء ، في حين تتم عملية تنفس الجنين وتغذيته عن طريق الحبل السري ، المتصل ببطن الجنين مع أحشاء الأم الذي يمده بالطعام ، والهواء ، والماء ، كل هذا يحدث في ظلمات ثلاث ظلمة الرحم ، وظلمة البطن ، وظلمة المشيمة ، من الذي فعل هذا كله أهي الطبيعة أم الصدفة ؟!! لا ورب الكعبة ولكن خلقه جل وعلا القائل: ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (٦) ﴾ [الزمر: ٦] ، والقائل : ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ [عبس:٢٠] ، ومع ذلك لا يخرج اثنان من البشر متشابهان في كل الأشياء ، بل أن الإبهام لا يمكن أن يتشابه فيه اثنان على وجه الأرض أبداً ، ولهذا يقول الله تعالى: ﴿ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ [القيامة:٤] ، ماء العين مالحاً ، وماء الأذن مراً ، وماء الفم حلواً؟! ولو أن ماء الفم على غير هذا الطعم ، ما استطاع الإنسان أن يتلذذ بشراب على الإطلاق.

أخي الحبيب ، أتعرف أن وزن القلب حوالي ثلاثمائة واثني عشر جراماً ، ينبض بمعدل سبعين نبضة في الدقيقة ، ويضخ حوالي ستة وخمسين مليون جالون خلال حياة الإنسان ، فأي مضخة في الوجود تستطيع ذلك وبدون

صيانة الله أكبر ، وفي كل يوم يتنفس الإنسان خمسة وعشرين ألف مرة ، يدخل منها ستة أمتار ونصف متر مكعب من الأكسجين إلى الدم ، ويعتبر الكبد أكبر غدد البدن ، ويزن ألف وخمسمائة جرام ، وتتجدد خلاياه جميعها خلال أربعة أشهر ، والكلية تزن مائة وخمسين جراماً فيها مليون وحدة لتصفية الدم ، ويرد إلى الكلية في اليوم ١٨٠٠لتر من الدم ، أرى أنه لا تعليق إلا أن تقول ما قاله الله تعالى : ﴿ هَذَا خَلْقُ اللهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ﴾ [لقمان: ١١] .

أحبتي في الله ، محال أن يخلقنا الله عز وجل عبثاً ، قال الله عز وجل: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥ – ١١٦] .

إن الله عز وجل ما خلقك عبثاً ، بل خلقك لحكمة ، هذه الحكمة تعرفها من قول الله عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] هذه حكمة خلقك ، وهذا سبب وجودك: أن تعمر هذه الحياة بعبادة الله: ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)﴾ [الذاريات:٥٨] .

الرزق مكفول ، والعمر محدود ، والإمكانات موفرة ، والمنهج واضح ، والطريق مستقيم ، وأنت مأمورٌ أن تسير على هذا المنهج ، وأن تواصل السير على هذا الطريق المستقيم ، وألا تلتف أو تنحرف ؛ فإنك إن انحرفت عن هدي الله وعن طريق الله ، كان المصير دماراً وعذاباً في الدنيا ، ودماراً وبواراً في النار ، قال تعالى: ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلا وَأَغْلالاً وَسَعِيراً (٤) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً (٥)﴾ [الإنسان:٢ – ٥] .

فيخاطب الله سبحانه وتعالى البشرية قائلاً: إنا خلقنا الإنسان من نطفة مختلطة من ماء الرجل وماء المرأة ، نختبره بالتكاليف الشرعية فيما بعد ، فجعلناه من

أجل ذلك ذا سمع وذا بصر ؛ ليسمع الآيات ، ويرى الدلائل ، إنا بينَّا له وعرَّفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر ؛ ليكون إما مؤمنًا شاكرًا ، وإما كفورًا جاحدًا . إنا أعتدنا للكافرين قيودًا من حديد تُشَدُّ بها أرجلهم ، وأغلالا تُغلُّ بها أيديهم إلى أعناقهم ، ونارًا يُحرقون بها . إن أهل الطاعة والإخلاص الذين يؤدون حق الله ، يشربون يوم القيامة مِن كأس فيها خمر ممزوجة بأحسن أنواع الطيب ، وهو ماء الكافور .

تعلموا هذه الحقيقة من الله ، أنكم ما خلقتم عبثاً ؛ لأن العبث محال على الله ، بل العبث غير لائق بك أيها الإنسان! لو بنيت جداراً في بيتك ، أو صممت عملاً في محيط اختصاصك ، ثم سألك أحد الناس ، وقال لك: لَمَ هذا؟ فقلت: عبثاً ، أليس نقصاً في رجولتك؟ أليس قدحاً في عقليتك أن تعمل شيئاً عبثاً بدون حكمة؟ نعم ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ [طه:١٢٤] أي ومن تولَّى عن ذكري الذي أذكِّره به فإن له في الحياة الأولى معيشة ضيِّقة شاقة – وإن ظهر أنه من أهل الفضل واليسار – ، ويُضيَّق قبره عليه ويعذَّب فيه ، ونحشره يوم القيامة أعمى عن الرؤية وعن الحجة ، والله ولو امتطى أحدث الموديلات ، ولو امتلك ملايين الدولارات ، ولو نكح أجمل الزوجات ، ولو سكن أرفع العمارات ، ولو احتل أحلى وأعلى الرتب والمناصب ، وقلبه بعيدٌ عن الله ، فإن هذه كلها لا تزيده إلا عذاباً (٦٦) ، وصدق الشاعر حين قال:

فيا عجبا كيف يعصى الإله ::: أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة وفي ::: كل تسكينة أبداً شاهد

وفي كل شيء له آية ::: تدل على أنه الواحد

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

٥- دعوة للتفكر في النفس البشرية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع ماجاء في كتاب سنريهم آياتنا في أن امرأة حملت مكرهة ، وحاولت إسقاط الجنين ، ولم تستطع ؛ إذ قد ثبته الله ، فجعله في قرار مكين ؛ فأنَّى لأحدٍ أن يسقطه؟ . ولدت بعد ذلك ، وكان المولود أنثى ، ولما وُلدت رفضت أن تتناول ثدي أمها ، وأصرَّت أيامًا على هذا ، ولكنها مع ذلك قبلت أن ترضع من مرضعة أخرى غير أمها ، عندها أغمضت عيناها ، وأعيدت إلى أمها معصوبة العينين ، فرفضت ثديها مرة أخري وهي لم تره ، فأجرى الطبيب حوارًا مع أمها ، تبين أن الأم لم تكن راغبة في الحمل ، فحملت على كُرْه ، وحاولت الاعتداء عليه بإسقاطه ، فانعكس ذلك على الجنين بعد ولادته ، فسبحان الله رب العالمين! إنها أحاسيس ومشاعر وأفعال أمه ، تنعكس عليه فحسب ، وإلا فهو لا يعلم شيئًا بنص قول الله تعالى: ﴿ وَاللهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] .

أي لا تعلمون شيئًا من أمور الدنيا ، ولا تعلمون شيئًا مما قضى به عليكم من السعادة والشقاوة ، ولا تعلمون مصالحكم ومنافعكم ؛ فهم يخرجون من بطون أمهاتهم لا يعلمون ، وبعد خروجهم يرزقهم الله السَّمع ؛ فالأصوات يدركون ، ويرزقهم البصر ؛ فالمرئيات يعرفون ويحسون ، ويرزقهم الأفئدة ؛ فبها يميِّزون ، وتحصل هذه الحواس بأمر الله تدريجيًا ، كلما كبر زِيدَ في سمعه وبصره حتى يبلغ أشده ليتمكن بها من عبادة ربه وطاعة مولاه جل وعلا .

إنها دعوة لمن يتفكرون ، ويتدبرون فينتفعون ، فلا عند حدود النظر المشهود يقفون ، بل إلى قدرة الله ﷻ في خلقه ينظرون ، ولسان حالهم

ومقالهم: ﴿وَهُوَ الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠]، والمقصد ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

تأمل أخي في الله مدى معرفة الناس بالجنين قبل حوالي ثلاثين عامًا، لقد كان كائنًا حيًا لا يُعْلَم عنه إلا حركاته التي يصدرها داخل بطن أمه، ومع تطور وسائل الملاحظة والمشاهدة، ووصولها إلى بطن الجسم الإنساني - وكل ذلك بإذن الله - كالتصوير والتسجيل الضوئي والصوتي، علم أن للجنين نفسية لا ينفصل فيها عن أمه تمامًا، فتراه في حالات انكماش واكتئاب مرة، وحالات انشراح وانبساط أخرى، بل يبدي الانزعاج لبعض مخالفات أمه؛ كالتدخين مثلاً، عافانا الله وإياكم والمسلمين عمومًا.

يطلب طبيب مجرب من أم حامل في شهرها السادس كانت تعتاد التدخين أن تمتنع عنه لمدة أربع وعشرين ساعة، وهو يتابع الجنين بأجهزة التصوير الضوئي، فإذا به ساكن هادئ، وبينما هو كذلك، إذ قدم لها الطبيب لفافة؛ لفافة سيجارة عافانا الله وإياكم وما أن وضعتها بين أصابعها، وتمَّ إشعالها إلا وأشار المقياس إلى اضطراب الجنين تبعًا لاضطراب قلب أمه. فسبحان من جعله في وسط ظلمات ثلاث، يتأذى مما تتأذى منه أمه تبعًا، وإن لم تشعر أمه بذلك. أيضًا رأوا أنه حين ترغب الأم في الحمل، ثم تحمل، تجدها ترسل إليه بإذن الله موجاتٍ من العواطف المكثَّفة، وتغمره بفيض زاخر من الرضا والحنان، فيبادلها الشعور مبتهجًا، وكأنه يشكرها على حسن لقائها ورعايتها. ويعبر عن امتنانه لها بحركات لطيفة ساحرة، لا حد لعذوبتها على قلب أمه، فسبحان الله، وتبارك الله أحسن الخالقين! وحين لا ترغب الأم في الحمل، ثم تحمل مكرهة، تقطع الصِّلة العاطفية مع الجنين، فتراه يحيا منكمشًا، ثم يبدأ يتَّجه نحو المشاكسة، ويعبر عن ذلك بركلات من قدميْه تعبر عن احتجاجه واستنكاره، ولربما يصبح إسقاطا فيما بعد، وإن لم يسقط فإنه يبدو مهيأ للعناد، والرفض، والعدوان بعد ولادته، ويظهر ذلك في أول أيام ولادته.

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

طالعت بعض الأمهات هذه الحقائق فَكُنَّ يَبْحثْن عمَّا يـريح أحاسيسـهنَّ ومشاعرهنَّ أثناء الحمل لينعكس علـى أبنـائهن ، ينشـدن ويسـمعن آيـات مـن كتاب الله ، ولذا جاء في كتاب سنريهم آياتنا: أن سيدة حامل في دمشـق كانـت تكثر من قراءة القرآن وسماعه قائمة وعاملة ومضطجعة ، والنتيجة أنـه عنـدما وُلِد الجنين تمكن بفضل الله أن يختـم القـرآن ؛ حفظًـا وتـلاوة في الخامسـة مـن عمره ، فتبارك الله أحسن الخالقين! موجز القول: أن الجنين الذي يحيا في ربـاط مع أمه ، سعيدا من العواطف المصحوبة بالرضا والسكينة ، يستجيب بإذن ربـه بعد ولادته ، معترفًا بإحسان أمه إليه لسـان حالـه: ﴿هَـلْ جَـزَاء الْإِحْسَـانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠] (٨٥) .

أخي الحبيب ، النوم ، ما النوم؟ هل تأملته يومًـا مـن الأيـام؟ أنـت تعرفـه وتمارسه كل يوم ، بل إن ثلث عمرك يذهب فيه ، ضرورة لا غنى عنها ، فالنوم آية ، بل إنه وفاة وموت ؛ بنص قول الله تعالى: ﴿الله يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِـينَ مَوْتِهَـا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَـلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر:٤٢] ، هل تأملت أخي الحبيب ما يجري لإنسان حين ينام وينسلخ من وعيه فيرفع عنه القلم كيف يتسرب إليـه النوم ، ثم يستولي عليه؟ كيف يأتيه ، أو كيف يـأتي هـو إلى النـوم؟ ، في النـوم تتعطل وظائف الحس إجمالا ، يتوقف البصر أولا بإغماض الجفون حتـى لـو لم تغمض العينان ، كما هي عند بعـض النـاس ، فتبقـى الجفـون مفتوحـة ، لكـن الرؤية مفقودة ، كذلك الموت ، والنوم موتة صغرى ، والحاسة التي تبقى تعمـل خلال النوم هي السمع ، وقد حدَّد العلماء والباحثون اسـتمرار السـمع خـلال النوم بمقدار الثلثين على تفاوت بين الناس في السمع ، فمـا أجمـل الإعجـاز في كتـاب الله يـوم يقـول: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً﴾ [الكهف:١١] ، فجمع بين النوم والسمع في سياق واحد .

أخي في الله ، هل تأملت نائمَيْن متجاوِرَيْن ، ودار بِخَلَدِك أنَّ أحدهما ربما

ينعم بالرؤى الصالحة بودِّه ألا يستيقظ الدهر كله مما يجد من لذة ، والآخر يجاوره في شقاء يُعذَّب بالأحلام الشيطانية المزعجة ، بودِّه لو لم يَنَم ، ثم ساءلت نفسك ، هل يعلم هذا عن مجاوره ، أو ذاك عن هذا؟ أو أنت تعلم ما يدور بذهنهما ، ألم يَدُر بخلدك وأنت تستعرض هذا في ذهنك أن تنتقل من هذه الصورة مباشرة إلى المقابر ، فتتخيل الموتى صفوفا بجانب بعضهم ، هذا يُنعَّم ، وذاك يُعذَّب ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ (٣٧)﴾ [ق:٣٧] (٥٩) .

يقول صاحب كتاب النوم والأرق : أن شخصًا نهض من فراشه نائمًا ، وخرج من النافذة ، ومشى على سور العمارة من الخارج ، وتجمع الناس في الشارع يحبسون أنفاسهم خشية وقوعه ، وظل يمشى على السور مغمض العينين حتى دار حول العمارة ، ثم عاد إلى النافذة ودخل منها ليعود إلى سريره ، فيواصل نومه ، ولما استيقظ لم يذكر شيئًا مما حدث له ، لقد كان يتحرك وهو نائم بل يمشى على ارتفاعات شاهقة مُغمَض العينين لو كان في صحوة ما استطاع ذلك من الذي قاد خطاه؟!

إن في هذا لدلالة قاطعة على وحدانية الله تعالى ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ الله قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل:٦٢] ، (٥٩) ، وصدق الشاعر إذ قال:

فيا عجبا كيف يعصى الإله ::: أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة وفي ::: كل تسكينة أبداً شاهد

وفي كل شيء له آية ::: تدل على أنه الواحد

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

٦- دعوة للتفكر في عالم النحل

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع ما جاء في دفاع النحل عن مملكته ، يُذْكَر أن ألد أعداء النحل هو الفأر ، يهاجم الخلية فيأكل العسل ويلوث أجواء الخلية ، فماذا تفعل تلك النحلة الصغيرة أمام هذا الفأر الذي هو لها كجبل عظيم ، إنها تطلق عليه مجموعة من العاملات فتلدغه حتى يموت ، كيف تخرجه ، إن بقي أفسد العسل ، ولوث أجواء الخلية ، ولو اجتمع نحل الدنيا كله لإخراجه ما استطاع ، فماذا يفعل ، جعل الله ﷻ للنحل مادة شمعية يفرزها ويغلف بها ذلك الفأر فلا ينتن ولا يتغير ولو بقي ألف عام ، حتى يأتي صاحب الخلية فيخرجه ، فسبحان من قدَّر فهدى وخلق فسوى ﴿ أَإِلَـهٌ مَّعَ الله قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل:٦٢] .

فالنحل مأمور بالأكل من كل الثمرات خلافاً لكثير من الحشرات التي تعيش على نوع معين من الغذاء ، وتعجب أنها لا تأكل من التبغ فلا تأكل إلا الطيبات فهل يعتبر بذلك أهل الغفلات ، زودها الله بقرني استشعار وجعل فيهما شعيرات عصبية دقيقة يصل عددها إلى ثلاثين ألفاً تشكل حاسة الشم والسمع واللمس ، وتعمل كالكشاف في ظلام الخلية ، فسبحان من وهبها ذاك وبه زودها .

للنحلة عيون كثيرة ، في حافتي الرأس عينان ، وعينان أخريان في أعلى الرأس وتحتهما عين ثالثة ، مما جعل لها سعة أفق في النظر ، فالنحلة ترى أقصى اليمين وأقصى الشمال والبعيد والقريب في وقت واحد ، علماً بأن عيونها لا تتحرك ، ولذا فالنحل قد يعيش في أماكن يكون فيها السحاب معظم شهور

السنة مع أن رؤية الشمس كما هو معلوم ضرورية لمعرفة مكان الحقول التي فيها غذاء النحل ، وهنا تكمن الحكمة في قوة رؤية النحل ، فبإمكانها رؤية الشمس من خلال السحب ، كل ذلك لئلا يموت جوعاً في حالة اختفاء الشمس خلف الغمام ، كما هو في بعض البلدان ، إنها لحقيقة مذهلة ، تدل على حكمة الله ، وقدرة الله ، ووحدانية الله ، وكمال تدبيره فتبارك الله أحسن الخالقين .

أما فم النحلة فمن أعاجيب خلق الله في خلقه ، إذ هو مزود بما يُمَكِّنَه من أداء جميع الوظائف الحيوية فهو يقضم ويلحس ، ويمضغ ويمتص ، وهو مع هذا شديد الحساسية لما هو حلو الطعم طبيعياً ، ولا يتحرج من المواد المرة ، إذ يحولها إلى حلوة بإذن ربه الذي ألهمه فسبحان من قال: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

أما سمع النحل فدقيق جداً ، يتأثر بأصوات وذبذبات لا تستطيع أن تنقلها أذن الإنسان ، فسبحان من زوده بها ، وتحمل مع ذلك النحلة ضعفي وزنها ، وبسرعة أربعمائة خفقة جناح في الثانية الواحدة ، وهناك من النحل مرشدات ، عندما تجد مصدراً للغذاء تفرز عليه مادة ترشد إليه بقية أخواتها للرحيق ، وعندما ينضب وينتهي الرحيق تفرز عليه المرشدات مواد منفرة منه ، حتى لا يضيع الوقت في البحث فيه ، ثم تنتقل إلى مصدر آخر ، من علمها وأرشدها؟ إنه الله القائل: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى الله رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [هود:٢٦] ، والقائل ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦] .

وتستطيع العاملة خارج الخلية الرجوع إلى خليتها والتعرف عليها من بين عشرات الخلايا ، بلا عناء ولا تعب ، ولو ابتعدت عنها آلاف الأميال ، ولذا يقول أحد علماء الأحياء الكفار ، وقد رَصد النحل بمناظيره فترة طويلة ، يقول: يا عجباً لها تنطلق آلاف الأميال من شجرة إلى ثمرة إلى زهرة ، ثم تعود ولا تخطئ طريقها ، ربما أن لها ذبذبات مع الخلية ، أو أنها تحمل لاسلكياً يربطها

بالخلية ، ربما! ربما! ثم يقف حائراً بليداً تائهاً ، أما نحن فإنا نوقن أن الله ألهمها ذلك وأوحى إليها وعندنا سورة في كتاب الله تسمى سورة النحل قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاء لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ(٦٩) ﴾ [النحل:٦٨ - ٦٩] (٥٩) .

أما عن حُرَّاس خلية النحل الذين يتفقدون كلَّ من يدخل الخلية فالنحل من ألطف الحيوان وأنقاه وأنظفه ، ولذلك لا تلقي مُخَلَّفاتها في خليتها ، بل تطير ثم تلقيها بعيداً عنها ، وتأبى النتن والروائح الكريهة ، تأبى القذارة ، ولذلك إذا رجع النحل إلى الخلية بالعشية ، فإن حراساً للخلية يستطيعون أن يميزوا كل غريب ودخيل عليهم من النحل ، فيطرحوه خارجاً أو يقتلوه ، علماً أن تعداد الخلية يصل إلى ثمانين ألف نحلة أو أكثر حيث يقف على باب الخلية بَوَّاب منها ، ومعه أعوان كُثُر ، وكل نحلة تريد الدخول يشمها البواب ويتفقدها فإن وجد فيها رائحة منكرة ، أو رأى بها قَذَراً منعها من الدخول وعزلها إلى أن يدخل النحل كله ، ثم يرجع إلى الممنوعات المعزولات فيتبين ويتثبت ، ويتفقدها مرة أخرى ، فمن وجدها وقعت على شيء نجس أو منتن ، قدها وقطعها نصفين ومن كانت جنايتها خفيفة ، بها رائحة وليس عليها قَذَر ، تركها خارج الخلية حتى يزول ما بها ثم يسمح لها بالدخول ، وهذا دأب وطريقة البواب كل يوم في كل عشية ، فسبحان من ألهمه ، سبحان من ألهمه معرفة صاحبه من غيره ، ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ(١٨٠) وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ(١٨١) وَالْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٨٢) ﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢] .

هل تأملت أخي الحبيب النحل وأحواله وأعماله وما فيها من العبر والآيات الباهرات؟ ألم تر أقراص شمعها السداسية في دقتها الحسابية وإتقان بنائها وإحكام صنعها ، الذي أدهش وما زال يدهش علماء النحل والحساب ،

ماهي آلات الحساب والمقاييس التي سمحت لهذا المخلوق بالوصول إلى هذا العمل الهندسي الدقيق ، هل هذا بواسطة قرنين استشعار والفكين الذين يدعي علماء الأحياء أن الطبيعة زودتها بهما ، سبحان الله ، وتبارك الله ، عجيب وغريب منطق هؤلاء يَتَستَّرون وراء كلمات جوفاء كالطبيعة والتطور والصُّدفة ، كلما وقفوا أمام بديع صنع الله وإعجازه في الخلق ، فأنى يؤفكون وسبحان من قال: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤] .

الكل في النحل يعمل في الخلية لأجل الكل ، لا حياة لفرد عند النحل بدون جماعة ، ولذلك أذهل ذلك علماء النحل ﴿صُنْعَ الله الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨] .

وينطلق النحل إلى البساتين ، فتأخذ تلك الأجزاء الصافية من على ورق الزهر والورد ، فتمصه لتكون مادة العسل ، ثم تكبس الأجزاء المنعقدة على وجه الورقة وتعقدها على رجلها ثم تذهب لتملأ بها المسدسات الفارغة ، ثم يقوم يعسوبها – أي ملكها – على بيته فينفخ فيه ، ثم يطوف على تلك البيوت بيتاً بيتاً وينفخ فيها – أي البيض – كلها فتدب فيها الحياة بعد حين بأمر مَنْ؟! إنه بأمر الله تعالى فتخرج نحلاً صغاراً ، فسبحان القائل ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى(٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى(٣)﴾ (٥٩) ، وصدق الشاعر حين قال:

فيا عجبا كيف يعصى الإله ::: أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة وفي ::: كل تسكينة أبداً شاهد

وفي كل شيء له آية ::: تدل على أنه الواحد

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٧- دعوة للتفكر في عالم النمل

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي لـه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع ما شاهده أحد العلماء في إحدى الغابات قطعة من الأرض قد نما فيها أرز قصير من نوع بري مساحة القطعة خمسة أقدام في ثلاثة ، ويتراءى للناظر إلى هذه البقعة من الأرض أن أحداً لا بد أن يعتني بها ، الطينة مشققة ، والأعشاب مستأصلة والغريب أنه ليس هناك مناطق أرز حول ذلك المكان ، ولاحظ ذلك العالم أن طوائفَ من النمل تأتي إلى هذه المزرعة الصغيرة وتذهب ، فانبطح على الأرض ذات يوم ليراقب ماذا يصنع النمل ، فإذا به يفاجأ أن النمل هو صاحب المزرعة ، وإنه اتخذ الزراعة مهنة تشغل كل وقته فبعضه يشق الأرض ويحرث ، والبعض يزيل الأعشاب الضارة وينظف ، وطال الأرز واستوى ونضج ، وبدأ موسم الحصاد ، وهذا لا زال بمناظيره يراقب ، شاهد صفاً من النمل وهو في وقت الحصاد وهو متسلقاً شجر الأرز ، إلى أن يصل إلى الحبوب فتنزع كل نملة حبة من تلك الحبوب ، ثم تهبط سريعاً إلى الأرض ، ثم تذهب بها إلى مخازن تحت الأرض لتخزنها ثم تعود ، وطائفة أخرى أعجب من ذلك تتسلق مجموعة كبيرة منها أعواد الأرز ، فتلقط الحب وتلقي به فبينما هي كذلك ، إذ بمجموعة أخرى تحتها تتلقى هذا الحب وتذهب به إلى المخازن .

أحبتي في الله، النمل على أربعة أقسام: الملكة والعساكر والشغالات والوصيفات؛ والملكة لها مهمة، وهى وضع البيض، وإدارة المملكة، والوصيفات مهمتها حماية المملكة، وتنظيف المملكة، وتبليغ أوامرها إلى بقية جنود النمل . والعساكر مهمتها حماية النمل، وبيوت النمل ، والشغالات هي التي نراها دائما بخارجة، وهذه التي تسمى الشغالات حتى النمل عنده

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

شغالات ليس لهن مخالفات شرعية ، شغالات يخدم بعضها بعضا دون تمييز أو عنصرية ، والعجيب أنه ما في نوع من أنواع النمل الأربعة: الملكة ، والوصيفات ، والعساكر ، والشغالات تتعدى على عمل غيرها إلا عند الحاجة ؛ تصدر الملكة أمرا فتجتمع الشغالات مع الوصيفات مع العساكر والشغالات ، وتقف إذا داهمها خطر لا تستطيع العساكر أن تقوم به وحدها فتستنجد بالبقية ، هذا تفعله عند مداهمة الخطر لها ، وعندما تنهار بيوتها ، فإنها تجتمع بسرعة لإقامة البيت ، ولذلك خلال دقائق يعود بيت النمل كما كان ، فمن هداها لهذا ؟ ﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) ﴾ [النمل:٦٣] .

أخي الحبيب ، تأمل تلك النملة الضعيفة ، وما أعطيت من فطنة وحيلة في جمع القوت وادخاره ، وحفظه ودفع الآفة عنه ، ترى عبراً وآيات باهرات تنطق بقدرة رب الأرض والسماوات وتقول : ﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[النمل:٦٢] ، انظر إليها تخرج من أسرابها طالبة أقواتها ، فإذا ظفرت بها شرعت في نقلها على فرقتين اثنتين ، فرقة تحملها إلى بيوتها ذاهبة ، وأخرى خارجة من بيوتها إلى القوت ، لا تخالط فرقة أخرى كخيطين أو جماعتين من الناس ، الذاهبون في طريق والراجعون في أخرى في تناسق عجيب ، ثم إذا ثقل عليها حمل شيء ، استغاثت بأخواتها فتعاونت معها على حملها ، ثم خلوا بينها وبينه ، وبلا أجرة ، تنقل الحب إلى مساكنها ثم تكسره اثنتين أو أربعة ، لئلا ينبت إذا أصابه بلل ، وإذا خافت عليه العفن ، أخرجته إلى الشمس حتى يجف ، ثم ترده إلى بيوتها ، ولعلك قد مررت يوماً عليها ، وعلى أبواب مساكنها حب مكسر ، ثم تعود من قريب فلا ترى منه حبة واحدة ، فمن هداها لهذا؟ ﴿ أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣) ﴾ [النمل:٦٣] .

أحبتي في الله ، النمل ذكي ، جد ذكي ، ويصطاد بطريقة ذكية ، يأتي إلى شجرة فينقسم إلى قسمين ، قسم يرابط تحت الشجرة قرب جذعها ، وآخر يتسلق جذعها لمهاجمة الحشرات التي تكون عليها ، وبذلك يحكم الطوق على

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

كل حشرة لا تطير ، فتسقط التي تنجو من النمل المتسلق فتقع في شباك النمل المتربص بها عند قاعدتها ، من هداها؟ من هيأ لها رزقها؟ ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٣)﴾[النمل:٦٣] .

إخوتي في الله ، من دقة مجتمع النمل أن بيوت النمل مقسمة إلى: غرفة مخزن ، وغرفة للنوم ، وغرفة للضيوف ، فبيوت النمل مقسمة تقسيما ، بل وللنمل مدافن جماعية يدفن فيها موتاه كما يفعل الإنسان ، فمن هدى النمل لذلك ؟ ﴿أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ(٦١)﴾ [النمل:٦١] .

أحبتي في الله ، ومن صفات النمل التعاون وعدم الأنانية فمن مظاهر التعاون والاجتماع عند النمل ، أنك لا ترى نملة تمشى وحدها ولكن ترى النمل يمشي في جماعات من عشرة أو عشرين أو ثلاثين أو أربعين . . . ، فتجد النمل يمشي معًا ليكون خطًا واحدا ، فإذا مرضت نملة فإن النمل يتعاون على حملها ، والذهاب بها إلى البيت ومعالجتها ، كما أن أغلب النمل عندما تحمل طعاما تحمله مجتمعة؟ بل أعجب من ذلك: حفر البيوت فتجد عشرات النمل إن لم يكن مئات النمل تتعاون في حفر البيت وبنائه ، ونقل الحبوب كل هذا يدل على أن النمل مجتمع متعاون ، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْأِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢] .

أخي الحبيب ، عالم النمل يتميز بوحدة الموقف ، ووحدة الكلمة بين أعضائه وبخاصة أمام الأعداء ، مجتمع متعاون عجيب ، ففي البرازيل هناك فصائل من النمل إذا دهمهم خطر ينطلق منهم ثلاثون ألف نملة دفعة واحدة فتهاجم أعدائها ، حتى إنها تهجم على بعض الحيوانات الكبيرة فتقضي عليها ، أتعرف ما السبب؟ وحدة الموقف ، ووحدة الكلمة .

إخوتي في الله ، أيضًا من عجائب النمل أن الفرد يضحي من أجل المجموعة ، فتقدم النملة نفسها فداء لبني جنسها ، وتضحية لبني جنسها ؛ فالنمل إذا واجه عائقا مائيا صغيرا ماذا يفعل ؟

هناك طريقتان لعبور هذا الماء: طريقة من الطرق ، أن يتشابك النمل ؛ كل نملة تشتبك مع نملة أخرى فتكون جسرا حتى تعمل جسرا فوق هذا الماء ، نملة متصلة بنملة حتى تصل إلى الطرف الثاني ، ثم تبدأ بقية النمل تمشي من فوق هذا الجسر حتى تنتهي النمل ، فإذا انتهى جميع النمل من العبور جاءت النملة التي في الطرف الآخر ، ومشت والجسر باق مستمر حتى ينتهي النمل من العبور ، فلقد أعطاها الله قوة ، حتى ينتهي جميع النمل ويعبر ، أما إذا كان العائق المائي أكبر من أن يعمل النمل جسرا عليه ، تأتى مجموعة من النمل ، وتقتحم الماء بقوة وبسرعة ، وتتشابك ، ثم تأتى بقية النمل ، وتجري عليها فوق الماء مع أنه يغرق عدد كبير من هذا النمل الذي نزل الماء المرة الأولى من أجل إنقاذ بقية النمل .

فسبحان من هدى هذه الكائنات للإيمان يوم ضل بعض بني الإنسان والجان ، فالكون بكائناته جميعاً يسبح الله ويثني على الله ، وسبحان القائل في علياه ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ [الاسراء: ٤٤] (٥٩) ، وصدق الشاعر حين قال:

فيا عجبا كيف يعصى الإله ::: أم كيف يجحده الجاحد

ولله في كل تحريكة وفي ::: كل تسكينة أبداً شاهد

وفي كل شيء له آية ::: تدل على أنه الواحد

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٨- قصة خلق البشرية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع ما جاء في القرآن الكريم في قصة البشرية حيث خلق الله جل وعلا آدم بيده الكريمة من طين ، ونفخ فيه من روحه ، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ﴾ [ص:٧١] ، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾ [الإسراء: ٩] .

وبيانًا لفضل آدم عليه السلام علَّمه الله أسماء الأشياء كلها ، من الطيور ، والدواب وغير ذلك ، ثم عرض مسمياتها على الملائكة قائلا لهم: أخبروني بأسماء هؤلاء الموجودات ، إن كنتم صادقين في أنكم أَوْلى بالاستخلاف في الأرض منهم ، قالت الملائكة: ننزِّهك يا ربَّنا ، ليس لنا علم إلا ما علَّمتنا إياه . إنك أنت وحدك العليم بشئون خلقك ، الحكيم في تدبيرك . قال الله: يا آدم أخبرهم بأسماء هذه الأشياء التي عجَزوا عن معرفتها . فلما أخبرهم آدم بها ، قال الله للملائكة: لقد أخبرتكم أني أعلم ما خفي عنكم في السماوات والأرض ، وأعلم ما تظهرونه وما تخفونه . واذكر - أيها الرسول - للناس تكريم الله لآدم حين قال سبحانه للملائكة: اسجدوا لآدم إكرامًا له وإظهارًا لفضله ، فأطاعوا جميعًا إلا إبليس امتنع عن السجود تكبرًا وحسدًا ، فصار من الجاحدين بالله ، العاصين لأمره .

وهذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ(٣١) قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ(٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُمْ بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا

تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ(٣٣) وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ(٣٤)﴾ [البقرة: ٣١ – ٣٤] .

ثم خلق الله تعالى لآدم حواء من ضلعه ليأنس إليها وقال الله: يا آدم اسكن أنت وزوجك حواء الجنة ، وتمتعا بثمارها تمتعًا هنيئًا واسعًا في أي مكان تشاءان فيها ، ولا تقربا هذه الشجرة حتى لا تقعا في المعصية ، فتصيرا من المتجاوزين أمر الله . فأوقعهما الشيطان في الخطيئة: بأنْ وسوس لهما حتى أكلا من الشجرة ، فتسبب في إخراجهما من الجنة ونعيمها . وقال الله لهم: اهبطوا إلى الأرض ، يعادي بعضكم بعضًا – أي آدم وحواء والشيطان – ولكم في الأرض استقرار وإقامة ، وانتفاع بما فيها إلى وقت انتهاء آجالكم .

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] ، وقال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ(٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ(٣٦)﴾ [البقرة: ٣٥ – ٣٦] .

ولقد أقسم الشيطان لآدم وحواء بالله إنه ممن ينصح لهما في مشورته عليهما بالأكل من الشجرة ، وهو كاذب في ذلك ، قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف:٢٠] ، فأكل آدم وحواء من الشجرة التي نهاهما الله عنها ، فانكشفت لهما عوراتهما ، وكانت مستورةً عن أعينهما ، فأخذا ينزعان من ورق أشجار الجنة ويلصقانه عليهما ؛ ليسترا ما انكشف من عوراتهما ، وخالف آدم أمر ربه ، فغوى بالأكل من الشجرة التي نهاه الله عن الاقتراب منها .

قال تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه:١٢١] .

ولقد قال الله لإبليس: ما الذي منعك من السجود لمن أكرمتُه فخلقتُه بيديَّ؟ أستكبرت على آدم ، أم كنت من المتكبرين على ربك؟ وفي الآية إثبات صفة اليدين لله تبارك وتعالى ، على الوجه اللائق به سبحانه .

قال إبليس معارضًا لربه: لم أسجد له ؛ لأنني أفضل منه ، حيث خلقتني من نارٍ ، وخلقته من طين . - والنار خير من الطين - .

قال الله له: فاخرج من الجنة فإنك مرجوم بالقول ، مدحور ملعون ، وإن عليك طردي وإبعادي إلى يوم القيامة .

قال إبليس: ربِّ فأخِّر أجلي ، ولا تهلكني إلى حين تَبعث الخلق من قبورهم .

قال الله له: فإنك من المؤخَّرين إلى يوم الوقت المعلوم ، وهو يوم النفخة الأولى عندما تموت الخلائق .

قال إبليس: فبعزتك يا رب وعظمتك لأضلنَّ بني آدم أجمعين ، إلا مَن أخلصتَه منهم لعبادتك ، وعصمتَه من إضلالي ، فلم تجعل لي عليهم سبيلا .

قال الله: فالحقُّ مني ، ولا أقول إلا الحق ، لأملان جهنم منك ومن ذريتك وممن تبعك من بني آدم أجمعين .

فأخرجه الله من الجنة ، وأعطاه القدرة على الوسوسة والإغواء ، وأمهله إلى يوم القيامة ؛ ليزداد إثما ، فتعظم عقوبته ، ويتضاعف عذابه ، وليجعله الله محكا يتميز به الخبيث من الطيب .

وهذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ(٧٥) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ(٧٦) قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ(٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ(٧٨) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ(٧٩) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ(٨٠) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ(٨١) قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

(٨٢) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ(٨٣) قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ(٨٤) لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ(٨٥)﴾ [ص: ٧٥ – ٨٥] .

ولقد تلقى آدمُ بالقبول بقول كلماتٍ ألهمه الله إياها توبة واستغفارًا ، وهي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِن الخَاسِرِينَ﴾ فتاب الله عليه ، وغفر له ذنبه إنه تعالى هو التواب لمن تاب مِن عباده ، الرحيم بهم ، قال الله لهم: اهبطوا من الجنة جميعًا ، وسيأتيكم أنتم وذرياتكم المتعاقبة ما فيه هدايتكم إلى الحق . فمن عمل بها فلا خوف عليهم فيما يستقبلونه من أمر الآخرة ولا هم يحزنون على ما فاتهم من أمور الدنيا ، والذين جحدوا وكذبوا بآياتنا المتلوة ودلائل توحيدنا ، أولئك الذين يلازمون النار ، هم فيها خالدون ، لا يخرجون منها .

وهذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ(٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٣٩)﴾ [البقرة: ٣٧ – ٣٩] .

ومنذ أن أهبط الله آدم وزوجته إلى الأرض والعداوة قائمة بين بني آدم من جهة ، وبين إبليس وذريته من جهة ، وإبليس وذريته في صراع دائم مع بني آدم ؛ لصدهم عن الهدى ، وحرمانهم من الخير ، وتزيين الشر لهم وإبعادهم عما يرضي الله ؛ حرصاً على شقائهم في الدنيا ، ودخولهم النار في الآخرة .

من أجل ذلك فالله تعالى في أكثر من موضع في القرآن من الشيطان رجيم في قوله تعالى : ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦] ، نسأل الله تعالى أن يجنبنا شرك الشيطان .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٩- بعثة الرسل والأنبياء للخلق وشهادة الناس لمحمد ﷺ

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع ما جاء من بعثة الأنبياء والمرسلين في القرآن الكريم فالله تعالى لم يخلق خلقه سدى ولم يتركهم هملاً بل أرسل إليهم الرسل الذين يبينون لهم عبادة ربهم ، وينيروا لهم دروب الحياة ، ويوصلوهم إلى سعادة الدنيا والآخرة ، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاء أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضاً وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْداً لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ(٤٤)﴾ [المؤمنون:٤٤] .

والله تعالى يرسل الرسل مبشرين أهل طاعته بالنعيم المقيم في الجنة ، ومنذرين لأهل المعاصي بالعذاب الأليم في النار ، فمن آمن وعمل صالحًا فأولئك لا يخافون عند لقاء ربهم ، ولا يحزنون على ما فاتهم من الدنيا .

قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأنعام:٤٨] .

وقال تعالى: ﴿مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ [الإسراء:١٥] .

ولقد عاش آدم ومن بعده ذريته عشرة قرون وهم على طاعة الله ، وتوحيده ، ثم حصل الشرك ، وعُبِد غير الله مع الله ؛ فبعث الله أول رسله وهو نوح عليه السلام يدعو الناس إلى عبادة الله ، ونبذ الشرك ، وكل رسل الله تعالى اختلفوا فيا بينهم في الأزمنة والأمكنة والشرائع ، واتفقوا في الأصل وهو الدعوة إلى التوحيد وعبادة الله وحده ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥] .

إلى أن جاء إبراهيم عليه الصلاة والسلام فدعا قومه إلى ترك عبادة الأصنام وإفراد الله بالعبادة ، ثم كانت النبوة في ذريته من بعده في إسماعيل وإسحاق ثم كانت في ذرية إسحاق . ومن أعظم الأنبياء من ذرية إسحاق يعقوب ، ويوسف ، وموسى وداود ، وسليمان ، وعيسى عليهم السلام ولم يكن بعد عيسى نبي من بني إسرائيل ، وبعد ذلك انتقلت النبوة إلى فرع إسماعيل ؛ فكان أن اصطفى الله عز وجل محمداً ﷺ ليكون خاتماً للأنبياء والمرسلين ، ولتكون رسالته هي الخاتمة ، وكتابه الذي أنزل إليه وهو القرآن هو رسالة الله الأخيرة للبشرية ، ولهذا جاءت رسالته شاملة ، كاملة ، عامة للإنس والجن ، العرب وغير العرب صالحة لكل زمان ومكان ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨] . ولقد كانت شهادة القريب والبعيد لمحمد ﷺ لمن الأمور التى تؤكد صدق الرسالة الإسلامية نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

١- شهادة هرقل ملك الروم لرسول الله ﷺ وَكَذَلِكَ هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّومِ ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا كَتَبَ إِلَيْهِ كِتَابًا يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَى الإسلام ، طَلَبَ مَنْ كَانَ هُنَاكَ مِنَ الْعَرَبِ ، وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ قَدْ قَدِمَ فِي طَائِفَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ فِي تِجَارَةٍ إِلَى الشَّامِ ، وَسَأَلَهُمْ عَنْ أَحْوَالِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَسَأَلَ أَبَا سُفْيَانَ ، وَأَمَرَ الْبَاقِينَ إِنْ كَذَبَ أَنْ يُكَذِّبُوهُ ، فَصَارُوا بِسُكُوتِهِمْ مُوَافِقِينَ لَهُ فِي الأَخْبَارِ ، سَأَلَهُمْ: هَلْ كَانَ فِي آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ فَقَالُوا: لاَ ، قَالَ: هَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟ فَقَالُوا: لاَ ، وَسَأَلَهُمْ: أَهُوَ ذُو نَسَبٍ فِيكُمْ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ ، وَسَأَلَهُمْ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَقَالُوا: لاَ ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْهِ كَذِبًا ، وَسَأَلَهُمْ: هَلِ اتَّبَعَهُ ضُعَفَاءُ النَّاسِ أَمْ أَشْرَافُهُمْ؟ فَذَكَرُوا أَنَّ الضُّعَفَاءَ اتَّبَعُوهُ؟ وَسَأَلَهُمْ: هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَذَكَرُوا أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ ، وَسَأَلَهُمْ: هَلْ يَرْجِعُ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ سُخْطَةً لَهُ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَقَالُوا: لاَ ، وَسَأَلَهُمْ: هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قَالُوا: نَعَمْ ، وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْحَرْبِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ؟ فَقَالُوا: يُدَالُ عَلَيْنَا مَرَّةً وَنُدَالُ عَلَيْهِ

أُخْرَى ، وَسَأَلَهُمْ: هَلْ يَغْدِرُ؟ فَذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يَغْدِرُ ، وَسَأَلَهُمْ: بِمَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَقَالُوا: يَأْمُرُنَا أَنْ نَعْبُدَ الله وَحْدَهُ لاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا ، وَيَنْهَانَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْق وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ . وَهَذِهِ أَكْثَرُ مِنْ عَشْرِ مَسَائِلَ ، ثُمَّ بَيَّنَ لَهُمْ مَا فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ مِنَ الأَدِلَّةِ ، فَقَالَ: سَأَلْتُكُمْ هَلْ كَانَ فِي آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ فَقُلْتُمْ: لاَ ، قُلْتُ: لَوْ كَانَ فِي آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ لَقُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ ، وَسَأَلْتُكُمْ هَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ فِيكُمْ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟ فَقُلْتُمْ: لاَ ، فَقُلْتُ: لَوْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ لَقُلْتُ: رَجُلٌ ائْتَمَّ بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ ، وَسَأَلْتُكُمْ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَقُلْتُمْ: لاَ ، فَقُلْتُ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ يَذْهَبُ فَيَكْذِبُ عَلَى الله ، وَسَأَلْتُكُمْ أَضُعَفَاءُ النَّاسِ يَتْبَعُونَهُ أَمْ أَشْرَافُهُمْ؟ فَقُلْتُمْ: ضُعَفَاؤُهُمْ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ ، يَعْنِي فِي أَوَّلِ أَمْرِهِمْ ، ثُمَّ قَالَ: وَسَأَلْتُكُمْ هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَقُلْتُمْ ، بَلْ يَزِيدُونَ ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ ، وَسَأَلْتُكُمْ هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ سُخْطَةً لَهُ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَقُلْتُمْ: لاَ ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ ، إِذَا خَالَطَتْ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ لاَ يَسْخَطُهُ أَحَدٌ . وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ عَلاَمَاتِ الصِّدْق وَالْحَقِّ ، فَإِنَّ الْكَذِبَ وَالْبَاطِلَ لاَ بُدَّ أَنْ يَنْكَشِفَ فِي آخِرِ الأَمْرِ ، فَيَرْجِعَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ ، وَيَمْتَنِعَ عَنْهُ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ فِيهِ ، وَالْكَذِبُ لاَ يَرُوجُ إِلاَّ قَلِيلاً ثُمَّ يَنْكَشِفُ .

وَسَأَلْتُكُمْ: كَيْفَ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ؟ فَقُلْتُمْ: إِنَّهَا دُوَلٌ ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْتَلَى وَتَكُونُ الْعَاقِبَةُ لَهَا ، قَالَ: وَسَأَلْتُكُمْ هَلْ يَغْدِرُ؟ فَقُلْتُمْ: لاَ ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لاَ تَغْدِرُ ، وَهُوَ لِمَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ عِلْمِهِ بِعَادَةِ الرُّسُلِ وَسُنَّةِ الله فِيهِمْ أَنَّهُ تَارَةً يَنْصُرُهُمْ وَتَارَةً يَبْتَلِيهِمْ وَأَنَّهُمْ لاَ يَغْدِرُونَ – عَلِمَ أَنَّ هَذِهِ عَلاَمَاتُ الرُّسُلِ ، وَأَنَّ سُنَّةَ الله فِي الأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ بِالسَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ، لِيَنَالُوا دَرَجَةَ الشُّكْرِ وَالصَّبْرِ . قَالَ: وَسَأَلْتُكُمْ عَمَّا يَأْمُرُ بِهِ؟ فَذَكَرْتُمْ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا الله وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْق وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ ، وَيَنْهَاكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ ، وَهَذِهِ صِفَةُ نَبِيٍّ ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ نَبِيًّا يُبْعَثُ ، وَلَمْ

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

أَكُنْ أَظُنُّهُ مِنْكُمْ ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ ، وَلَوْلاَ مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ لَذَهَبْتُ إِلَيْهِ ، وَإِنْ يَكُنْ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ (٣٣) .

٢- شهادة النجاشي ملك الحبشة لرسول الله ﷺ جاء في الرحيق المختوم أن جعفر بن أبي طالب وهو أحد من هاجر للحبشة فرارا بدينه عندما سأله ملك الحبشة النجاشي عن محمد ﷺ قال: أيها الملك كنا قومًا أهل جاهلية ؛ نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل منا القوى الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ،وقذف المحصنات ،وأمرنا أن نعبد الله وحده ،لا نشرك به شيئًا ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام - فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه ، وآمنا به ، واتبعناه على ما جاءنا به من دين الله ، فعبدنا الله وحده ، فلم نشرك به شيئًا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا وفتنونا عن ديننا ؛ ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك . فَقَالَ النَّجَاشِيُّ لَمَّا اسْتَخْبَرَهُمْ عَمَّا يُخْبِرُ بِهِ - أي رسول الله ﷺ - وَاسْتَقْرَأَهُمُ الْقُرْآنَ فَقَرَؤُوا عَلَيْهِ: فقال:إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ (٢٦) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

١٠ - حسن خلق رسول اللّه ﷺ وسماحته مع الناس

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع حلم رسول الله ﷺ بالأعرابي الذي جذبه جذبة شديدة ، أخرج البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ [(١)] .

ولم لا؟! وقد قال الله تعالى عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] ، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩] ، ولقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأعلى درجات التسامح ، فقال له تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ وقال أيضًا: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ ولقد بعث الله تعالى نبيه ﷺ رحمة للعالمين ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] .

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ: مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا ، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا ، كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ فَيَنْتَقِمَ للهِ بِهَا [(٢)] .

ومع هذا فإن بعض الناس الذين لا يعرفون حقيقة هذا الدين يظنون أن الإسلام لا يعرف العفو والصفح والسماحة ، وإنما جاء بالعنف والتطرف ،

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٣١٤٩ .

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٥٦٠ ومسلم ٢٣٢٧ واللفظ للبخاري

لأنهم لم يتحروا الحقائق من مصادرها الأصلية ، وإنما اكتفوا بسماع الشائعات والافتراءات من أرباب الإلحاد والإفساد الذين عبدوا الشهوات ونهجوا مسلك الشبهات بما لديهم من أنواع وسائل الإعلام المتطورة .

ولم تقتصر سماحة النبي ﷺ مع المسلمين فقط بل شملت أهل الكتاب والمشركين أثناء الحرب فقد أوصى بالقبط – أي أهل مصر – خيرًا وثبت عنه أنه قال: «**إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرًا، فإن لهم ذمة ورحمًا**» [1] ، وثبت عن رَسُول الله ﷺ أَنهُ قَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا فَإِذَا رَأَيْتُمْ رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ فِي مَوْضِعِ لَبِنَةٍ فَاخْرُجْ**»[2] .

وفيما يلي صورٌ من سماحة رسول الله ﷺ مع غير المسلمين على سبيل المثال لا الحصر:

١ – رحمته ﷺ بالخلق عامة وهو الذي قال الله عز وجل عنه: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء:١] ، فكان ﷺ الرحمة المهداة إلى الخلق كلهم ، وحث على العطف على الناس ورحمتهم ، فَعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**لَا يَرْحَمُ الله مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ**» [3] .

وكلمة الناس هنا تشمل كل أحد من الناس ، دون اعتبار لجنسهم أو دينهم وجاءت النصوص في باب الرحمة مطلقة ، وَعَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ غَرَسَ غَرْسًا فَأَكَلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ أَوْ دَابَّةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ**»[4] ، فدين الإسلام دين السماحة والرحمة يسع الناس كلهم ويغمرهم بالرحمة والإحسان .

٢ – دعاء رسول الله ﷺ لمخالفيه من غير المسلمين فقد قدم الطفيل بن

---

(١) (صحيح) أخرجه الحاكم وصححه الألباني في السلسة الصحيحة ١٣٧٤ .
(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٥٤٣ .
(٣) (صحيح) أخرجه البخاري ٧٣٧٦ .
(٤) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٠١٢ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

عمرو الدوسي وأصحابه فقالوا: يا رسول الله إن دوسا قد كفرت وأبت فادع الله عليها ، فقيل: هلكت دوس – ظنا بأن النبي ﷺ إنما رفع يديه للدعاء عليها – فقال ﷺ : «**اهْدِ دَوْسًا وَائْتِ بِهِمْ**» [(١)] . ودعا رسول الله ﷺ لأم أبي هريرة قبل إسلامها فقد روى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإسلام وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعَتْنِي فِي رَسُولِ الله ﷺ مَا أَكْرَهُ فَأَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ وَأَنَا أَبْكِي قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمِّي إِلَى الإسلام ، فَتَأْبَى عَلَيَّ ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ فَأَسْمَعَتْنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ فَادْعُ الله أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**اللهمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ**» فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ الله ﷺ فَلَمَّا جِئْتُ فَصِرْتُ إِلَى الْبَابِ ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٍ ، فَسَمِعَتْ أُمِّي خَشْفَ قَدَمَيَّ فَقَالَتْ: مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ قَالَ: فَاغْتَسَلَتْ وَلَبِسَتْ دِرْعَهَا ، وَعَجِلَتْ عَنْ خِمَارِهَا ، فَفَتَحَتْ الْبَابَ ثُمَّ قَالَتْ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنْ الْفَرَحِ [(٢)] .

٣ – وكان رسول الله ﷺ يقبل هدايا مخالفيه من غير المسلمين ، فقبل هدية زينب بنت الحارث اليهودية امرأة سلام بن مشكم في خيبر حيث أهدت له شاة مشوية ، قد وضعت فيها السم [(٣)] .

٤ – وكان رسول الله ﷺ يعامل مخالفيه من غير المسلمين في البيع والشراء والأخذ والعطاء . فَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: تُوُفِّيَ رَسُولُ الله ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِثَلاَثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ [(٤)] .

٥ – وكان رسول الله ﷺ يزور مخالفيه في دورهم ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ قَالَ

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٥٢٤ .
(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ٤٩١ .
(٣) (صحيح) أخرجه البخاري في الأدب وصححه الألباني في فقة السيرة ٣٤٧ .
(٤) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٩١٦ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

بَيْنَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ إِذْ خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**انْطَلِقُوا إِلَى يَهُودَ**» فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى جِئْنَاهُمْ فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ فَنَادَاهُمْ فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا**» فَقَالُوا: قَدْ بَلَّغْتَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ[1] .

٦ - وكان رسول الله ﷺ يأمر بصلة القريب وإن كان غير مسلم ، فَعَنْ أَسْمَاءَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي قَالَ: «**نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ**»[2].

٧ - ولقد ضمن رسول الله ﷺ من عاش بين ظهراني المسلمين بعهد وبقي على عهده أن يحظى بمحاجة النبي ﷺ لمن ظلمه فقال رسول الله ﷺ : «**ألا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا أَوْ انْتَقَصَهُ أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[3] ، وشدد الوعيد على من هتك حرمة دمائهم فقال ﷺ : «**مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا**»[4] ، تلك صور من سماحة النبي ﷺ مع غير المسلمين (٣٠) .

هذا هو نبي الرحمة السراج المنير الذي قال عنه رب العالمين : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ [القلم :٤] ، وقال عنه رب العالمين أيضا : ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ** ﴾ [آل عمران :١٥٩] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٩٤٤ ، ومسلم ١٧٦٥ .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٦٢٠ ، ومسلم ١٠٠٣ .
(٣) (صحيح) أخرجه أبو داود ٣٠٥٢ ، وصححه الألباني في ص.ج ٢٦٥٥ .
(٤) (صحيح) أخرجه البخاري ٣١٦٦ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

١١- القرآن الكريم معجزة خالدة ومتجددة على مر العصور

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة مسيلمة الكذاب مدعي النبوة الذي أراد أن يثبت للناس أنه يأتيه وحي من السماء فقام يؤلف قرآناً فأثبت كَذِبَه أمام الناس ، وكان مما قال: والزارعات زرعا ، والحاصدات حصدا ، والذاريات قمحا ، والطاحنات طحنا ، والخابزات خبزا ، والثاردات ثردا ، واللاقمات لقما ، إهالة وسمنا ، لقد فُضِّلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر ، لرفيقكم فامنعوه ، والمعتر آووه ، والناعي فواسوه ، حيث أراد أن يعد سورة على وزن سورة العاديات فكان أضحوكة الناس وأيضا أعد سورة أخرى عن الفيل قال فيها: الفيل وما أدراك ما الفيل ، له خرطوم طويل . إن من تدبر في آيات القرآن الكريم عرف أن الله عز وجل جعل القرآن معجزة ودلالة وبرهاناً وتأيدا لنبوة محمد ﷺ ، فما من نبي يبعث إلا ويؤيد بمعجزات ، وكانت معجزة النبي ﷺ الخالدة هي القرآن الكريم ، والله تعالى يتحدى من يشكِّك في القرآن ويقول أنه ليس من عند الله ، فقال تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ الله لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً(٨٢)﴾ [النساء: ٨٢] ، والله تعالى يتحدى الإنس والجن بأن يأتوا بمثله فقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء:٨٨] ، فلما أكثر الكفار من إثارة الشائعات الكاذبة بأن القرآن من قول محمد ﷺ نفسه ، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ الله إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ(٣٨)﴾ [يونس: ٣٨] .

وقد يتوهم البعض أن التحدي القرآني كان للعرب فقط ، هذا وهم كبير ، فإن التحدي موجه إلى العالمين حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ولم يأت دين من الأديان بمعجزة توضع بين أيدي الناس يبحث فيها أهل كل عصر بوسائل عصرهم ؛ مثلما أتى الدين الإسلامي بهذا القرآن ، فكأن النبوة بهذا القرآن متجددة أبدًا ، ولكي يقيم ربنا تبارك وتعالى الحجة على أهل العصور المتأخرة أبقى لهم فيه العديد من الآيات الكونية والتي تحوي من الإشارات الكونية ما لم يكن معروفا لأحد من الخلق في زمن الوحي وذلك لأهداف وحكم يعلمها الله سبحانه وتعالى .

ولو تدبرنا آيات القرآن ونظرنا في أوامر الله وما جرت عليه من صلاح ، فهي أوامر بالتوحيد والعقيدة أو بالصلاة أو بالزكاة أو بالحج أو بالصوم أو ببر الوالدين أوبصلة الأرحام أو بالدعوة إلى الله أو بالجهاد في سبيل الله . . كل الأوامر لو تفكرت فيها تجد أن في مشروعيتها خيراً عظيماً لهذه الأمة .

فهذه الصلاة يقول الله تعالى عنها: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت:٤٥] لأنك تستحي أن تعمل منكراً وستصلي بعد قليل أو كنت تصلي قبل قليل وتناجي رب العالمين الذي أمرك بتجنب الفواحش والمنكرات .

ويقول الله تعالى في الزكاة: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ﴾ [التوبة:١٠٣] فهل تدري أنك إذا دفعت الزكاة أنك تطهرت وزكوت؟ وما معنى تطهرت؟ أي: زكيت نفسك وطهرتها ، فانتصرت على النفس ، أخرجت المال ، وهو تحت قدمك ، وصرت أنت سيد المال ، لكن إذا بخلت بالمال ولم تخرج زكاته تصير أنت عبداً للمال وعبدًا للدنيا .

وهذا الصيام يقول الله عز وجل عنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣] فثمرة الصيام التقوى فإن النفس إذا امتنعت عن الحلال طمعا في مرضاة الله تعالى

وخوفا من عقابه فأولى أن تنقاد نفسه للامتناع عن الحرام .

والإنسان إذا جاع بطنه صلحت جوارحه ، فالصيام يؤدي إلى قهر الشيطان وكسر الشهوة وحفظ الجوارح ، والصائم إذا ذاق ألم الجوع أحس بحال الفقراء فرحمهم وأعطاهم ما يسدّ جوعتهم ، إذ ليس الخبر كالمعاينة وهكذا .

وأيضا فإن من أعظم مقاصد الحج تهذيب سلوك المسلم الحاج ، يقول الله عز وجل عنه: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة:١٩٧] .

فالقرآن فيه صلاح الفرد والمجتمع ، وفيه صلاح البشرية جمعاء ، أنظر وتدبر أخي الكريم لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] .

فالله سبحانه وتعالى يأمر عباده في هذا القرآن بالعدل والإنصاف في حقه بتوحيده وعدم الإشراك به ، وفي حق عباده بإعطاء كل ذي حق حقه ، ويأمر بالإحسان في حقه بعبادته وأداء فرائضه على الوجه المشروع ، وإلى الخلق في الأقوال والأفعال ، ويأمر بإعطاء ذوي القرابة ما به صلتهم وبرُّهم ، وينهى عن كل ما قَبُحَ قولا أو عملا وعما ينكره الشرع ولا يرضاه من الكفر والمعاصي ، وعن ظلم الناس والتعدي عليهم ، والله – بهذا الأمر وهذا النهي – يَعِظكم ويذكِّركم العواقب ؛ لكي تتذكروا أوامر الله وتنتفعوا بها .

والله سبحانه وتعالى قد استحفظ اليهود التوراة فخانوا وبدلوا ، واستحفظ النصارى الإنجيل فخانوا وبدلوا ، لذا فالله جل وعلا لم يستحفظ المسلمين القرآن؟ ولكنه تعهد بحفظه ، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ(٩)﴾ [الحجر: ٩] .

ولا نعلم كلاماً قط في الأرض يحفظ كله ولا يغادر منه حرف إلا القرآن ،

فترى الطفل الصغير الذي لا يحسن المعاني يحفظ القرآن ولا ينساه .

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ:قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَبْشِرُوا فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ فإنكم لنْ تُهلَكوا، ولنْ تَضِلوا بَعْدَه أَبَدًا**»(1)،قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧] .

ولقد أكثر الكفار من إثارة الشائعات الكاذبة والشبهات لصد الناس عن هذا الدين ، فقالوا عن القرآن: أن محمدًا يراه بالليل ويتلوه بالنهار فقال الله تعالى حكاية عنهم: ﴿أَضْغَاثُ أَحْلاَمٍ﴾ [الأنبياء: ٥] ، وقالوا: إن القرآن كذب وأعانه عليه آخرون فقال تعالى عن ذلك: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤] ، وقالوا: إنه قصص السابقين تملى عليه صباحا ومساء فقال الله تعالى عن ذلك: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً(٥)﴾ [الفرقان: ٥] ، وقالوا: إن له جِنًا أو شيطانًا يتنزل عليه كما ينزل الجن والشياطين على الكهان ، فقال تعالى ردًا عليهم: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ(٢٢٢)﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢] ، أي إنها تنزل على الكذاب الفاجر المذنب وما جربّتم على الرسول كذبًا ، ولا فسقًا ، فكيف تجعلون القرآن من تنزيل الشيطان؟ وكان مما قالوا عن النبي ﷺ : إنه شاعر وكلامه شعر فقال الله تعالى ردًا عليهم يصف الشعراء بثلاث صفات ليست في رسول الله ﷺ : ﴿وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ(٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ(٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ(٢٢٦)﴾ [الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٦] إلى غير ذلك من الافتراءات التي رد الله تعالى عليها في القرآن الكريم .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❋ ❋ ❋

---

(١) (صحيح) أخرجه الطبراني في الكبير١٠٤٤وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٤ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

١٢- إنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإسلام

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع مناظرات إبراهيم عليه الصلاة والسلام مع والده وقومه وملك البلاد ، أما الحوار الذي دار بينه وبين أبيه وقومه ، قال إبراهيم عليه السلام لهم: ما هذه الأصنام التي صنعتموها ، ثم عكفتم على عبادتها؟ قالوا: وجدنا آباءنا عابدين لها ، ونحن نعبدها اقتداء بهم – وهذا قول كل من جاء ببدعة وضلالة وضل عن طريق الهداية – قال لهم إبراهيم: لقد كنتم أنتم وآباؤكم في عبادتكم لهذه الأصنام في ضلال عظيم فهي لا تضركم ولا تنفعكم ، تنحتونها ثم تعبدونها أليس هذا هو الضلال قالوا: أهذا القول الذي جئتنا به حق وَجِدٌّ ، أم كلامك لنا كلام لاعبٍ مستهزئ لا يدري ما يقول؟ قال لهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام: بل ربكم الذي أدعوكم إلى عبادته هو رب السماوات والأرض الذي خلقهنَّ ، وأنا من الشاهدين على ذلك ، وهذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِه عَالِمِينَ(٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ(٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءنَا لَهَا عَابِدِينَ(٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ(٥٤) ﴾ [الأنبياء: ٥١ – ٥٤] .

ولقد أراد إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يقيم الحجة على عُبَّاد الكواكب والنجوم والشمس والقمر بأنهم لا يصلحون أن يكونوا آلهة ، فلما أظلم على إبراهيم عليه الصلاة والسلام الليلُ ، ناظر قومه ؛ ليثبت لهم أن دينهم باطل ، وكانوا يعبدون النجوم . رأى إبراهيم عليه الصلاة والسلام كوكبًا ، فقال مستدرجا قومه لإلزامهم بالتوحيد: هذا ربي ، فلما غاب الكوكب ، قال: لا

أحب الآلهة التي تغيب . فلما رأى إبراهيم القمر طالعًا قال لقومه على سبيل استدراج الخصم: هذا ربي ، فلما غاب ، قال مفتقرا إلى هداية ربه: لئن لم يوفقني ربي إلى الصواب في توحيده ، لأكونن من القوم الضالين عن سواء السبيل بعبادة غير الله تعالى . فلما رأى الشمس طالعة قال لقومه: هذا ربي ، هذا أكبر من الكوكب والقمر ، فلما غابت ، قال لقومه: إني بريء مما تشركون من عبادة الأوثان والنجوم والأصنام التي تعبدونها من دون الله تعالى ، إني توجَّهت بوجهي في العبادة لله ﷻ وحده ، فهو الذي خلق السماوات والأرض ، مائلا عن الشرك إلى التوحيد ، وما أنا من المشركين مع الله غيره .

وهذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ(٧٥) فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ(٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَـذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ(٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَـذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ(٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(٧٩) ﴾ [الأنعام: ٧٥ - ٧٩] .

إخوتي في الله ، لقد حاجَّ إبراهيم عليه الصلاة والسلام ملك البلاد النمرود حين ادعى الألوهية لأن الله أعطاه المُلْك فتجبَّر وسأل إبراهيمَ: مَن ربُّك؟ فقال إبراهيم عليه السلام: ربي الذي يحيي الخلائق فتحيا ، ويسلبها الحياة فتموت ، فهو المتفرد بالإحياء والإماتة ، قال النمرود: أنا أحيي وأميت ، أي أقتل مَن أردتُ قَتْلَه ، وأستبقي مَن أردت استبقاءه ، فقال له إبراهيم عليه الصلاة والسلام: إن الله الذي أعبده يأتي بالشمس من المشرق ، فهل تستطيع تغيير هذه السُّنَّة الإلهية بأن تجعلها تأتي من المغرب ؛ فتحيَّر هذا الكافر وانقطعت حجته ، شأنه شأن الظالمين لا يهديهم الله إلى الحق والصواب .

وهذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ

الله الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ قَـالَ أَنَـا أُحْيِـي وَأُمِيـتُ قَـالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ الله يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّـذِي كَفَـرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(٢٥٨)﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ولقد جاء الأنبياء كلهم لمقصد واحد وهو توحيد الله في الارض وإفــراده بالعباده ولكن الناس بدلوا، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِـن رَّسُـولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ(٢٥)﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ولقد أشرك اليهود بالله عندما زعموا أن عزيرًا ابن الله، وأشرك النصـارى بالله عندما ادَّعوا أن المسيح ابن الله وهذا القول اختلقوه، وهم بذلك يشابهون قول المشركين من قبلهم، فكيف يعدلون عـن الحـق إلى الباطـل؟! قـال تعـالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ الله وَقَالَـتْ النَّصَـارَى الْمَسِـيحُ ابْـنُ الله ذَلِـكَ قَـوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِـن قَبْـلُ قَـاتَلَهُمُ الله أَنَّـى يُؤْفَكُـونَ(٣٠)﴾ [التوبة: ٣٠]، ولقد خَلْقَ الله عيسى من غير أب كما خلـق الله آدم مـن غـير أب ولا أم، إذ خلقه من تراب الأرض، ثم قال لـه: "كـن بشـرًا" فكـان. مـن أجل ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ الله كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُـرَابٍ ثِـمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٥٩)﴾ [آل عمران: ٥٩].

فالإسلام هو دين الفطـرة وهـو ملـة إبـراهيم عليـه السـلام، وهـذه الملـة السمحة هي ملة إبراهيم عليه السلام، ولقد سمى الله هذه الأمة بالمسـلمين في الكتـب السـماوية السـابقة وجعـل الله خـاتم الرسـل محمـداً ﷺ شـاهدًا علـى المسلمين بأنه بلغ رسالة ربه، وجعل الله هذه الأمة شاهدة على الأمـم السـابقة بأن رسلهم قد بلَّغتهم كما أخبرهم الله تعالى في كتابه، قال تعـالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْـلِمينَ مِـن قَبْـلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّـاسِ (٧٨)﴾ [الحـج: ٧٨]، ولقد اختار الله تعالى للناس الإسلام، فقال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنـدَ الله الإسلام﴾ [آل عمران: ١٩].

ومن يطلب دينًا غير دين الإسلام الذي هو توحيد الله تعالى والانقياد له بالطاعة ، والعبودية ، ولرسوله النبي الخاتم محمد ﷺ بالإيمان به وبمتابعته ومحبته ظاهرًا وباطنًا ، فلن يُقبل منه ذلك ، وهو في الآخرة من الخاسرين ، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسلام دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٨٥)﴾ [آل عمران: ٨٥].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ – أي: دين الإسلام – فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ كَمَثَلِ الْبَهِيمَةِ تُنْتَجُ الْبَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ – أي مقطوعة الأذن أو الأنف» [(١)] .

وفيما يلي شهادة للفيلسوف الإنجليزي الشهير "توماس كارليل" حيث أطال النفس في كتابه (الأبطال) عن النبي ﷺ يخاطب به قومه النصارى ، ومن ذلك قوله: لقد أصبح من أكبر العار على أي فرد متحدث في هذا العصر أن يصغي إلى ما يقال من أن دين الإسلام كذب ، وأن محمداً خدّاع مزوِّر .

وإن لنا أن نحارب ما يشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول مازالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مائتي مليون من الناس ، أفكان أحدكم يظن أن هذه الرسالة التي عاش بها ومات عليها هذه الملايين الفائقة الحصر والإحصاء أكذوبةٌ وخدعة؟!

أمَّا أنا فلا أستطيع أن أرى هذا الرأي أبداً . . وما الرسالة التي أداها إلا حق صراح ، وما كلمته إلا قول صادق (١٥) .

وقال المؤرخ الإنجليزي ويلز: إن مصير أوربا كلها للإسلام .وإن لم يكن دينا وعقيدة فسلوكا ومنهاجا وأخلاقا (٥) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ١٣٥٨ ، ومسلم ٢٦٥٨ واللفظ للبخاري .

١٣- قول الإسلام في المسيح عليه الصلاة والسلام

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي لـه ، وأشـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع ما جاء في القرآن بأن عيسى عبد الله ورسوله ، قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَن مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيّاً (١٩)قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً (٢٠) قَالَ كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْراً مَّقْضِيّاً (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّاً(٢٢) فَأَجَاءهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْياً مَّنسِيّاً(٢٣) فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً(٢٤) وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً(٢٥) فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْناً فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيّاً(٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً(٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً(٢٨)فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً (٢٩) قَالَ إِنِّي عَبْدُ الله آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً(٣٠)وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً(٣١) وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً(٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً(٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ(٣٤) ﴾ [مريم ١٦ - ٣٤] .

المعنى: واذكر أيها الرسول في هذا القرآن خبر مريم إذ تباعدت عن أهلها ، فاتخذت لها مكانًا مما يلي الشرق عنهم . فجعلت مِن دون أهلـها سـترًا يسـترها

عنهم وعن الناس ، فأرسلنا إليها المَلَك جبريل ، فتمثَّل لها في صورة إنسان تام الخَلْق . قالت مريم له: إني أستجير بالرحمن منك أن تنالني بسوء إن كنت ممن يتقي الله . قال لها المَلَك: إنما أنا رسول ربك بعثني إليك ؛ لأهب لك غلامًا طاهرًا من الذنوب . قالت مريم للمَلَك: كيف يكون لي غلام ، ولم يمسسني بَشَر بنكاحٍ حلال ، ولم أكُ زانية! قال لها المَلَك: هكذا الأمر كما تصفين من أنه لم يمسسك بشر ، ولم تكوني بَغِيًّا ، ولكن ربك قال: الأمر عليَّ سهل ؛ وليكون هذا الغلام علامة للناس تدل على قدرة الله تعالى ، ورحمة منَّا به وبوالدته وبالناس ، وكان وجود عيسى على هذه الحالة قضاء سابقًا مقدَّرًا ، مسطورًا في اللوح المحفوظ ، فلا بد مِن نفاذه . فحملت مريم بالغلام بعد أن نفخ جبريل في جَيْب قميصها ، فوصلت النفخة إلى رَحِمِها ، فوقع الحمل بسبب ذلك ، فتباعدت به إلى مكان بعيد عن الناس . فألجأها طَلْقُ الحمل إلى جذع النخلة فقالت: يا ليتني متُّ قبل هذا اليوم ، وكنت شيئًا لا يُعْرَف ، ولا يُذْكَر ، ولا يُدْرَى مَن أنا ، فناداها جبريل أو عيسى: ألا تَحزني ، قد جعل ربك تحتك جَدْول ماء . وحَرِّكي جذع النخلة تُسَاقِطْ عليك رطبًا غَضًّا جُنِيَ مِن ساعته . فكلي من الرطب ، واشربي من الماء وطيبي نفسًا بالمولود ، فإن رأيت من الناس أحدًا فسألك عن أمرك فقولي له: إني أَوْجَبْتُ على نفسي لله سكوتًا ، فلن أكلم اليوم أحدًا من الناس . والسكوت كان تعبدًا في شرعهم ، دون شريعة محمد ﷺ . فأتت مريم قومها تحمل مولودها من المكان البعيد ، فلما رأوها كذلك ، قالوا لها: يا مريم لقد جئت أمرًا عظيمًا مفترى . يا أخت الرجل الصالح هارون ما كان أبوك رجل سوء يأتي الفواحش ، وما كانت أمك امرأة سوء تأتي البِغاء . فأشارت مريم إلى مولودها عيسى ليسألوه ويكلموه ، فقالوا منكرين عليها: كيف نكلم مَن لا يزال في مهده طفلا رضيعًا؟ قال عيسى وهو في مهده يرضع: إني عبد الله ، قضى بإعطائي الكتاب ، وهو الإنجيل ، وجعلني نبيًا . وجعلني عظيم الخير والنفع حيثما وُجِدْتُ ، وأوصاني بالمحافظة على

الصلاة وإيتاء الزكاة ما بقيت حيًا . وجعلني بـارًّا بوالـدتي ، ولم يجعلـني متكـبرًا ولا شقيًا ، عاصيًا لربي . والسلامة والأمان عليَّ مـن الله يـوم وُلِـدْتُ ، ويـوم أموت ، ويوم أُبعث حيًا يوم القيامة . ذلك الذي قصصنا عليك - أيها الرسول - صفتَه وخبرَه هو عيسى ابن مريم ، مِن غير شك ولا مرية ، بل هو قولُ الحق الذي شك فيه اليهود والنصارى . وجاء رادًا على مخاصمة المشـركون الـنبي في عيسى بن مريم ، لعبـادة النصـارى إيـاه ، عنـد نـزل قولـه تعـالى ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [الأنبيـاء:٩٨] ، فقـال المشركون: رضينا أن تكون آلهتنا بمنزلـة عيسـى ، فـأنزل الله قولـه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ [الأنبيء:١٠٢] ، فالذي يُلْقى في النار من آلهة المشركين من رضي بعبادتهم إياه ، فمـا عيسـى إلا عبـد أنعـم الله عليه بالنبوة ؛ ليكون آية لبني إسرائيل على قدرة الله تعالى قـال تعـالى: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ(٥٩) ﴾ [الزخرف:٥٩] .

والدليل على أن عيسى عليه السلام لم يصلب قول الله تعالى: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً(١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً (١٥٨) ﴾ [النساء: ١٥٨] .

المعنى: وما قتلوا عيسى وما صلبوه ، بل صلبوا رجلا شبيهًا بـه ظنًّـا مـنهم أنه عيسى . ومن ادَّعى قَتْلَهُ من اليهود ، ومن أسلمه إليهم من النصارى ، كلهم واقعون في شك وحَيْرَة ، لا عِلْمَ لديهم إلا اتباع الظن ، وما قتلوه متيقـنين بـل شاكين متوهمين . بل رفع الله عيسى إليه ببدنه وروحه حيًّا ، وطهَّره من الـذين كفروا . وكان الله عزيزًا في ملكه ، حكيمًا في تدبيره وقضائه .

ويخبرنا رسول الله ﷺ بنزول عيسى عليه السلام آخر الزمان ، فَعَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: . . «إِذْ بَعَثَ اللهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إِذَا طَأْطَأَ

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

رَأْسَهُ – أي: خفضه – قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ – أي: يتساقط منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه – ، فَلاَ يَحِلُّ – أي: لا يمكن ولا يقع – لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلاَّ مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ – أي: الدجال – حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ – أي: بلدة قريبة من بيت المقدس – فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللهُ إِلَى عِيسَى إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لاَ يَدَانِ – أي: لا قدرة ولا طاقة – لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ – أي: من كل مكان مرتفع يسرعون – ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ!! وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ – أي: إلى الله – ، فَيُرْسِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ – أي: دود يكون في أنوف الإبل والغنم – فِي رِقَابِهِمْ فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى – أي: قتلى – كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الأَرْضِ فَلاَ يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلاَّ مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللهِ، فَيُرْسِلُ اللهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ – أي: الإبل الخراسانية – فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللهُ » [(١)].

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنُ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «مَنْ قَالَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ، وَابْنُ أَمَتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ؛ أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ» [(٢)].

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٩٣٧ .
(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٨ .

١٤- أركان الإسلام الخمسة وأركان الإيمان الستة ودرجة الإحسان

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع حديث جبريل عليه السلام حين قدم على رسول الله ومعه أصحابه في صورة أدمي ، من حديث أبي ذر ﷺ الذي رواه النسائي الذي قال فيه: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَجْلِسُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَصْحَابِهِ فَيَجِيءُ الْغَرِيبُ فَلاَ يَدْرِي أَيُّهُمْ هُوَ حَتَّى يَسْأَلَ ، فَطَلَبْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ أَنْ نَجْعَلَ لَهُ مَجْلِسًا يَعْرِفُهُ الْغَرِيبُ إِذَا أَتَاهُ ، فَبَنَيْنَا لَهُ دُكَّانًا مِنْ طِينٍ كَانَ يَجْلِسُ عَلَيْهِ ، وَإِنَّا لَجُلُوسٌ وَرَسُولُ الله ﷺ فِي مَجْلِسِهِ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهًا وَأَطْيَبُ النَّاسِ رِيحًا كَأَنَّ ثِيَابَهُ لَمْ يَمَسَّهَا دَنَسٌ حَتَّى سَلَّمَ فِي طَرَفِ الْبِسَاطِ ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمُ . .[1] ، وأما حديث عمر بن الخطاب ﷺ الذي رواه مسلم فلفظه: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ ، لاَ يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ ، وَقَالَ: **«يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنْ الإِسلام»** فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **«الإسلام أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ﷺ ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»**، قَالَ: صَدَقْتَ ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ ، قَالَ: **«فَأَخْبِرْنِي عَنْ الإِيمان»** قَالَ: **«أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»** ، قَالَ: صَدَقْتَ ، قَالَ: **«فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِحْسَانِ»** قَالَ: **أَنْ تَعْبُدَ الله كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»** ، قَالَ: **فَأَخْبِرْنِي عَنْ السَّاعَةِ»** قَالَ: «مَا

---

(١) (صحيح) أخرجه النسائي ٤٩٩١ وصححه الألباني في إرواء الغليل ٣ .

الْمَسؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ» ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا ، قَالَ: «**أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا ، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ**» قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ، ثُمَّ قَالَ لِي: «**يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟** قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ: «**فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ**»[1] .

إخوتي في الله ، من هذا الحديث يتبين لنا أن أركان الإسلام خمسة: أولها شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقامة الصلاة أي: الصلوات الخمس ، وإيتاء الزكاة أي: عند بلوغ نصاب الزكاة ، وصوم رمضان وذلك لمن قدر على الصيام ولم يكن عنده عذر شرعي يمنعه من الصيام ، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إلى ذلك سبيلا ، أما أركان الإيمان فهي ستة وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه مثل التوراة والإنجيل والقرآن ، ورسله واليوم الآخر وما فيه من غيبيات والقدر خيره وشره .

والإسلام مرحلة تسبق الإيمان فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمناً والدليل قول الله تعالى: ﴿ **قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا الله وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [الحجرات:١٤] ، والإيمان عند أهل السنة والجماعة قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان ، ومن أهم صفات المؤمنين الإيمان بالغيب فوصف الله تعالى بها عباده المتقين في سورة البقرة قال تعالى: ﴿ **الم(١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ(٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ(٣)** ﴾ [البقرة:٣] .

ويتحول الغيب إلى مشاهد إذا عاين العبد الحق وحضر الموت فقال: إني تبت الآن فليس لهذا الإنسان توبة أبداً ، إذ أنه الآن لم يعد مؤمناً بعالم الغيب ، بل أصبح مؤمناً بعالم الشهادة ؛ لأنه يرى الملائكة عياناً أمامه ، إذاً: ما الفرق بينه

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٩ .

وبين الكفار الذين طلبوا أن يروا ربهم ، أو يروا الملائكة؟!

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً﴾ [الأنعام:١٥٨] .

والنتيجة الطبيعية لعدم الإيمان بالغيب عدم رؤية الأشياء على حقيقتها ، فيعيش الإنسان في شك وحيرة وشتات للقلب ، يلهث ويجري ويكدح في هذه الحياة ، ولكن من غير هدف ، ومن غير راحة ، ومن غير اطمئنان على الإطلاق ؛ فسبحان الله! هل يطمئنون وهم لا يؤمنون بالآخرة؟ يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤)﴾ [طه:١٢٤] .

ولذلك يصف الله تعالى المؤمنين بأنهم يؤمنون بما جاء به الله ورسوله من غيبيات قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (١٥)﴾ [الحجرات: ١٥] ، وهناك صفات كثيرة للمؤمنين نذكر منها ما جاء في سورة المؤمنون قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ(٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ(٦) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُوْلَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ(١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(١١)﴾ [المؤمنون:١ - ١١] .

وأخبرنا رسول الله ﷺ بأنه من آمن بالله ربًّا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ورسولاً ، وأقام أركان الإسلام: الصلاة والزكاة أدخله الله الجنة ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ؛ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ هَاجَرَ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي

وُلِدَ فِيهَا» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله أَفَلاَ نُنَبِّئُ النَّاسَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا الله لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ الله فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ[١] .

وفي حديث جبريل عليه السلام عرَّف رسول الله ﷺ درجة الإحسان وهي درجة أعلى من درجة الإيمان فَمَن عَبَدَ الله وكأنه يرى الله تعالى فقد بلغ مرتبة الإحسان . وهذه المراقبة لاتكون بالدعوى والكلام بل هي في قلب المرء ، ومن راقب الله في سره هداه الله إلى الأعمال الصالحة ، فمراقبة النفس ما هي إلاّ مجاهدتها أن ترتكب ما لا يرضاه الله تعالى قال الله تعالى: ﴿**والذينَ جاهَدوا فينا لنَهدِيَنَّهُم سُبُلَنا وإنّ الله لَمَعَ المُحسِنينَ**﴾ [العنكبوت:٦٩]

ولقد ضرب الصحابة الكرام المثل الأعلى في مراقبة لله تعالى بعد رسول الله ﷺ ، فقد ورد عَنْ أَنَس رضي الله عنه قَالَ: إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالاً هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنْ الشَّعَرِ ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ الْمُوبِقَاتِ ، قَالَ أَبُو عَبْد الله يَعْنِي بِذَلِكَ الْمُهْلِكَاتِ [٢] .

ذلكم هو الفرق بين جيل الصحابة وتابعيهم وبين ما أعقبهم من أجيال: فلقد عبدوا الله تعالى بإخلاصهم ومراقبتهم لله تعالى قبل أن تتحرك جوارحهم بالعبادة ، فأكرمهم الله تعالى بالهداية والتسديد في هذه الحياة الدنيا ، ولأجر الآخرة أكبر ، فمراقبة الله تعالى ما هي إلاّ مجاهدة النفس أن ترتكب ما لا يرضاه الله تعالى .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٧٩٠ .

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٤٩٢ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

١٥ - الركن الأول من أركان الإسلام

شهادة أن لا اله إلا اللّه وأن محمدا رسول اللّه

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة عظيمة تبين عظمة كلمة التوحيد فعَنْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رضي الله عنهما قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ الله ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ - أي قبيلة من جهينة - فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ فَهزَمْنَاهُمْ ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنْ الأَنْصَارِ رَجُلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله ، فَكَفَّ الأَنْصَارِيُّ فَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ ، فقَالَ: «**يَا أُسَامَةُ أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله؟**» قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذًا - أي مستجيرا من القتل - فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذَلِكَ الْيَوْمِ [(١)] .

فأما الكلمة الأولى: "**شهادة أن لا إله إلا الله**" فأن يعترف الإنسان بلسانه وقلبه بأنه لا معبود بحق إلا الله عز وجل ، والمعني أنه لا معبود حق إلا الله وحده ، وهذه الجملة مشتملة على نفي وإثبات ، أما النفي فهو "لا إله" وأما الإثبات ففي "إلا الله" ، فهو إقرار باللسان بعد أن آمن به القلب بأنه لا معبود بحق إلا الله عز وجل وهذا يتضمن إخلاص العبادة لله وحده ونفي العبادة عما سواه .

أما معنى شهادة "أن محمداً رسول الله" فهو الإقرار باللسان والإيمان بالقلب بأن محمداً بن عبد الله القرشي الهاشمي ﷺ رسول الله عز وجل إلى جميع الخلق من الجن والإنس كما قال الله تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ**

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٨٧٢ و مسلم ٩٦ واللفظ للبخاري .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

الله إِلَيْكُمْ جَمِيعاً الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِالله وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِالله وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨] ، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾ [الفرقان:١] ، ومقتضى هذه الشهادة أن تصدق رسول الله ﷺ فيما أخبر ، وأن تمتثل أمره فيما أمر ، وأن تجتنب ما عنه نهى وزجر ، وأن لا تعبد الله إلا بما شرع ، ومقتضى هذه الشهادة أيضاً ألا تعتقد أن لرسول الله ﷺ حقّاً في الربوبية وتصريف الكون ، أو حقا في العبادة ، بل هو ﷺ عبد لا يعبد ، ورسول لا يكذب ، ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً من النفع أو الضر إلا ما شاء الله كما قال الله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ الله وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الأنعام:٥٠] ، فهو عبد مأمور يتبع ما أمر به ، وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلَا رَشَداً (٢١) قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ الله أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَداً(٢٢)﴾ [الجن: ٢١ - ٢٢] ، وقال سبحانه: ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاء الله وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:١٨٨] ، فهذا معنى شهادة (أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله) .

وبهذا المعنى تعلم أنه لا يستحق العبادة لا رسول الله ﷺ ولا من دونه من المخلوقين ، وأن العبادة ليست إلا لله تعالى وحده ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ(١٦٣)﴾ [الأنعام:١٦٢ - ١٦٣] ، وأن حق رسول الله ﷺ أن تنزله المنزلة التي أنزله الله تعالى إياها وهو أنه عبد الله ورسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، هذا وللشهادتين ثمرات عظيمة منها: تحرير القلب والنفس من الرق للمخلوقين ، والاتباع لغير المرسلين .

وسئل فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله تعالى عن أول واجب

على الخلق ، فأجاب بقوله: أول واجب على الخلق هو أول ما يدعى الخلق إليه وقد بينه النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه لليمن ، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاس رضي الله عنهما ، أَنَّ مُعَاذًا رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ الله، وَأَنِّي رَسُولُ الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ – أي: أن تأخذ أفضل أنعامهم عند جمع زكاة المال – ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الله حِجَابٌ» [1] .

وحتى يدخل الكافر دين الإسلام يغتسل غسل الإسلام وينطق الشهادين هكذا ذهب الْحَنَابِلَةُ ، وذهب الحنفية ، والشافعية إلى استحباب الغسل للكافر إذا أسلم وهو غير جنب ، وإذا أسلم وهو جنب وجب عليه الغسل ، وإذا نطق المرتد بالشهادين صحت توبته عند الحنفية والشافعية والحنابلة (٧١) .

ويأمر الله تعالى أهل الإيمان بطاعة الله ورسوله في أمرهما ونهيهما وعدم إبطال ثوابهم بأعمال الكفر والمعاصي قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا الله وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ (٣٣)﴾ [محمد:٣٣] .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ الله وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى الله وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً (٥٩)﴾ [النساء:٥٩] .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ الله وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠)﴾﴾ [الأنفال:٢٠] ، وأخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ الله، وَمَنْ يَعْصِنِي فَقَدْ عَصَى الله،

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ١٣٩٥ ، ومسلم ١٩واللفظ لمسلم .

وَمَنْ يُطِعْ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي»(١) .

ووضح أبو بكر ﷺ حدود الطاعة في خطبة توليه الخلافة حين قال: أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم (١١) .

ووضَّح عمر ﷺ حدود الطاعة في أول خطبة له عند توليه الخلافة حين قال: يا أيها الناس من أطاع الله فقد وجبت طاعته ومن عصى الله فلا طاعة له ، أطيعوني ما أطعت الله فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم (٣٧) .

ولقد رتب الله على طاعة الله ورسوله السعادة والفلاح والفوز في الدارين ﴿**وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً**﴾ [الأحزاب:٧١] ، كما رتَّب على المعصية ، من العقوبات الدنيوية والأخروية ، ما لا يُعد ولا يحصى ، ولا يحد ولا يستقصى ، يقول سبحانه: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً**﴾ [الأحزاب:٣٦] ، ويقول الاله ﷻ : ﴿**فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور:٦٣] .

وأعظم عقوبةٍ تصيب من خالف أمر الله وأمر رسوله ، وأصر على المعاصي والمنكرات ، أن يحال بينه وبين الإيمان الصحيح ، وبينه وبين العقيدة السليمة ، والطريق المستقيم ، ويبتلى بزيغ القلب ، وتلبيس الشيطان وأعوانه ، فيرى سوء عمله حسناً وقبيحه صحيحاً ، ولا يزال على ذلك مستمرئاً إياه ، متعصباً له ، مجادلاً فيه ، مدافعاً عنه ، حتى يموت عليه ، ويبتلى بسوء الخاتمة - عياذاً بالله من شديد غضبه ، وأليم عقابه ، قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ الله قُلُوبَهُمْ وَالله لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [الصف:٥] (٥٣) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٩٥٧ ومسلم ١٨٣٥ واللفظ للمسلم .

١٦- الركن الثاني من أركان الإسلام إقامة الصلاة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع رحلة الإسراء والمعراج التى فرض فيها الصلاة أخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: « . . ثُمَّ عَرَجَ - أي صعد كلٌ من جبريل عليه السلام ومعه رسول الله ﷺ - إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى سِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلَالِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ الله مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ، فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ الله يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى الله إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلَاةً،قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ: يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقُلْتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام، حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، قَالَ: فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى ﷺ ، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : فَقُلْتُ: قَدْ

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ»[(١)] .

والصلاة شأنها عظيم فإنها خمس في العدد وخمسون في الأجر وفرضت في السماء لعظم شأنها ، فمن أسباب الفلاح المحافظة عليها ، ولقد أخبر الله تعالى أنه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(١)﴾ [المؤمنون: ١] ، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ(٩)﴾ [المؤمنون: ٩] ، وقال تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾ [الإسراء:٧٨] .

المعنى: أقم الصلاة تامة من وقت زوال الشمس عند الظهيرة إلى وقت ظلمة الليل ، ويدخل في هذا صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، وأقم صلاة الفجر وأطِلِ القراءة فيها ؛ فصلاة الفجر تحضرها ملائكة الليل والنهار .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِي لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ الله وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة:٩٩] .

والصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام فلقد قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «بُنِيَ الإسلام عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»[(٢)]

ولقد بين لنا رسول الله ﷺ عظم الصلاة ، فَعَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ الصَّلَاةُ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»[(٣)] .

وَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ عز وجل : انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ، فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنْ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ١٦٢ .
(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ١٦ .
(٣) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٦٢١ ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٥٦٤ .

ذَلِكَ» [١] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ كَفَّارَاتٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ مَا لَمْ يغش الكبائر**» [٢] .

ويتضح من هذا الحديث أن المحافظة على الصلوات الخمس وصلاة الجمعة يكفر الذنوب دون الكبائر ، ولصلاة الجماعة مزية خاصة بينها رسول الله ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ، وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ، بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً**» [٣] .

و لقد هم رسول الله أن يحرق على المتخلفين عن صلاة الجماعة بيوتهم ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَدَ نَاسًا فِي بَعْضِ الصَّلَوَاتِ فَقَالَ: «**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلًا يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنْهَا، فَآمُرَ بِهِمْ فَيُحَرِّقُوا عَلَيْهِمْ، بِحُزَمِ الْحَطَبِ بُيُوتَهُمْ**» [٤] .

ولقد حذر رسول الله ﷺ من عدم قبول صلاة المتخلف عن صلاة الجماعة إلا لعذر ، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِهِ، فَلَا صَلَاةَ لَهُ، إِلَّا مِنْ عُذْرٍ**–» [٥] . والعذر الشرعي كمرض أو نوم أو نسيان أو خوف . . إلخ ، كما أنه لم يرخص للأعمى حين سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّيَ فِي بَيْتِهِ فَرَخَّصَ لَهُ ، فَلَمَّا وَلَّى دَعَاهُ فَقَالَ: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟**» قَالَ: نَعَمْ قَالَ: «**فَأَجِبْ**» [٦] .

ولقد كان الصحابة يعدون المتخلف عن صلاة الجماعة منافقًا ، فَعَنْ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ

---

(١) (صحيح) أخرجه الترمذي ٤١٣ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٠٢٠ .
(٢) (صحيح) أخرجه ابن حبان ١٧٣ وصححه الألباني في التعليقات الحسان ١٧٣ .
(٣) (صحيح) أخرجه مسلم ٦٤٩ .
(٤) (صحيح) أخرجه مسلم ٦٥١ .
(٥) (صحيح)أخرجه ابن ماجه ٧٩٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٢١١٨ .
(٦) (صحيح)أخرجه مسلم ٦٥٣ .

الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ ، فَإِنَّ الله شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى ، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلاَّ كَتَبَ الله لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلاَّ مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ[1] .

إخوتي في الله ، إن من مظاهر ضعف الإيمان: التكاسل عن الطاعات والعبادات ، وإضاعتها ، وإذا أداها فإنما هي حركات جوفاء لا روح فيها ، وقد وصف الله ﷻ المنافقين بقوله: ﴿وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى﴾ [النساء:١٤٢] ، فيتأخر عن صلاة الجماعة ثم عن صلاة الجمعة ، ولقد حث رسول الله ﷺ على أداء الرجل السنن الرواتب في البيت حتى يتأسى به أهل البيت ، فَعَنْ زَيْدِ بن ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**فَعَلَيْكُمْ بِالصَّلاةِ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ خَيْرَ صَلاةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلا الْمَكْتُوبَةَ**»[2] .

ولقد نهى رسول الله ﷺ عن منع النساء الصلاة في المسجد ولكن يخرجن غير متبرجات ولا يزاحمن الرجال وصلاتهن في بيوتهن خير لهن ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ؛ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لاَ تَمْنَعُوا إِمَاءَ الله مَسَاجِدَ الله وَلَكِنْ لِيَخْرُجْنَ وَهُنَّ تَفِلاَتٌ** - أي غير متبرجات -»[3] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٦٥٤ .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٦١١٣ ، ومسلم ٧٨١ .
(٣) (صحيح) أخرجه أبو داود ٥٦٥ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٦٣١ .

١٧- الركن الثالث من أركان الإسلام إيتاء الزكاة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع الصحابي الجليل سعيد بن عامر ، فعن حسان بن عطية قال: لما عزل عمر بن الخطاب معاوية ابن أبي سفيان عن الشام ، بعث سعيد بن عامر قال: فخرج معه بجارية من قريش نضيرة الوجه ، قال: فما لبث إلا يسيرا حتى أصابته حاجة شديدة قال: فبلغ ذلك عمر فبعث إليه بألف دينار قال: فدخل بها على امرأته فقال: إن عمر بعث إلينا بما ترين فقالت: لو أنك اشتريت أدما وطعاما وادخرت سائرها ، فقال لها: أو لا أدلك على أفضل من ذلك نعطي هذا المال من يتجر لنا فيه فنأكل من ربحها وضمانها عليه ، قالت: فنعم إذا ، فاشترى أدما وطعاما واشترى غلامين وبعيرين يمتاران عليهما حوائجهم وفرقها على المساكين وأهل الحاجة ، قال: فما لبث إلا يسيرا حتى قالت له امرأته: إنه قد نفد كذا وكذا فلو أتيت ذلك الرجل فأخذت لنا من الربح فاشتريت لنا مكانه قال: فسكت عنها ثم عاودته فسكت عنها حتى آذته ولم يدخل بيته إلا من ليل إلى ليل ، قال: وكان رجل من أهل بيته ممن يدخل بدخوله فقال لها: ما تصنعين إنك قد آذيته ، وإنه قد تصدق بذلك؟ قال: فبكت أسفاً على ذلك المال ، قال: ثم إنه دخل عليها يوما فقال: على رسلك ، إنه كان لي أصحاب فارقوني منذ قريب ما أحب أني صددت عنهم ، وإن لي الدنيا وما فيها ، ولو أن خيِّرة من خيرات الجنان اطلعت من السماء لأضاءت لأهل الارض ، ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر ولنصيف تكسى خير من الدنيا وما فيها . فلأنت في نفسي أحرى أن أدعك لهن من أن أدعهن لك قال فسمحت ورضيت (٣٧) .

ولقد حثنا الله تعالى على التعجيل بإخراج الزكاة المفروضة قبل مجيء يوم القيامة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤] .

أخي الحبيب ، زكاة المال هى حق الفقراء في المال ويختلف قيمتها باختلاف نوع المال وقيمة المال ، فقيمتها خمسة وعشرون لكل ألف للذهب والفضة والتجارة ، وقيمتها عشر المحصول إذا كانت الأرض تروى بماء المطر بدون مجهود ، ونصف العشر إذ كانت الأرض تروى بماء الترع أي بمجهود ، في حين أن زكاة المال في حالة الغنم والبقر والإبل ، يمكن معرفة تفصيلها من كتب الفقه ، ومصارف زكاة المال ثمانية مصارف ذكرت في هذه الآية قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٦٠] .

المعنى: ولزكاة المال ثمانية مصارف من هذه الآية: فهي للمحتاجين الذين لا يملكون شيئًا ، وللمساكين الذين لا يملكون كفايتهم ، وللسعاة الذين يجمعونها ، وللذين تؤلِّفون قلوبهم بها ممن يُرْجَى إسلامه أو قوة إيمانه أو نفعه للمسلمين ، أو تدفعون بها شرَّ أحد عن المسلمين ، وتعطى في عتق رقاب الأرقاء والمكاتبين ، وتعطى للغارمين لإصلاح ذات البين ، ولمن أثقلَتْهم الديون في غير فساد ولا تبذير فأعسروا ، وللغزاة في سبيل الله ، وللمسافر الذي انقطعت به النفقة .

إخوتي في الله ، من أخرج زكاة المال طيبة بها النفس ذاق طعم الإيمان ، فعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مُعَاوِيَةَ الْغَاضِرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «ثَلَاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ الله وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ رَافِدَةً عَلَيْهِ كُلَّ عَامٍ وَلَا يُعْطِي الْهَرِمَةَ - أي الكبيرة - وَلَا الدَّرِنَةَ - أي المريضة بالدرن - وَلَا الْمَرِيضَةَ وَلَا الشَّرَطَ اللَّئِيمَةَ ، وَلَكِنْ مِنْ وَسَطِ أَمْوَالِكُمْ فَإِنَّ

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

الله لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهِ» [(١)] .

أمَّا الصدقات فليس لها حد معين فبعض الصالحين يخرج عشر المكسب في العام والبعض يخرج عشري المكسب في العام والبعض يخرج مبالغ غير محددة ، على كال حال الصدقات تنمي المال وتباركه في الدنيا علاوة على الجزاء الكبير في الآخرة ، وللإنفاق في سبيل الله والصدقات مزايا وفضائل وفوائد كثيرة نذكر منها:

أولاً: أنها تطفيء غضب الله سبحانه وتعالى كما في قول رسول الله ﷺ : **«إِنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ تُطْفِئ غَضَبَ الرَّبِّ»** [(٢)] .

ثانياً: أنها تمحو الخطيئة ، وتذهب نارها كما قال رسول الله ﷺ : **«وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»** [(٣)] .

ثالثاً: أنها وقاية من النار قال النبي ﷺ : **«فَاتَّقُوا النَّارَ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»** [(٤)] .

رابعاً: أن المتصدق في ظل صدقته يوم القيامة فقد ذكر النبيَّ ﷺ أنَّ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: **«وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ»** [(٥)] .

خامساً: أن في الصدقة دواء للأمراض البدنية ، كما في قوله ﷺ : **«وَدَاوُوا مَرْضَاكُمْ بِالصَّدَقَةِ»** [(٦)] .

سادسا: أن الله يدفع بالصدقة أنواعاً من البلاء فَعَنْ الْحَارِثَ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ الله أَمَرَ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهَا**

---

(١) **(صحيح)** أخرجه أبو داود ١٥٨٢ ، وصححه الألباني في ص .ج ٣٠٤١ .
(٢) **(صحيح)** أخرجه الطبراني في الصغير ١٠٣٤ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٧٥٩ .
(٣) **(صحيح لغيره)** أخرجه الترمذي ٦١٤ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٦٤٣ .
(٤) **(صحيح)** أخرجه البخاري ٧٥١٢، ومسلم ١٠١٦ .
(٥) **(صحيح)** أخرجه البخاري٦٦٠ ، ومسلم ١٠٣١ واللفظ لمسلم.
(٦) **(حسن لغيره)**أخرجه الطبراني ١٠١٩٦ ،وحسنه الألباني في صحيح الترغيب ٧٤٤ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

وَيَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَعْمَلُوا بِهَا . فَقَالَ – مما قاله –: إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ أَنْ أَعْمَلَ بِهِنَّ وَآمُرَكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهِنَّ: وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ، فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ، فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ ، فَقَالَ: أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ فَفَدَى نَفْسَهُ مِنْهُمْ» [١].

سابعا: أن العبد إنما يصل إلى حقيقة البر بالصدقة كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] .

ثامنا: أن الله يضاعف للمتصدق أجره كما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا الله قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١٨] .

تاسعا: البركة والنماء لماله في الدنيا والثواب العظيم في الآخرة ، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ الله كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَالله يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَالله وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)﴾ [البقرة:٢٦١] .

عاشرا: أن المنفق يدعو له المَلَك كل يوم بخلاف المسك وفي ذلك يقول النبي ﷺ : «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللهمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا» [٢] .

حادي عشر: أن صاحب الصدقة يبارك له في ماله كما أخبر النبي عن ذلك بقوله: «مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ» [٣] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) **(صحيح)** أخرجه الترمذي ٢٨٦٣ ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٥٥٢ .
(٢) **(صحيح)** أخرجه البخاري ١٤٤٢ ، ومسلم ١٠١٠ .
(٣) **(صحيح لغيره)** أخرجه الترمذي ٢٣٢٥ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٠٢٤ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

١٨ - الركن الرابع من أركان الإسلام صوم رمضان

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع الصحابي الجليل أبي أمامة الباهلي في الحديث الذي رواه ابن حبان في صحيحه عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ، قَالَ: أَنْشَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشًا ، فَأَتَيْتُهُ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ اللهَ لِي بِالشَّهَادَةِ . قَالَ: «**اللهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُ**» فغَزَوْنَا ، فَسَلِمْنَا وَغنِمْنَا ، حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ . قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُهُ ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي أَتَيْتُكَ تَتْرَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَدْعُوَ لِي بِالشَّهَادَةِ ، فَقُلْتَ:اللهُمَّ سَلِّمْهُمْ وَغَنِّمْهُمْ"، فَسَلِمْنَا وَغَنِمْنَا يَا رَسُولَ اللهِ ، فَمُرْنِي بِعَمَلٍ أَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ ، فَقَالَ: "عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ ، فَإِنَّهُ لَا مِثْلَ لَهُ". قَالَ: فَكَانَ أَبُو أُمَامَةَ لَا يُرَى فِي بَيْتِهِ الدُّخَانُ نَهَارًا إِلَّا إِذَا نَزَلَ بِهِمْ ضَيْفٌ ، فَإِذَا رَأَوَا الدُّخَانَ نَهَارًا ، عَرَفُوا أَنَّهُ قَدِ اعْتَرَاهُمْ ضَيْفٌ [(١)] .

أخي الحبيب ، صيام شهر رمضان أحد أركان الإسلام ، ولقد فرض الله ﷻ صيام رمضان على أمة الإسلام في العام الثاني من الهجرة ، فصام رسول الله ﷺ تسعة رمضانات ، والصيام عبادة قديمة تَعبَّد الله بها من كان قبلنا من الأمم قال تعالى مخاطباً عباده المؤمنين ، السامعين المستجيبين ، المنقادين لشرع الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ(١٨٣) أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤)﴾ [البقرة:١٨٣ ، ١٨٤] .

---

(١) (صحيح) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٣٤٢٥ وصححه الألباني في التعليقات الحسان ٣٤١٦ .

المعنى: فلقد فرض الله عليكم الصيام كما فرضه على الأمم قبلكم ؛ لعلكم تتقون ربكم ، وفرض الله عليكم صيام أيام معلومة العدد وهي أيام شهر رمضان . فمن كان منكم مريضًا يشق عليه الصوم ، أو مسافرًا فله أن يفطر ، وعليه صيام عدد من أيام أُخَر بقدر التي أفطر فيها . وعلى الذين يتكلفون الصيام ويشقُّ عليهم مشقة غير محتملة كالشيخ الكبير ، والمريض الذي لا يُرْجَى شفاؤه ، فدية عن كل يوم يفطره ، وهي طعام مسكين ، فمن زاد في قدر الفدية تبرعًا منه فهو خير له ، وصيامكم خير لكم مع تحمُّل المشقة من إعطاء الفدية ، إن كنتم تعلمون الفضل العظيم للصوم عند الله تعالى .

ولكن لأمة محمد ﷺ في هذا الشهر المزيد من الفضل والخصوصية فهو شهر كريم فيه فضائل كثيرة لم تتوفر لغيرنا من الأمم ، لما فيه من الثواب الجزيل ، ومضاعفة الحسنات ، وتكفير للخطايا ، ومحو للسيئات ، والدعاء المستجاب والعمل المقبول بإذن الله ، ويبين الله تعالى حكمته من فرض صيام رمضان على أمة الإسلام قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ أي: أنكم تنالون بالصيام التقوى ، ويتحقق لكم بصيامكم رمضان تقوى الله جل وعلا ، وذلك بأن المسلم يتعبّد لله بترك الطعام والشراب ، والنساء ، وتلك من الأمور المحببة إليه ، المغروس حبّها في نفسه ، يتركها طاعة لله ، وعبادةً يتقرب بها إلى الله ، مع ميل النفس وحبها لها ، فيحصل الخضوع والطاعة لرب العالمين .

إخوتي في الله ، من رحمة الله تعالى أنه نَوَّعَ لنا العبادات ، فقد شرع الله لنا عبادات متنوعة ، وحكمته جل وعلا في تنوع العبادات: زيادة الإيمان ، قال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح:٤] .

والصائم يتعبد بالصيام لله فيما بينه وبين الله ، فيمتنع عن الإتيان بناقض من نواقض الصيام ؛ لأنه على يقين من مراقبة الله له وعلمه بسره وعلانيته .

والنعم لا تعرف إلا بفقدها ، فالصائم عندما يشتد به الظمأ ، ويؤلمه الجوع ، فيعرف عند ذلك قدر نعم الله ، فيزداد شكراً لله ، بما متّعه بهذه النعم

في كل عامِه ، ويتذكر الفقراء ، فيواسيهم ويتصدق عليهم .

قال فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين عن المفطرات:

١ – **الأكل والشرب**: وأما الإبر غير المغذية مثل إبر البنسلين فهذه لا تفطر والأحوط للإنسان تركها في الصيام ، لقول رسول الله ﷺ : «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ**» (١) .

٢ – **الجماع**: وهو من كبائر الذنوب للصائم في نهار رمضان ، وفيه الكفارة المغلظة: عتق رقبة ، فإن لم يجد رقبة فإنه يصوم شهرين متتابعين فإن لم يستطع يطعم ستين مسكيناً .

٣ – **الإنزال**: أي إنزال المني بفعل الصائم ، مثل أن يقبّل زوجته فيمني فإنه يفسد صومه ، وأما إذا كان الإنزال بغير فعله مثل أن يحتلم: فصيامه لا يبطل .

٤ – **الحجامة**: فيفطر الحاجم والمحجوم لحديث رافع بن خديج أن النبي ﷺ قال: «**أَفْطَرَ الْحَاجِمُ وَالْمَحْجُومُ**» (٢)، فأما خروج الدم بالجرح ، أو قلع الضرس ، أو الرعاف أو نحوه فلا يفطر الصائم .

٥ – **القيء**: إذا استقاء فقاء ، فأما إن غلبه القيء بغير اختياره فإنه لا يفطر .

ويجوز للصائم أن يتطيب بما شاء من الطيب ، ولا يفطر بذلك ، وأيضاً أن يداوي عينه بما شاء من قطور ، ولا يفطر بذلك .

أحبتي في الله ، لشهر رمضان خصائص عظيمة ، تفضل الله بها علينا ، نذكر منها:

١ – أن صيامه وقيامه يكون سبباً لإدراك ليلة القدر التى هي خير من ألف شهر من العبادة ، وأيضا سببا لمغفرة الذنوب أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه **؛** عّنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا**

---

(١) (صحيح) أخرجه (ن) وصححه الألباني في ص .ج ٣٣٧٧ .
(٢) (صحيح) أخرجه (د) ٢٣٦١ وصححه الألباني .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ» [١] ، وَقَالَ: **«مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»** [٢] .

٢ – تفتح أبواب الجنة الثمانية ، وتغلق أبواب النيران وينادي منادٍ يا بَاغِيَ الخَيْر أقبل ، ويا باغي الشر أدبر ، ولله عتقاء في هذا الشهر الكريم ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **«إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ: صُفِّدَتْ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلله عُتَقَاءُ مِنْ النَّارِ وَذَلكَ كُلَ لَيْلَةٍ»** [٣]

٣ – من فطر صائما كان له من الأجر مثل أجر الصائم ولا ينقص ذلك من أجر الصائم ، فَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **«مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا»** [٤] .

ولقد حثنا رسول الله ﷺ بتناول وجبة السحور وتعجيل الفطر وأن نفطر على تمرات ، وأيضا حذرنا من قول الزور والعمل به .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

---

(١) (صحيح) أخرجه (خ)١٨٠٢ ، و(م)٧٦٠ .
(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٧ ، و(م) ٧٥٩ .
(٣) (صحيح) أخرجه (ت) وصححه الألباني في ص .ج ٧٥٩ .
(٤) (صحيح) أخرجه (ت ن ه خزيمة حب) وصححه الألباني في صت ١٠٧٨ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

١٩ - الركن الخامس من أركان الإسلام حج البيت من إستطاع إليه سبيلا

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع ما رواه سعيد بن منصور في سننه بسند صحيح كما يقول السيوطي في الدر المنثور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: لقد هممتُ أن أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار ، فينظروا كل من كان له جِدٌّ - أي يملك نفقة الحج - ولم يحج ، فليضربوا عليهم الجزية ، ما هم بمسلمين . . ما هم بمسلمين .

أما من كان ينوي الحج ، ولكنه يؤخر ، ويسوِّف ، ويقول: أحج العام ، أحج بعد العام ، حتى جاءه الأجل ، وهو لم يحج ، فليس داخلاً في هذا ، وإن كان الحزم أن يعجل الإنسان بالحج ؛ فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ الْفَضْلِ أَوْ أَحَدِهِمَا عَنْ الآخَرِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : «**مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ، فَإِنَّهُ قَدْ يَمْرَضُ الْمَرِيضُ، وَتَضِلُّ الضَّالَّةُ وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ**» [(١)] .

وقد أوجب الله على المستطيع من الناس في أي مكان قَصْدَ هذا البيت لأداء مناسك الحج ، ومن جحد فريضة الحج فقد كفر ، والله غني عنه وعن حجِّه وعمله ، وعن سائر خَلْقه ، فقال: ﴿وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ(٩٧)﴾ [آل عمران:٩٧] ، أخي الحبيب ، هناك بعض الأوامر التي أمرنا الله تعالى بها في الحج في قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لله فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلاَ تَحْلِقُواْ رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ

(١) (حسن) أخرجه ابن ماجه ٢٨٨٣ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٦٠٠٤ .

فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُواْ الله وَاعْلَمُواْ أَنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة:١٩٦] .

والمعنى: أدُّوا الحج والعمرة تامَّيْنِ خالصين لوجه الله تعالى ، فإن منعكم عن الذهاب لإتمامهما بعد الإحرام بهما مانع كالعدو والمرض ، فالواجب عليكم ذَبْحُ ما تيسر لكم من الإبل أو البقر أو الغنم تقربًا إلى الله تعالى ؛ لكي تَخْرُجوا من إحرامكم بحلق شعر الرأس أو تقصيره ، ولا تحلقوا رؤوسكم إذا كنتم محصرين ، حتى ينحر المحصر هديه في الموضع الذي حُصر فيه ثم يحل من إحرامه ، كما نحر النبي ﷺ في "الحديبية" ثم حلق رأسه ، وغير المحصر لا ينحر الهدي إلا في الحرم ، الذي هو محله في يوم العيد ، اليوم العاشر وما بعده من أيام التشريق . فمن كان منكم مريضًا ، أو به أذى من رأسه يحتاج معه إلى الحلق - وهو مُحْرِم - حَلَق ، وعليه فدية: بأن يصوم ثلاثة أيام ، أو يتصدق على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من طعام ، أو يذبح شاة لفقراء الحرم . فإذا كنتم في أمن وصحَّة: فمن استمتع بالعمرة إلى الحج وذلك باستباحة ما حُرِّم عليه بسبب الإحرام بعد انتهاء عمرته ، فعليه ذبح ما تيسر من الهدي ، فمن لم يجد هَدْيًا يذبحه فعليه صيام ثلاثة أيام في أشهر الحج ، وسبعة إذا فرغتم من أعمال الحج ، ورجعتم إلى أهليكم ، تلك عشرة كاملة لا بد من صيامها . ذلك الهَدْيُ وما ترتب عليه من الصيام لمن لم يكن أهله من ساكني أرض الحرم ، وخافوا الله تعالى وحافظوا على امتثال أوامره واجتناب نواهيه ، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره .

ومنهيات الحج بينها الله تعالى فقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ الله وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢] .

والمعنى: يا أيها الذين آمنوا ، لا تتعدَّوا حدود الله ومعالمه ، ولا تستحِلُّوا القتال في الأشهر الحرم ، وهي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، وكان ذلك في صدر الإسلام ، ولا تستحِلُّوا حرمة الهَدْي ، ولا ما قُلِّدَ منه ؛ إذ كانوا يضعون القلائد ، وهي ضفائر من صوف أو وَبَر في الرقاب علامةً على أن البهيمة هَدْيٌ وأن الرجل يريد الحج ، ولا تَسْتَحِلُّوا قتال قاصدي البيت الحرام الذين يبتغون من فضل الله ما يصلح معايشهم ويرضي ربهم . وإذا حللتم من إحرامكم حلَّ لكم الصيد ، ولا يحمِلَنَّكم بُغْض قوم من أجل أن منعوكم من الوصول إلى المسجد الحرام - كما حدث عام "الحديبية" - على ترك العدل فيهم . وتعاونوا - أيها المؤمنون فيما بينكم - على فِعْل الخير ، وتقوى الله ، ولا تعاونوا على ما فيه إثم ومعصية وتجاوز لحدود الله ، واحذروا مخالفة أمر الله فإنه شديد العقاب .

وللحج مواقيت زمانية - كما ذكر كثير من أهل العلم - هي: شوال ، وذو القعدة وعشر من شهر ذي الحجة ، وهي المدة الزمنية التي إذا أدى المسلم فيها العمرة بنية التمتع ، ثم حج من العام نفسه أصبح متمتعًا .

أما المواقيت المكانية للحج والعمرة فهي الخمسة المعروفة: ذو الحُلَيْفَة وقرن المنازل ويَلَمْلَم والجحفة وذات عرق فلا يجوز تجاوزها لمن أراد حجًّا أو عمرة ، فإن تجاوزها فعليه الرجوع ، فإن أحرم بعد تجاوزها صح إحرامه وعليه دم يجبر النقص الذي حصل بترك الواجب .

إخوتي في الله ، للحج آداب وواجبات فمن آداب الحج تحقيق قول الله تعالى: ﴿**فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ (١٩٧)**﴾ [البقرة:١٩٧] ، والرفث يطلق على الجماع ، ويطلق على الفحش من القول والفعل ، والفسوق هي المعاصي كلها ، أما الجدال فهو

المخاصمة بالباطل ، ولعلنا نتساءل ما أركان وواجبات الحج والعمرة؟

فأركان الحج هي: الإحرام بلبس ملابس الإحرام من الميقات ، والوقوف بعرفة بعد فجر يوم التاسع من شهر ذى الحجة ، وطواف الافاضة بعد العودة من المزدلفة إلى منى يوم العاشر ، والسعي بين الصفا والمروة .

وواجبات الحج: الإحرام من الميقات ، والوقوف بعرفة إلى غروب شمس يوم التاسع من شهر ذى الحجة ، والمبيت بالمزدلفة بعد الخروج من عرفة ، والمبيت ليالى التشريق الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من شهر ذي الحجة بمني ،ورمي الجمار جمرة العقبة يوم النحر (٧ حصوات على العقبة الكبرى يوم العاشر من ذى الحجة) والجمار الثلاث أيام التشريق بمنى(سبع حصوات على العقبة الصغرى ثم الوسطى ثم الكبري) ،والحلق والتقصير يوم النحر ، ونحر الهدى للمتمتع والقارن ، والمتمتع الذى قام بعمرة ثم تحلل من العمرة ثم أحرم مرة ثانية بالحج يوم التروية أى الثامن من شهر ذى الحجة ، والقارن هو الذى قرن الحج بالعمرة بإحرم واحد ، والمفرد الذى نوى الحج فقط ، ثم طواف الوداع .

وأركان العمرة: الإحرام والطواف حول الكعبة والسعي بين الصفا والمروة .

وواجبات العمرة: الإحرام من الميقات ، والحلق والتقصير .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٢٠- التمسك بشريعة الإسلام والحذر من الارتداد

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة ذكرت في كتاب الداء والدواء للشيخ محمد الهبدان عن سوء خاتمة مؤذن تنصر ليتزوج امرأة نصرانية ، قال عبد الحق الإشبيلي رحمه الله: ويروى أنه كان بمصر رجلٌ يلزم مسجداً للأذان والصلاة ، وعليه بهاء الطاعة ونور العبادة فَرَقِيَ يوماً المنارة على عادته للأذان ، وكان تحت المنارة دارٌ لنصراني فاطَّلع فيها ، فرأى ابنة صاحب الدار ، فافْتُتِنَ بها ، فترك الأذان ، ونزل إليها ، ودخل الدار عليها ، فقالت له: ما شأنك؟! وما تريد؟! قال: أريدك! قالت: لماذا؟ قال: قد سلبت لُبّي وأخذتِ بمجامع قلبي . قالت: لا أجيبك إلى ريبة أبدا . قال: أتزوجُك .قالت: أنت مسلم وأنا نصرانية ، وأبي لا يزوجني منك ، قال: أتنصر . قالت: إن فعلت أفعلُ، فتنصَّر الرجل ليتزوجها ، وأقام معهم في الدار ، فلما كان في أثناء ذلك اليوم ؛ رَقِيَ إلى سطحٍ كان في الدار ، فسقط منه ، فمات ، فلم يظفر بها ، وفاته دينه .

إخوتي في الله ، لقد أمرالله عباده المؤمنين ، بأن يدخلوا في جميع شرائع الإسلام وأن يعملوا بجميع أحكامه ، ولا يتتبعوا طرق عدوهم الشيطان فيما يدعوهم إليه من المعاصي ، لأنه لهم عدو ظاهر العداوة قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٠٨)﴾ [البقرة:٢٠٨] .

والله جل وعلا أمر عباده المؤمنين كذلك بأن يخافوه حق الخوف وذلك بأن يطاع فلا يُعصى ، ويُشكَر فلا يكفر ، ويُذكَر فلا ينسى ، مع المداومة على التمسك بإسلامهم إلى آخر حياتهم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله

حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران:١٠٢] .

وحذرنا ﷻ من قبول بعض الكتاب ورد بعضه كما فعل بنو إسرائيل من قبل لأن من فعل ذلك ليس له جزاء إلا الذل والفضيحة في الدنيا ويوم القيامة يردُّهم الله إلى أشد العذاب في النار قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا الله بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥)﴾ [البقرة:٨٥] .

معاشر الإخوة ، إن الارتداد عن دين الإسلام إلى الكفر ، تارة يكون بترك الإسلام بالكلية إلى ملة من ملل الكفر ، وتارة يكون بارتكاب ناقض من نواقض الإسلام ، لذا كان من الضروري أن نتناول بعضها حتى نحذر من الوقوع فيها ، وهذا الباب زلت فيه أقدام وضلت فيه أفهام ، وهو من أخطر الأبواب وأعظمها في الدين لا يتجرأ عليه إلا ضعيف الدين قليل الورع ، فتكفير المعين - أي شخص محدد بعينه - يحتاج إلى استيفاء شروط وانتفاء موانع ، وتفصيل ذلك في كتب أخرى مطولة وليس في هذا الكتاب ، وإنما اكتفيت هنا بالإشارة إلى بعض نواقض الإسلام وبعض صور الردة على سبيل الإجمال والعموم ، ولمن يرغب في التوسع في هذا الموضوع فليراجع الكتب المتخصصة في ذلك والله أعلم ، ونذكر من نواقض الإسلام وصور الردة على سبيل الإجمال والعموم ما يلي (٢٧):

١ - **الشرك في عبادة الله تعالى** ، مثل التقرب إلى الموتى بطلب الحاجات منهم ، وصرف النذور لهم والذبح لأضرحتهم ، والذبح للجن لطلب شفاء المريض قال تعالى: ﴿إِنَّ الله لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِالله فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً(٤٨)﴾ [النساء:٤٨] .

٢ - **جحد ما علم من الدين بالضرورة وجوبه** ؛ كإنكار فرض الصلاة ، أو الزكاة ، أو الصوم ، أو الحج ونحو ذلك ، أو من قال بتناسخ الأرواح أي أن من مات تنتقل روحه إلى غيره لأن فيه إنكار البعث ، وكذلك الشك في قدم العالم

أو بقائه أو أنكر وجود الله تعالى ، أو من قال إن العالم باق على الدوام فلا يفنى لأنه يستلزم إنكار القيامة ولو اعتقد حدوثه وهو تكذيب للقرآن ونحو ذلك .

٣ – استحلال ما علم تحريمه في الإسلام بالضرورة ؛ كالزنا ، وشرب الخمر ، وقتل النفس عمدًا بغير حق وعقوق الوالدين ونحو ذلك ، ومنها: سب الله ، أو رسوله ، أو دين الإسلام ، أو الملائكة ونحو ذلك .

٤ – بغض شيءٍ مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به كفر إجماعا ، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ الله فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ(٩) ﴾ [محمد:٩] .

٥ – طاعة العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله ، أو تحليل ما حرمه ، فقد اتخذهم أربابا من دون الله ، قال تعالى: ﴿ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ الله وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهاً وَاحِداً لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١] .

٦ – الاستهزاء بشيء مما جاء به الرسول ﷺ ، كالذي يستهزئ بإعفاء اللحى أو بالسواك أو بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أو بالجهاد أو غير ذلك .

قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِالله وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ(٦٥) ﴾ [التوبة:٦٥] .

٧ – من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباع رسول الله ﷺ وأنه يسعه الخروج من شريعة الإسلام ، كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى عليهما السلام والدليل قول الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلام دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ(٨٥) ﴾ [آل عمران:٨٥] .

٨ – ترك الصلاة مع جحودها ، قال الإمام النووي في شرح مسلم: فان كان منكرا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج من ملة الإسلام ، إلا أن يكون قريب عهد بالإسلام ، ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه ، وإن كان تركها تكاسلا مع اعتقاده وجوبها كما هو حال كثير من الناس ، فقد

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

اختلف العلماء فيه فذهب مالك والشافعى رحمهما الله والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لا يكفر بل يفسق ويستتاب فإن تاب والا قتلناه حدا كالزانى المحصن ، ولكنه يقتل بالسيف ، وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر وهو إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل رحمه الله .

٩ – السحر ومنه الصرف والعطف، فالصرف أى ما يفرق بين الزوجين – والعطف – أى الأعمال التي تحبب الرجل في المرأة والعكس – فمن فعله أو رضى به كفر قال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ (١٠٢)﴾ [البقرة:١٠٢] .

١٠ – مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ الله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ(٢٣)﴾ [التوبة:٢٣] ، كمن يعمل عيناً للتجسس على المسلمين لصالح الأعداء ، قال بعض أهل العلم إن عمل جاسوسا ليس رضا بالكفر ، ولكن لدنيا يصيبها فهو مرتكب لكبيرة ، وإن فعلها حبا للكفر وبغضا للإسلام وإظهارا لشعائر الكفر على الإسلام فهو كافر .

والمرتد عن دين الإسلام له عقوبة في الدنيا وهو القتل بيد الحاكم أو من ينوب عنه– لقول النبي ﷺ : «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ** »[1] ، وفي الآخرة يكون من أصحاب الجحيم والعياذ بالله لقول الله تعالى : ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ(٢١٧)﴾ [البقرة:٢١٧] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٠١٧ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٢١ - توحيد اللّه تعالى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة عبد الله بن حذافة السهمي كما ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن حذافة السهمي أحد الصحابة أنه أسرته الروم ، فجاؤوا به إلى ملكهم فقال له: تَنَصَّر وأنا أُشْركك في مُلْكِي وأزوجك ابنتي ، فقال له: لو أعطيتني جميع ما تملك وجميع ما تملكه العرب على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين ما فعلت ، فقال: إذاً أقتلك ، فقال: أنت وذاك ، قال: فأمر به فصلب ، وأمر الرماة فرموه قريباً من يديه ورجليه وهو يعرض عليه دين النصرانية فيأبى ، ثم أمر به فأنزل ، ثم أمر بقدر ، وفي رواية ببقرة من نحاس فأحميت ، وجاء بأسير من المسلمين فألقاه وهو ينظر ، فإذا هو عظام تلوح ، وعرض عليه فأبى ، فأمر به أن يُلْقى فيها ، فرفع في البكرة ليلقى فيها ، فبكى فطمع فيه ودعاه ، فقال: إنما بكيتُ لأن نفسي إنما هي نفس واحدة تُلقى في هذه القدر الساعة في الله ، فأحببت أن يكون لي بعدد كل شعرة في جسدي نفس تعذب هذا العذاب في الله . وفي بعض الروايات أنه سجنه ومنع منه الطعام والشراب أياماً ، ثم أرسل إليه بخمر ولحم خنزير فلم يقربه ، ثم استدعاه فقال: ما منعك أن تأكل؟ فقال: أما إنه قد حل لي ، ولكن لم أكن لأِشَمِّتك بي ، فقال له المِلك: فقبل رأسي وأنا أُطْلِقك ، فقال: وتطلق معي جميع أسارى المسلمين؟ قال: نعم ، فقبل رأسه فأطلقه وأطلق معه جميع أسارى المسلمين عنده ، فلما رجع ، قال عمر رضي الله عنه : حق على كل مسلم أن يُقَبِّل رأس عبد الله بن حذافة ، وأنا أبدأ ، فقام فقبل رأسه رضي الله عنهما . . . . اهـ .

أخي الحبيب ، الهواء تحسُّه الأيدي ولا تراه من أخفاه؟ النَّبت في الصحراء من

أرْبَاه؟ البدر من أتمَّه وأسراه؟ النخل من شقَّ نواه؟ الجبل من أرساه؟ الصخر من فجَّر منه المياه؟ النهر من أجراه؟ البحر من أطغاه؟ الليل من حاك دُجَاه؟ الصُّبح من أسفره وصاغ ضحاه؟ النوم من جعله وفاة؟ واليقظة منه بعثًا وحياة؟!! العقل من منحه وأعطاه؟ النحل من هداه؟ الطير في جو السماء من أمسكه ورعاه؟ في أوكاره من غـذَّاه ونمَّاه؟ الجبار من يقصمه؟ المظلوم من ينصره؟ المضطَّر من يجيبه؟ الملهوف من يغيثه؟ الضال من يهديه؟ الحيران من يرشده؟ العاري من يكسوه؟ الجائع من يشبعه؟ الكسير من يجبره؟ الفقير من يغنيه؟ أنت ، أنت مَنْ خلقك؟ من صوَّرك؟ من شق سمعك وبصرك؟

ستجيب ما في الكون من آياته :::عجب عجاب لو ترى عيناكا

ربي لك الحمد العظيم لذاتك:::حمدًا وليس لواحد إلاَّكا

إن لم تكن عيني تراك:::فإنني في كل شيء أستبين عُلاكا

الكون كله بكائناته يسجد لله ويخضع ويذل وتبقى فئة من الناس معرضة ، كل الخلائق تسجد لله رب العالمين ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (١٨)﴾ [الحج:١٨] ، فسبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته ، وَعن عمرو بن عبسة قال:قال رسول الله ﷺ : «مَا تَسْتَقِلُّ الشَمْسُ فَيَبقَى شَيءٌ مِنْ خَلْقِ الله إلا سَبَّحَ اللهَ بِحَمدِهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ الشَّيَاطِينِ وَأَغْبِيَاءِ بَنِي آَدَمَ» [1] ، وصدق رسولَ الله ﷺ (٥٩) .

إخوتي في الله ، **الشرك شركان : شرك أكبر، وشرك أصغر .**

الشرك الأكبر: وهو أن يجعل الند شريكا لله في أنـواع العبـادات أو بعضـها كمن يذبح لغير الله ، وينـذر لغـير الله ، ويـدعو غـير الله ، ويسـتعين بغـير الله

---

(١) (حسن) أخرجه أبو نعيم في الحلية ج ٦ صفحة ١١١وحسنه الألباني في ص.ج ٥٥٩٩ .

ويخاف غير الله ويرجو ويستغيث بغير الله .

الشرك الأصغر: مثل الحلف بغير الله ، أو في الرياء وهو أن يعمل الرجل العمل من أجل الناس حتى يثنوا عليه كمن يحسن صلاته من أجل الناس ، ومن ينفق الأموال ويتصدق حتى يقول الناس: أنه منفق ، ومن يجاهد بشجاعة ليقال: شجاع .

والإيمان بالله عز وجل: هو الإيمان بوجوده وإفراده بالربوبية والألوهية والإيمان بجميع أسمائه وصفاته ، فتوحيد الربوبية أى الإيمان بأن الله هو الخالق الرازق المدبر لهذا الكون وحده لا شريك له ، وتوحيد الألوهية هو إفراد الله تعالى بالعبادة كالدعاء والإنابة والاستغاثة والرجاء والخوف والذبح . .إلخ ، وتوحيد الأسماء والصفات أي الإيمان بأسمائه وصفاته التى جاءت في الكتاب والسنة ، وطريقة أهل السنة في توحيد أسماء الله وصفاته على ثلاثة أوجه:

الأول: إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل ، فالله سبحانه وتعالى سميع ، فالسمع معلوم والكيف مجهول ، وكذا الله بصير ، فالبصر معلوم والكيف مجهول ، وهكذا لباقي الصفات ، ونحن نؤمن بأن كل صفات الله الواردة في الكتاب والسنة حقيقية تليق بجلال الله ولا تماثل المخلوقين .

الثاني: نفي ما نفاه الله عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله من صفات النقص ، فالله تعالى نفى عن نفسه الظلم ، ومن ثم يثبت الضد فهو العدل .

الثالث: أما ما لم يرد نفيه ولا إثباته مما تنازع عليه الناس كالجسم والحيز والجهة ونحوه فنتوقف في لفظه ، فلا يثبت ولا ينفى لعدم وروده ، وأما معناه إن أريد به باطل ينزه الله عنه ردوه ، وإن أريد به حق لا يمتنع عن الله قبلوه .

والعبادة التي أمر الله بها لا تسمى عبادةً إلا مع توحيد الله تعالى ، فلا تصح العبادة مع الشرك ، ولا يوصف أحد بأنه عبد لله تعالى إلا مع تحقيقه التوحيد ،

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

وإفراد الله تعالى وحده بالعبادة ، فمن عَبَد الله تعالى وأشرك معه غَيْرَه فليس عبدا لله ، فتوحيد الله تعالى ، وإخلاص العبادة لله وعدم الإشراك به ، هو الشرط في قبول العبادة عند الله ، إضافة إلى أن العبادة لا تكون مقبولة إلا بموافقة الشرع وعلى وفق سنة رسول الله ﷺ ، كما قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:١١٢] .

ومعنى ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله﴾ أي: حقق التوحيد فأخلص عبادته لله .

ومعنى ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ ، أي: مُتَّبع لرسول الله ﷺ .

و عبادة الله ﷻ لها ثلاثة أصول مجتمعة وهي المحبة والخوف والرجاء ، فمن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن (١٨) .

فالحب بمثابة رأس الطائر ، والخوف والرجاء للمؤمن بمثابة الجناحين للطائر ، فلابد أن يجتمع كل من الخوف والرجاء في قلب المؤمن حتى يحلق في سماء الإيمان ، لذلك جمع الله بين الخوف والرجاء في سياق واحد في معرض مدحه لعباده المؤمنين ، فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠] .

وَعَنْ أَنَس رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ فَقَالَ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ قَالَ: وَاللهِ يَا رَسُولَ الله إِنِّي أَرْجُو الله ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ الله مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ**»[1] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) (حسن) أخرجه الترمذي ٩٨٣ وحسنه الألباني في صت ٣٣٨٣ .

٢٢ - إخلاص العمل لله تعالى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع صاحب النقب ، أخرج ابن قتيبة الدينوري في عيون الأخبار عن حاتم عن الأصمعيّ قال: حدّثنا أبو عمرو الصّفّار قال: حاصر مَسْلَمَةُ بن عبد الملك حصنا فندب - أي حث - الناس إلى النقب - أي النفق - ، فما دخله أحد ، حتى جاء رجل من عرض الجيش - أي جيش المسلمين - فدخله وعالج الباب - أي تعامل مع الباب - فكسره ، ففتحه الله عليهم ، فنادى مَسْلَمَةُ على صاحب النَقَب فما جاء أحد .

قال: فليدخل عليَّ ساعة يأتي . فأتى رجل فقال للحاجب - أي الحارس -: استأذن لي على الأمير .فقال: أنت صاحب النقب؟ قال: أنا أخبركم عنه .فأتى مسلمة فأخبره الحاجب ، فأذن له ، فقال له: إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثا: ألا تسودوا - أي تكتبوا - اسمه في صحيفة الخليفة ، ولا تأمروا له بشيء ، ولا تسألوه من هو؟ قال مسلمة: نعم فمن هو؟ قال الرجل: أنا هو ثم اختفى ، فكان مَسْلَمَةُ لا يصلى صلاة إلا قال: اللهم اجعلني مع صاحب النقب .

ولقد حثنا الله ﷻ على الإخلاص في الأعمال ، فقال تعالى على لسان إبراهيم ﷺ : ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢] ، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة:٥] .

وعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»(١)، وعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ**»، قَالُوا: وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**الرِّيَاءُ يَقُولُ الله ﷻ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاؤُونَ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً**»(٢) .

أخي الحبيب، قال أحد الحكماء: مَثَل من يعمل الطاعات للرياء والسمعة كَمَثَلِ رجل خرج إلى السوق وملأ كيسه حصاة ، فيقول الناس: ما ملأ كيس هذا الرجل! ولا منفعة له سوى مقالة الناس ، ولو أراد أن يشتري شيئا لا يُعْطَى به شيئا ، كذلك الذي عمل العمل لِيُرائي الناس لا ثواب له في الآخرة كما قال الله تعالى: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُوراً(٢٣)**﴾ [الفرقان:٢٣] ، يعنى أن الأعمال التى عملوها لغير وجه الله أبطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور ، وهو الغبار الذي يرى في شعاع الشمس ، فالرجلان بجوار بعضهما ، يصليان صلاة واحدة ، وخلف إمام واحد ، وبينهما كما بين الأرض والسماء .

الله أكبر! كم من عمل صغير تكبره النية ، وكم تبلغ مجرد النية بأصحابها ولو لم يعملوا ، أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنْ الْمَدِينَةِ فَقَالَ: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: «**وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ**»(٣) .

وهذا والله هو الفضل أن تنوي الخير وتسبق بنيتك ، فلا تحرم نفسك من هذا الفضل العظيم ، وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل منهما؟!!

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ١ ، ومسلم واللفظ للبخاري١٩٠٧ .
(٢) (صحيح) أخرجه أحمد ٢٣٦٣٠ وصححه الألباني في ص ج ١٥٥٥ .
(٣) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٤٢٣ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

إنه الإخلاص رفع الله به قوماً ، ووضع بتركه آخرين(٤١) .

معاشر الإخوة ، من الوسائل التى تعين على تحقيق الإخلاص ما يلى:

أولاً: أن تعرف ما هو الإخلاص؟ والإخلاص: أن يكون العمل لله لا ترى فيه نفسك ولا حظوظها ، ولا ترى فيه الخلق ؛ وعلامة الإخلاص: استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن ، وليس معنى ذلك أن تعذب نفسك بكثرة الوساوس ، وهل أنت مخلص أم مُرَاءٍ ، فتنبه ؛ فكم من الناس يحرمون أنفسهم من الأعمال بحجة: نخشى أن نقع في الرياء . يتركون الكثير من الأعمال بحجة أن هذا العمل رياء ، والعلاج تصحيح النية .

ثانياً: معرفة الله وعظمته وقدرته وفضله ﴿**وَلَوْلا فَضْلُ الله عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَداً وَلَكِنَّ الله يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَالله سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [النور:٢١] ، فهل ينظر للخلق من عرف الله بحق؟! بالطبع لا .

ثالثاً: معرفة النفس وأنها جاهلة ظالمة طبعها الكسل وحب الشهوات ، والظهور ، فتذكر يا ابن آدم أنك تموت ، وتدخل القبر وحدك ، وتبعث وحدك ، وتحاسب وحدك ، فتنبه!! فلا يغرك الناس فأنت أعلم بنفسك .

رابعاً: اعلم أنك عبد محض ، والعبد لا يستحق على خدمته لسيده أجراً ، إذ هو يخدمه بمقتضى عبوديته ، فما يناله من سيده من الأجر فهو تفضل منه .

خامساً: أنت مخلوق ضعيف ﴿**خُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً**﴾ [النساء:٢٨] ، فَأَكثر من الاستعانة بالله ، وألح عليه بالدعاء أن يرزقك الإخلاص قبل العمل ، وأثناء العمل وبعد العمل ، واستعذ بالله من شر نفسك ومن الرياء ،

فَعَنْ أَبِي عَلِيٍّ رَجُلٍ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ قَالَ: خَطَبَنَا أَبُو مُوسَى ﷺ فَقَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ**» فَقَالَ لَهُ مَنْ شَاءَ الله أَنْ يَقُولَ: وَكَيْفَ نَتَّقِيهِ وَهُوَ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «**قُولُوا اللهمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ**

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُ»(١) (٥٤) .

إخوتي في الله ، هناك أمور يجب التنبيه عليها في مسألة الإخلاص:

أولاً: إخفاء الأعمال علامة على الإخلاص لكنه ليس شرطاً للإخلاص ، المهم ألا تقصد نظر الناس إليك ، ولا يهمك نظرهم وقولهم .

ثانياً: ليس من الرياء نشاط العبد للخير عند مجالسة الصالحين ، فإن مجالستهم تبعث على النشاط وعلو الهمة ، فليكن عملك لله وليس لهم وإن كانوا سبباً في تشجيعك للعمل ، لكن احذر الكسل على الدوام .

ثالثاً: ثناء الناس ومدحهم لا ينافي الإخلاص ، بل قد يكون عاجل بشرى المؤمن ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ الله ﷺ أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنْ الْخَيْرِ وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ قَالَ: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**»(٢) ، لكن إياك أن يكون العمل طلباً للثناء ، أو حتى انتظار الثناء من المخلوقين ، فالمخلص يفر من الشهرة ، ولكن الله يضع له القبول في الأرض فيسر العبد بفضل الله ، قال ابن رجب: وهنا نكتة دقيقة ، وهي أن الإنسان قد يذم نفسه بين الناس ، يريد بذلك أن يُري الناس أنه متواضع ، فيرتفع بذلك عندهم .

رابعاً: ليس معنى الإخلاص ترك العمل خوفا من الرياء ، قال الفضيل ابن عياض: ترك العمل من أجل الناس رياء ، والعمل من أجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما . نسأل الله أن يعافينا وإياكم منهما .

خامساً: يقول ابن القيم رحمه الله: لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس ، إلا كما يجتمع الماء والنار .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❋ ❋ ❋

---

(١) **(حسن لغيره)** أخرجه أحمد ١٩٦٠٦ وحسنه الألباني صحيح الترغيب ٣٦ .

(٢) **(صحيح)** أخرجه مسلم ٢٦٤٢ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٢٣ - الإيمان بالملائكة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة نزول جبريل عليه السلام بالرسالة على رسول الله ﷺ في غار حراء . أخرج البخاري في صحيحه عن عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: كَانَ أَوَّلَ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاَءُ فَكَانَ يَلْحَقُ بِغَارِ حِرَاءٍ ، فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ . قَالَ: وَالتَّحَنُّثُ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ بِمِثْلِهَا ، حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ: «اقْرَأْ» ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **«مَا أَنَا بِقَارِئٍ»** ، قَالَ: **فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي»** ، فَقَالَ: **«اقْرَأْ** ، قُلْتُ: **«مَا أَنَا بِقَارِئٍ ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي»** فَقَالَ: **«اقْرَأْ»** ، قُلْتُ: **«مَا أَنَا بِقَارِئٍ فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجُهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي»** ، فَقَالَ: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ(١) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ(٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ(٥)**﴾ [العلق: ١ - ٥] ، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ: **«زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»** ، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ ، قَالَ لِخَدِيجَةَ: **«أَيْ خَدِيجَةُ، مَا لِي! لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي-فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ»** ، قَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلاَّ ، أَبْشِرْ فَوَاللهِ لاَ يُخْزِيكَ الله أَبَدًا ، فَوَاللهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ - أي تنفق على الضعيف - ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ - تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك - ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ - أي تكرمه - ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ ، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا ، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ

يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ ، وَيَكْتُبُ مِنْ الإِنْجِيلِ بِالْعَرَبِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ ، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ ، قَالَ: وَرَقَةُ يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى ، فَقَالَ: وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ - أي جبريل - الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى ، لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا . قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟**» قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ أُوذِيَ ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ حَيًّا أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ، ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ [(١)] .

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**» [(٢)] .

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ**»[(٣)] .

إخوتي في الله ، نحن نحب الملائكة جميعهم ونواليهم ولا نفرق بين ملك وآخر ؛ لأنهم جميعا عباد لله تعالى عاملون بأمره وتاركون لنهيه ولقد زعم اليهود أن جبريل عدو لهم وأن ميكائيل ولي لهم فأخبرهم ربهم بأن من عادى أحدا منهم فقد عادى الله ﷻ ، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧)**﴾ [البقرة: ٩٧] .

ولقد رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام على صورته مرتين: أحدهما في غار حراء ، والأخري في رحلة الإسراء والمعراج رآه بستمائة جناح يسد الأفق بين المشرق والمغرب.

وأخبرنا الله ﷻ بأن الملائكة لهم أجنحة يتفاوتون في أعدادها مثنى وثلاث

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٩٥٣ ومسلم ١٦٠ واللفظ للبخاري .
(٢) (صحيح) أخرجه (مسلم ٢٩٩٦ .
(٣) (صحيح) أخرجه أبو داود ٤٧٢٧ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٨٥٤ .

ورباع ، ومنهم من له أكثر من ذلك كما أسلفنا أن جبريل عليه السلام له ستمائة جناح ، وهم خلق من نور وليسوا كالبشر يأكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتزوجون مطهرون من الشهوات ومنزهون عن الآثام والخطايا ولا يتصفون بشيء من الصفات المادية لبني آدم ، غير أنهم لهم القدرة أن يتشكلوا بصور البشر ، والملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم فهم يتأذون من رائحة الثوم والبصل والكرات ، ولا تدخل الملائكة بيت فيه كلب أو صورة ولا يملون ولا يتعبون من عبادة الله ﷻ. وأن الملك الموكل بالوحي إلى الرسل عليهم الصلاة والسلام هو الروح الأمين جبريل عليه السلام ، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ(١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ(١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ(١٩٥)﴾ [الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥].

والملك الموكل بالقطر أى المطر هو ميكائيل عليه السلام ، والملك الموكل بالنفخ في الصور ، فالنفخة الأولى نفخة الصعق لصعق كل الخلائق إلا من شاء الله ، والنفخة الثانية نفخة البعث والنشور .

فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدْ الْتَقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْمَرَ أَنْ يَنْفُخَ فَيَنْفُخَ** قَالَ الْمُسْلِمُونَ: فَكَيْفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: **قُولُوا حَسْبُنَا الله وَنِعْمَ الْوَكِيلُ تَوَكَّلْنَا عَلَى الله تَوَكَّلْنَا** [1] .

وملك الموت وأعوانه هم الموكلون بقبض الأرواح قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (١١)﴾[السجدة: ١١].

والملائكة الموكلة بحفظ العبد في الحضر والسفر وفي النوم واليقظة وفي كل حالاته ويحصون ما يصدر عنه من خير أو شر هم المعقبات ،

---

(١) (صحيح لغيره) أخرجه الترمذي ٣٢٤٣ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٣٥٦٩ .

قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ الله (١١)﴾ [الرعد: ١١] .

والملائكة الموكلة بإحصاء ما يصدر من العبد من خير وشر هم الكرام الكاتبون قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ(١٠) كِرَاماً كَاتِبِينَ(١١) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ(١٢)﴾ [الانفطار: ١١ - ١٢] .

وخزنة الجنة وهم ملائكة كرام قال تعالى: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ [الرعد:٢٣] .

وخزنة جهنم ملائكة كرام هم الزبانية ورؤساؤهم تسعة عشر وفي مقدمتهم مالك عليه السلام قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ(٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ(٢٨) لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ(٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ(٣٠)﴾ [المدثر ٢٧ - ٣٠]، وقال تعالى عن نداء أهل النار لمالك عليه السلام: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٨)﴾ [الزخرف:٧٧ - ٧٨] .

وحملة العرش يوم القيامة ثمانية من الملائكة العظام قال تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٧] .

وهناك أنواع أخرى من الملائكة مثل ملائكة حِلَقِ الذِّكْرِ السُّيَاحِ الذين يَحُفُّونَ حِلَقِ الذِّكرِ بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، وملائكة صفوف لا يفتَرون ، وقُيَّام لا يركعونَ ، وَرُكَّعٌ وسُجَّدٌ لا يرفعون ، وآخرون لا نعلمهم الله يعلمهم .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❋ ❋ ❋

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٢٤ - الإيمان بالأنبياء والرسل والكتب السماوية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع رحلة الإسراء والمعراج ولقاء النبي ﷺ بالأنبياء ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «بَيْنَا أَنَا عِنْدَ الْبَيْتِ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقْظَانِ وَذَكَرَ يَعْنِي رَجُلًا بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ، فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَشُقَّ مِنْ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ الْبَطْنِ، ثُمَّ غُسِلَ الْبَطْنُ بِمَاءِ زَمْزَمَ ثُمَّ مُلِئَ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، وَأُتِيتُ بِدَابَّةٍ أَبْيَضَ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ الْبُرَاقُ، فَانْطَلَقْتُ مَعَ جِبْرِيلَ ، حَتَّى أَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى آدَمَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى عِيسَى وَيَحْيَى فَقَالَا: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الثَّالِثَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى يُوسُفَ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، قَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قِيلَ: نَعَمْ. قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِدْرِيسَ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الْخَامِسَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْنَا عَلَى هَارُونَ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَأَتَيْنَا عَلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ:جِبْرِيلُ قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قِيلَ: مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَأَتَيْتُ عَلَى مُوسَى

فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبِيٍّ، فَلَمَّا جَاوَزْتُ بَكَى فَقِيلَ: مَا أَبْكَاكَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ هَذَا الْغُلَامُ الَّذِي بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَفْضَلُ مِمَّا يَدْخُلُ مِنْ أُمَّتِي ، فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ جِبْرِيلُ قِيلَ: مَنْ مَعَكَ قِيلَ مُحَمَّدٌ قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ مَرْحَبًا بِهِ وَلَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِكَ مِنْ ابْنٍ وَنَبِيٍّ . .»[(١)] .

والنبي هو رجل حر أُوْحِيَ إليه يأتي مقررا شرعا سابقا ، والرسول هو رجل حر يُوحَى إليه بشرع جديد وأمر بتبليغه ، وعدد الأنبياء والمرسلون الذين ذكروا في القرآن خمسة وعشرون نبيا ، والأنبياء والمرسلين الذين ذكروا في القرآن هم آدم ونوح وإدريس وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وداود وسليمان ويونس وأيوب وصالح وهود وصالح وموسى وهارون وإلياس وذو الكفل واليسع وزكريا وعيسى ويحيى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ، وذكر في القرآن أنبياء على سبيل الإجمال وليس التفصيل كالأسباط وهم الأنبياء الذين كانوا من قبائل بني إسرائيل الاثنى عشر من ولد يعقوب عليهم السلام ، وذكر نبي لبني إسرائيل قال عنه المفسرون هو يوشع ابن نون وهو غلام موسى عليه السلام في رحلة الخضر وهو الذى سأله قومه ملكا لمحاربة العماليق بقيادته فاختار لهم طالوت بوحي من ربه .

والأنبياء والمرسلين يكونون ذكورا وليسوا إناثا ؛ لأن الأنوثة تقتضى التستر ، والتستر ليس من صفة الأنبياء والمرسلين لما يتعارض من متطلبات الدعوة والتبليغ ، وهم يتزوجون ويتناسلون ويتعرضون لكل ما يتعرض له سائر البشر من المرض والموت ويأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ، ونعتقد بعصمة الرسل الكرام وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومعنى العصمة أنهم لا يتركون واجبا ولا يفعلون محرما ولا يفعلون ما يتنافى مع الخلق الكريم ونعتقد بأن الله حلاهم بالأخلاق العظيمة .

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٢٠٧ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «كَانَ آدمُ نَبِياً مُكَلَماً، كَانَ بَيْنَهُ وبَيْنَ نُوحٍ عَشْرَةُ قُرُونٍ، وَكَانَتْ الرُسُلُ ثَلَاثمِائةً وخَمسةَ عَشْرٍ»[1] .

وعدد الأنبياء والمرسلين الذين ذكروا في القرآن خمسة وعشرون ، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً(١٦٣) وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً(١٦٤) رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً (١٦٥)﴾ [النساء: ١٦٣ – ١٦٥] ، وقال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ(٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ(٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ(٨٧)﴾ [الأنعام: ٨٥ – ٨٧] ، وقال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ(٨٥)﴾ [الأنبياء: ٨٥] ، وقال تعالى: ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَل لَّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً(٧)﴾ [مريم: ٧] ، وقال تعالى: ﴿وَيَا قَوْمِ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ(٨٩)﴾ [هود: ٨٩] ، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ(١٧٧)﴾ [الشعراء: ١٧٧] . وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ(٧)﴾ [يوسف: ٧] .

إخوتي في الله ، ولقد أرسل الله تعالى مع الأنبياء والمرسلين معجزات وهي أمور خارقة للعادة ليقيم الدليل القاطع على صدق نبوته .

ولقد اختلفت أساليب تلقى الرسالة بينهم فمنها المسموع من الله من وراء حجاب بلا واسطة ، ومنها ما يسمعه الملك من ربه فيبلغه إلى الرسول البشري ،

---

(١) (صحيح) أخرجه أبو جعفر الرزاز في مجالس الأماني (ق/ ١٧٨/ ١) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٦٦٨ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

ومنها ما هو بخط الله ﷻ كما في ألواح التوراة .

والكتب السماوية يصدق بعضها بعضا فكلها متفقة في عقيدة التوحيد بأنه لا اله إلا الله وأن الموت حق والبعث حق والجنة حق والنار حق وأن المؤمنين مآلهم لجنة الخلد وأن الكفار والعصاة مآلهم إلى النار ، وأما الشرائع فمختلفة ، فشريعة اليهود غير شريعة النصارى غير شريعة الإسلام وهكذا ، فالحلال والحرام قد يختلف من شريعة لأخرى فقد يخفف الله تعالى على هؤلاء ويشدد الله تعالى على هؤلاء ، وقد يحرم على أمة من الأمم كأمة بني إسرائيل مثلا ما قد يحله على أمة أخرى كأمة الإسلام .

ولقد تعرضت الكتب السابقة للقرآن للتحريف والتبديل وجاء القرآن ناسخا لكل هذه الكتب والقرآن هو الكتاب الخاتم وليس بعده كتاب ينسخه ولا مغير ولا مبدل لشيء من شرائعه بعده ، والكتب السماوية التى سبقت القرآن والتى ذكرت في القرآن التوراة ، والزبور ، والإنجيل ، على موسى ، وداود ، وعيسى عليهم السلام ، وكذلك صحف إبراهيم عليه السلام ، ولا يجوز لأمة المسلمين العمل بهذه الشرائع بل بشريعة الإسلام فقط .

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما **:** أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ فَقَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَغَضِبَ فَقَالَ: «**أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا بْنَ الْخَطَّابِ ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى ﷺ كَانَ حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**»[١] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

***

(١) (حسن لغيره) أخرجه أحمد ١٥١٥٦وحسنه الألباني في الإرواء ١٥٨٩ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٢٥ - الإيمان باليوم الآخر

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة رجل من بني إسرائيل قيل: إنه عزير وقيل غير ذلك والله أعلم ، مرَّ وهو راكبا على حماره ويحمل طعامه وشرابه ، على أورشاليم القدس بعد أن هدمها أعداء بني إسرائيل وأصبحت ديارها محطمة خالية من أهلها فقال: كيف يحيي الله هذه القرية بعد موتها؟ فأماته الله مائة عام ، ثم ردَّ إليه روحه ، وقال له: كم قدر الزمان الذي لبثت ميتًا؟ قال: بقيت يومًا أو بعض يوم ، فأخبره بأنه بقي ميتًا مائة عام ، وأمره أن ينظر إلى طعامه وشرابه ، وكيف حفظهما الله من التغيُّر هذه المدة الطويلة ، وأمره أن ينظر إلى حماره كيف أحياه الله بعد أن كان عظامًا متفرقة؟ وقال له: ولنجعلك آية للناس ، أي: دلالة ظاهرة على قدرة الله على البعث بعد الموت ، وأمره أن ينظر إلى العظام كيف يرفع الله بعضها على بعض ، ويصل بعضها ببعض ، ثم يكسوها بعد الالتئام لحمًا ، ثم يعيد فيها الحياة؟ فلما اتضح له ذلك عِيانًا اعترف بعظمة الله ، وأنه على كل شيء قدير ، وصار آية للناس ، وقد بين الله تعالى ذلك في قوله: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىَ يُحْيِي هَـَذِهِ الله بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ الله مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ(٢٥٩)﴾ [البقرة:٢٥٩] .

وبين الله تعالى أن البعث بعد الموت يكون لمحاسبة الناس على ما قدمت

أيديهم في الدنيا ، وفي يوم الحساب لايغني فيه والد عن ولده ولا مولود عن أبيه شيئًا ، فهذا وعد الله الحق الذى لا شك فيه ، فلا تنخدعوا أيها النـاس بالحيـاة الدنيا وزخرفها فتنسيكم الدار الآخـرة ولا يخـدعنكم شـياطين الجـن والإنـس ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِالله الْغَرُورُ (٣٣)﴾ [لقمان:٣٣] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَوْمًا بَارِزًا لِلنَّاسِ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ يَمْشِي فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: «الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَلِقَائِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ الْآخِرِ»[1] .

وقال تعالى في وصف المؤمنين: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:٤] .

أخي الحبيب ، الإيمان باليوم الآخر هو الاعتقاد بالبعث بعد الموت ، وأن هناك يوماً يحاسب فيه الناس على أعمالهم ، والتصديق بكل ما أخبر الله بـه مما يكون في ذلك اليوم ويشتمل الإيمان باليوم الآخر على مجموعة من الحقائق ، وردت في الكتاب والسنة ، ملخصها كما يلي:

١ - خروج الروح، فتنة القبر ، فَعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «اسْتَعِيذُوا بِالله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا وَقَالَ - أي عن العبد الصالح إذا أُقْبِرَ - يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ الله فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإسلام، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ الله ﷺ فَيَقُولَانِ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ قَرَأْتُ كِتَابَ الله فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ قَالَ: فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنْ الْجَنَّةِ.. - وقال عن العبد الكافر إذا أُقْبِرَ

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٧٧٧ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

- يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي، فَيَقُولاَنِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لاَ أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنْ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ فَأَفْرِشُوهُ مِنْ النَّارِ وَأَلْبِسُوهُ مِنْ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، قَالَ: وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاَعُهُ، ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ مِنْ حَدِيدٍ لَوْ ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ لَصَارَ تُرَابًا، قَالَ: فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، إِلاَّ الثَّقَلَيْنِ فَيَصِيرُ تُرَابًا قَالَ: ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ» [(١)] .

٢ – **الساعة وأماراتها** ، والساعة هي التي تنتهي فيها الحياة الدنيا بجميع أوضاعها ، وتبدأ القيامة بكل أهوالها ، وموعدها لا يعلمه إلا الله ، وليس لأحد من سبيل إلى معرفة وقتها ، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ﴾ [الأعراف:١٨٧] ، ولكن وردت علامات لها في الكتاب والسنة ، منها علامات صغرى وهي كثيرة وقد ظهر أكثرها ، وعلامات كبرى فهي عشرة ، ويمكن معرفتها بالرجوع لكتاب زاد المسلم اليومي من العلم الشرعي .

٤ – **البعث** ، وهو إحياء الناس جميعًا من قبورهم ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [الأنعام:٣٦] .

٥ – **الحشر** ، وهو سوْق الناس بعد بعثهم إلى أرض المحشر ، وهو المكان الذي يقفون فيه انتظارًا لفصل القضاء بينهم ، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾ [الكهف:٤٧] والمعني: واذكر لهم يوم نُزيل الجبال عن أماكنها ، وتبصر الأرض ظاهرة ، ليس عليها ما يسترها مما كان عليها من المخلوقات ، وجمعنا الأولين والآخِرين لموقف الحساب ، فلم نترك منهم أحدًا .

---

(١) **(صحيح)** أخرجه أبو داود ٤٧٥٣ وصححه الألباني في المشكاة ١٣١ .

٦ - الحساب ، حيث يُعرض الناس على ربهم بعد حشرهم ، وتُقام الحجج لهم وعليهم ، ويطلعون على أعمالهم ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ الله لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص:٢٦] .

٧ - الحوض والميزان والصراط ، فأما الحوض فإن من شرب منه فإنه لا يظمأ أبدًا ، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما : قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنْ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنْ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا»[1] .

وأما الميزان، فهو ميزان لا يعلم حقيقته إلا الله ، تُوزن به أعمال العباد ، إظهارًا لعدل الله ، قال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ(١٠٣)﴾ [المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٣] .

وأما الصراط ، فهو جسر منصوب على جهنم ، والمرور عليه لجميع الناس ، فمن كان مؤمنًا مستقيمًا نجا بسرعة ، ومن خلط عملاً صالحًا وآخر سيئًا أبطأ في اجتيازه ، ومن كان كافرًا سقط في جهنم ، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً(٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً (٧٢)﴾ [مريم: ٧١ ، ٧٢] .

٨ - الجنة والنار، قال الله تعالى عن الجنة: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُولَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٨٢] ، وقال تعالى عن النار: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٣٩] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٥٧٩ ، ومسلم ٢٢٩٢ واللفظ للبخاري .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٢٦- الإيمان بالقدر خيره وشره

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع عمر بن الخطاب ﷺ عند دخوله إلى بلاد الشام ، أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاس ﷺ ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ ، لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ - أي الجند - أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الْوَبَاءَ - أي الطاعون - قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الْوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ فَاخْتَلَفُوا ، فَقَالَ: بَعْضُهُمْ قَدْ خَرَجْتَ لأَمْرٍ وَلاَ نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ الله ﷺ وَلاَ نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي - أي قوموا واذهبوا عني - ، ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الأَنْصَارَ فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ فَسَلَكُوا سَبِيلَ الْمُهَاجِرِينَ - أي قالوا ما قاله المهاجرين - وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلاَفِهِمْ فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ - أي كبارهم في السن - مِنْ مُهَاجِرَةِ الْفَتْحِ فَدَعَوْتُهُمْ ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلاَنِ فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلاَ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الْوَبَاءِ ، فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ - كناية عن الرجوع للمدينة - فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ الله؟! فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ - أي من ليس في منزلتك أي لأدبته - ، نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ الله إِلَى قَدَرِ الله ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الْخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ الله وَإِنْ رَعَيْتَ الْجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ الله ، قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ ، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا ، سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ - أي بالطاعون - بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ - فلا تدخلوها - وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ» قَالَ: فَحَمِدَ الله عُمَرُ - أي على موافقة اجتهاده واجتهاد كثير من الصحابة لحديث رسول الله ﷺ - ثُمَّ انْصَرَفَ [١] .

فالله سبحانه وتعالى لا يقبل عمل العبد إذا لم يؤمن بالقدر خيره وشره أي يعلم أن ما حدث له لم يكن بالمقدور ألا يحدث له وما لم يحدث له لم يكن بالمقدور أن يحدث له ، فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ» [٢] .

ومراتب الإيمان بالقدر أربعة:

الأولى: الإيمان بعلم الله المحيط بكل شيء قبل خلقه وأنه عَلِم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون ، قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ الله فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣] .

والثانية: الإيمان بأن الله كتب كل شيء في كتاب ، وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيرٌ﴾ [الحديد:٢٢] .

والثالثة: الإيمان بمشيئة الله النافذة ، وقدرته الشاملة ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، قال الله تعالى ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ الله رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير٢٩] .

والرابعة: الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء وخالق حركاته وسكناته ، وقال تعالى ﴿وَالله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦] .

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٥٧٢٩ ، ومسلم ٢٢١٩ واللفظ للبخاري .
(٢) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢١٤٤ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٥٨٥ .

وللشافعي أربعة أبيات يقول عنها ابن عبد البر: إنها من أثبت ما نسب إليه ، ومن أحسن ما قيل في القدر نظماً:

ما شئت كان وإن لم أشأ :::وما شئت إن لم تشأ لم يكن

خلقتَ العباد على ما علمتَ:::وفي العلم يجرى الفتى والمُسِنُّ

على ذا مننتَ وهذا خَذلتَ:::وهذا أعنتَ وذا لم تُعِن

فمنهم شقي ومنهم سعيد:::ومنهم قبيح ومنهم حسن

أخي الحبيب ، ينبغي أن تعلم أنه لا يتنافى مع الإيمان بالقدر فعل الأسباب بل إن من تمام الإيمان بالقدر فعل الأسباب ، لقول رَسُول الله ﷺ : **اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ» ، ثُمَّ قَرَأَ:** ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ [الليل: ٦]»[١] .

إخوتي في الله ، لقد قدر الله مقادير الخلائق حتى قيام الساعة ، فَعَنْ أَبِي حَفْصَةَ قَالَ: قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه لابْنِهِ: يَا بُنَيَّ ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ سَمِعْتُ . رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ الله الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ. يَا بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي**»[٢] .

والله قد قدر مقادير الخلائق قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة ، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**كَتَبَ الله مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»[٣] .

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٩٤٩ ومسلم ٢٦٤٧ واللفظ للبخاري .
(٢) (صحيح) أخرجه أبو داود ٤٧٠٠ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٠١٨ .
(٣) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٦٥٣ .

والله ﷻ لا يجبر الخلائق على أعمالهم ، قال الحسن البصري رحمه الله تعالى وهو من سادات التابعين: لو أجبر الله الخلق على الطاعة لأسقط عنهم الثواب ، ولو أجبرهم على المعاصي لأسقط عنهم العقاب ، ولو أهملهم لكان عجزا في القدرة ، ولكن له فيهم المشيئة التى غيبها عنهم فإن عملوا بالطاعات ؛ كانت له المنة عليهم .

فالعباد مخيرون ولكنهم لا يقدرون إلا على ما أقدرهم الله عليه ، ولا يشاءون إلا أن يشاء الله ، ولا يفعلون إلا بجعله إياهم فاعلين ، وهذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى(٤) فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى(٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى(٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى(٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى(٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى(٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى(١٠)﴾ [الليل ٤ - ١٠] .

ولعل ما جاء في كتاب (الشريعة للإمام الأجري) ما فيه البيان والتوضيح في هذا الأثر الصحيح عن الحسن البصري ، فعن خالد الحذاء قال: خرجت خرجة لي - أي سافر سفرا ثم عاد - ثم قدمت فقيل: إن الحسن - أي البصري من سادات التابعين - قد تكلم في القدر فأتيته ، فقلت: يا أبا سعيد - أي كنية الحسن البصري - ، آدم خُلِقَ للأرض أم للسماء؟ قال: ما هذا يا أبا منازل - أي كنية خالد الحذاء -؟ فقلت: إني أحب أن أعلمه ، قال: للأرض ، قلت: فلو اعتصم فلم يأكل من الشجرة؟ قال: لم يكن له بد من أن يأكل منها ؛ لأنه للأرض خلق (٣٥) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

٢٧- الولاء والبراء

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة الأعز والأذل ، أخرج مسلم بسنده عن جَابِرَ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنْ الأَنْصَارِ فَقَالَ الأَنْصَارِيُّ: يَا لَلأَنْصَارِ وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ الله كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلاً مِنْ الأَنْصَارِ فَقَالَ: «**دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ**» فَسَمِعَهَا عَبْدُ الله بْنُ أُبَيٍّ فَقَالَ: قَدْ فَعَلُوهَا وَاللهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ ، قَالَ عُمَرُ: دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ: «**دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ**»[1] . فأنزل الله تعالى في ذلك قوله: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ(٨)﴾ [المنافقون: ٨] .

وكان ابن هذا المنافق – وهو عبد الله بن عبد الله بن أبي – رجلاً صالحاً من الصحابة الأخيار ، فتبرأ من أبيه ، ووقف له على باب المدينة ، واستل سيفه ، فلما جاء ابن أبي قال له: والله لا تجوز من هاهنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ ، فإنه العزيز وأنت الذليل ، فلما جاء النبي ﷺ أذن له فخلي سبيله ، وكان قد قال عبد الله بن عبد الله بن أبي: يا رسول الله ، إن أردت قتله فمرني بذلك ، فأنا والله أحمل إليك رأسه ، فقال رسول الله ﷺ : «**لا ولكن بر أباك وأحسن صحبته**» (٢٦) .

وهذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ آبَاءكُمْ

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٩٠٥ ، ومسلم ٢٥٨٤ واللفظ للبخاري .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاء إَنِ اسْتَحَبُّواْ الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣)﴾ [التوبة: ٢٣] .

هذا هو الولاء لأهل الإيمان والبراء من أهل الكفر والعصيان ، فالولاء أصله الحب ، والبراء أصله البغض ، والولاء والبراء يمثل صورة عملية من صور التطبيق الواقعي لعقيدة التوحيد ، ولا يصح للمؤمن دين إلا بموالاة أهل التوحيد ، ومعاداة أهل الضلال والبراء منهم .

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨] .

وفي الآية تحذير للمؤمنين من اتخاذ الكافرين أولياء بإطلاعهم على أسرارهم ، فهؤلاء لا يَفْتُرون عن إفساد حالهم ، وهم يفرحون بما يصيبهم من ضرر ومكروه ، وقد ظهرت شدة البغض في كلام الكافرين ، وما تخفي صدورهم من العداوة للمؤمنين أكبر وأعظم .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لأَبِي ذَرٍّ: «أَيُّ عُرَى الإِيمَانِ أَوْثَقُ؟» قَالَ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ: «الْمُوَالاةُ فِي الله، وَالْمُعَادَاةُ فِي الله، وَالْحُبُّ فِي الله، وَالْبُغْضُ فِي الله»[1] .

إخوتي في الله ، لقد نهى الله أن يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين إلا أن يكون المسلم مقهورا قال تعالى: ﴿لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ الله فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ الله نَفْسَهُ وَإِلَى الله الْمَصِيرُ(٢٨)﴾ [آل عمران: ٢٨] .

فنهى سبحانه وتعالى عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحاب من

---

(١) (صحيح) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١١٥٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٢٥٣٩ .

دون المؤمنين وأخبر أن من فعل ذلك فليس من الله في شيء وقال ابن جرير الطبري في قوله تعالى ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ﴾ أى فقد برئ من الله وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله الكفر ، وقوله تعالى ﴿إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ أي إلا أن يكون المؤمن مقهورا معهم ، لا يقدر على إظهار عداوتهم ، لتعذيبهم له ، فيظهر لهم الرضا بلسانه ، وقلبه مطمئن بالإيمان بالله ، ممتلئ بالعداوة والبغضاء لأعداء الله (٢٣) .

ولقد نهانا الله تعالى عن موالاة أهل الكفر قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ الله عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة:١٣] ، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ الله لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)﴾ [المائدة:٥١] .

وقال شيخ المفسرين الطبري رحمه الله تعالى: والصواب القول في ذلك عندنا أن يقال: أن الله تعالى نهى المؤمنين جميعا أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصارا وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله ، وأخبر أنه من اتخذهم نصيرا وحليفا ووليا من دون الله ورسوله فإنه منهم في التحزب على الله وعلى رسوله والمؤمنين وأن الله ورسوله منه بريئان أ .هـ (٢٣) .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاء وَاتَّقُواْ الله إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٥٧)﴾ [المائدة:٥٧] .

وينبغي أن نعلم أن الموالاة عند علماء الاصطلاح شيء والبر شيء آخر ، فدعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة بعض الكفار ، والبر بهم لا يعني الموالاة لهم ، فبسماحة الإسلام يتعامل المسلم مع الناس أجمعين على أساس العدل والاحترام المتبادل بدون محبة القلب للكفار أو مودة ما هم فيه من كفر(٢٣) .

وينبغي الحذر كل الحذر من الاعتداء على الذميين والمعاهدين فَعَنْ عَبْدِ الله

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

ابنِ عَمْرو ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا» [١] .

وهناك استثناءات لا تنقض أصل البراء من الكافرين ، فلا تعني البراءة من الكافرين حجب دعوة الإسلام عنهم وتركهم لما هم فيه من ضلال بل يحتم الإسلام على أهله دعوة الناس إلى الخير وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ(١٢٥)﴾ [النحل:١٢٥] .

ولقد أَحَلَّ الشرع الزواج بالكتابية - أي اليهودية أو النصرانية - وأكل ذبيحة الكتابي فيجوز الأكل من ذبيحتهم وزواج نسائهم ، ولا شك أن المودة التي تكون في قلب الزوج لزوجته هي من المودة الفطرية المستثناة .

وكذا الإحسان إليهم والبر بهم قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ الله عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ(٨)﴾ [الممتحنة:٨] ، ويدخل في البر عيادة مرضاهم وقبول هداياهم والإهداء لهم والدعاء لهم بالهداية .

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ﷺ قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ قُرَيْشٍ إِذْ عَاهَدَهُمْ فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ أَفَأَصِلُ أُمِّي ؟ قَالَ: «نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ» [٢] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

---

(١) (صحيح) أخرجه (البخاري ٦٩١٤ .

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٦٢٠ ، ومسلم ١٠٠٣ واللفظ لمسلم .

٢٨ - إن الحكم إلا للّه تعالى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة أخرجها البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَزَيْدِ بْنِ خَالِدٍ ﭬ قالا: إِنَّ رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ أَحَدُهُمَا: اقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ الله ، وَقَالَ الآخَرُ وَهُوَ أَفْقَهُهُمَا: أَجَلْ يَا رَسُولَ الله فَاقْضِ بَيْنَنَا بِكِتَابِ الله وَأْذَنْ لِي أَنْ أَتَكَلَّمَ ، قَالَ: «**تَكَلَّمْ**» قَالَ: إِنَّ ابْنِي كَانَ عَسِيفًا عَلَى هَذَا . قَالَ مَالِكٌ: وَالْعَسِيفُ الأَجِيرُ، زَنَى بِامْرَأَتِهِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّ عَلَى ابْنِي الرَّجْمَ فَافْتَدَيْتُ مِنْهُ بِمِائَةِ شَاةٍ وَجَارِيَةٍ لِي ثُمَّ إِنِّي سَأَلْتُ أَهْلَ الْعِلْمِ فَأَخْبَرُونِي أَنَّ مَا عَلَى ابْنِي جَلْدُ مِائَةٍ وَتَغْرِيبُ عَامٍ وَإِنَّمَا الرَّجْمُ عَلَى امْرَأَتِهِ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقْضِيَنَّ بَيْنَكُمَا بِكِتَابِ الله، أَمَّا غَنَمُكَ وَجَارِيَتُكَ فَرَدٌّ عَلَيْكَ وَجَلَدَ ابْنَهُ مِائَةً وَغَرَّبَهُ عَامًا، وَأُمِرَ أُنَيْسٌ الْأَسْلَمِيُّ أَنْ يَأْتِيَ امْرَأَةَ الْآخَرِ فَإِنْ اعْتَرَفَتْ رَجَمَهَا فَاعْتَرَفَتْ فَرَجَمَهَا**» [(١)]، هذا هو مفهوم الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله .

أخي الحبيب ، تأمّل هذه الآية الكريمة : ﴿**فَلاَوَرَبِّكَ لاَيُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَيَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾ [النساء:٦٥] ، فقد أقسم الله تعالى بنفسه الكريمة أن هؤلاء لا يؤمنون حقيقة حتى يجعلوك حكمًا فيما وقع بينهم من نزاع في حياتك ، ويتحاكموا إلى سنتك بعد مماتك ، ثم لا يجدوا في أنفسهم ضيقًا مما انتهى إليه حكمك ، وينقادوا مع ذلك انقيادًا تاماً ، فالحكم بما جاء به رسول الله ﷺ من الكتاب والسنة في كل شأن من شؤون الحياة من صميم الإيمان مع الرضا والتسليم .

---

(١) (صحيح) أخرجه (البخاري ٦٦٣٣ ، ومسلم ١٦٩٧واللفظ للبخاري .

قال الإمام الألباني رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤] ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة:٤٧] ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة:٤٥] هذه آيات صريحة بالحكم بالكفر على من لم يحكم بما أنزل الله ، قال ابن عباس في تفسير (الكافرون) في هذه الآية: **كفر دون كفر،** أي: إن الكفر نوعان: كفر اعتقادي قلبي ، كفر عملي ، وهذا ما يجهله كثيرٌ من المسلمين اليوم وخاصة منهم الشباب الناشئ ، فإنهم يتوهمون أن كل من لم يحكم بما أنزل الله فهو مرتد عن دينه ، وليس كذلك ، بل يجب أن يُنظر إلى الحاكم الذي يحكم بغير ما أنزل الله ، فإن كان يحكم بغير ما أنزل الله مستحلاً له بقلبه ، مؤثراً له على حكم الله وحكم نبيه ، فهذا هو الذي يرتد به عن دينه ، أما إن كان في قرارة قلبه يعتقد بأن الحكم بما أنزل الله هو الصواب وهو الواجب ، لكن يقول: أعاننا الله على هؤلاء البشر كيف لنا أن نحكم إلا بهذا ، فهو يجد لنفسه عذراً ، ولو أنه عذر غير مقبول ، إنما اعتذاره بهذا العذر يدل على أنه يؤمن بحكم الله وحكم رسوله ، أنه هو الصواب ، ولكن انحرف عن هذا الحكم ، كما ينحرف كثيرٌ من الناس الذين نظن بهم خيراً .

إخوتي في الله ، هناك العديد من الأنظمة المنتشرة في العالم لعل أشهرها الديمقراطية: وهي تعني اتخاذ أحكام البشر باعتبار أصوات غالب ممثليهم ، شريعة بديلة عن شريعة الله تعالى ، مهيمنة بأحكامها على الأقوال ، والأفعال ، والأفكار ، وجميع السلوك الإنساني ، والعلاقات الدولية الداخلية ، والخارجية ، فلها أنْ تحلّ ما حرّم الله ، وتحرّم ما أحلّ الله تعالى ، ويكون مصدر التشريع هو حكم الأغلبيّة بحسب العدّ المحض ، والشرعُ الذي يجب أن يسيروا عليه ، والنهج الذي يهديهم سواء السبيل ! - كما يتفقون عليه - .

والبعض يظن أن الديمقرطية كالشورى في الإسلام ولا يجادل مؤمن في مشروعية الشورى في الإسلام وفائدتها وآثارها الحميدة في تكوين الرأي والقرار ، لكن تختلف الشورى عن الديمقراطية اختلافا جوهريا وواسعا .

فالديمقراطية تخضع كل شيء للمناقشة ، ولآراء الناس ، فليس في الديمقراطية أمر لا يرد ، أو قرار لا يستدرك عليه ، أو مجال لا تخوض فيه ، فالأغلبية العددية تستطيع أن تنقض ما قررته أغلبية سابقة ، كما أن إقصاء الدين عن الدولة ، وإباحة الرذائل الخلقية أمور من حق كل نائب "برلماني " أن يقرها ، أما الشورى فلا تناقش كل شيء ، ولا يحل لها أن ترد الأمر الذي يحرم رده ولا أن تقتحم دائرة ليس للمؤمنين خيرة فيها .

فأمور العقيدة لا تناقشها المجالس الشورية ، كما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

وكذلك الشريعة أمر ماض لا يرد ولا يناقش ، ولا تؤخذ فيه آراء الناس ، ولا خياراتهم: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾[الأحزاب: ٣٦].

وكذلك فوحدة الجماعة فرض محكم لا يستفتى فيه الخاصة ولا العامة ؛ قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣)﴾ [آل عمران: ١٠٢ - ١٠٣] (٧٤) .

ومن الأنظمة العالمية الليبرالية وهي تعنى الحرية ، وهي وجه آخر من وجوه العلمانيّة بمعناها العام الذي هو التمرد على الدين والتحلل من الالتزام به ، ولهذا فمعتنقوها يقصدون بها أن يكون الإنسان حراً في أن يفعل ما يشاء ، ويقول ما يشاء ، ويعتقد ما يشاء ، ويحكم بما يشاء ، فإذن الليبراليّة ما هي إلاّ

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

وجه آخر للعلمانيّة التي بنيت أركانـها عـلى الإعراض عن شريعة الله تعالى، والكفر بما أنزل الله تعالى، والصد عن سبيله، ومحاربة المصلحين، وتشجيع المنكرات الأخلاقيّة، والضلالات الفكريّة، تحت ذريعة الحريّة الزائفة، والتي هي في حقيقتها طاعة للشيطان وعبودية له، لذلك فإن الليبرالية مناقضة تمام المناقضة لدين الإسلام، عقيدة وشريعة.

في حين أن التعددية تعني أن يسمح في المجتمع بالاختلاف والتعدد في كلّ شيء، حتى لو كان هذا الاختلاف بين الحق والباطل، وترى التعددية أن الاختلاف مهما كان هو في حد ذاته ظاهرة محمودة بإطلاق، تجب رعايتها، وتشجيعها، ومحاربة من يقف في طريقها، وحتى لو كان في المجتمع من يعبد إبليس نفسه، فيجب أن يسمح لهم في نظر التعددية بإظهار دعوتهم، وتمكينهم من دعوة الناس إليها، ونشر كل ما يزينها ويشجع على اعتناقها، وعلى الصعيد السياسي يجب أن يسمح لهم بتأسيس حزب سياسي يحمي معتقداتهم، ويسمح لهم بنشرها، في حين أن الله تعالى في الدين الإسلامي أمر الناس أن يقيموا دين الله وأن يجتمعوا عليه، ولا يتفرقوا قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣]، بل وقد أمر الله تعالى بإنكار المنكر إن ظهر، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بالله﴾ [آل عمران:١١٠] ومن هذا يتضح أن التعددية مناقضة تمام المناقضة لدين الإسلام، عقيدة وشريعة (٢٠) (١).

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٢٩- التمسك بالسنة والحذر من البدع

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة يرويها لنا يحيى بن عمرو بن سلمة الهمداني قَالَ: كُنَّا نَجْلِسُ عَلَى بَابِ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ قَبْلَ صَلاَةِ الْغَدَاةِ ، فَإِذَا خَرَجَ مَشَيْنَا مَعَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَجَاءَنَا أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِىُّ فَقَالَ: أَخَرَجَ إِلَيْكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَعْدُ؟ قُلْنَا: لاَ ، فَجَلَسَ مَعَنَا حَتَّى خَرَجَ ، فَلَمَّا خَرَجَ قُمْنَا إِلَيْهِ جَمِيعاً ، فَقَالَ لَهُ أَبُو مُوسَى: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنِّى رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفاً أَمْراً أَنْكَرْتُهُ ، وَلَمْ أَرَ وَالْحَمْدُ للهِ إِلاَّ خَيْراً . قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ: إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ – قَالَ – رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْماً حِلَقاً جُلُوساً يَنْتَظِرُونَ الصَّلاَةَ ، فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصًى فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً ، فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً ، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً ، فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً ، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً . قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئاً انْتِظَارَ رَأْيِكَ أَوِ انْتِظَارَ أَمْرِكَ . قَالَ: أَفَلاَ أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لاَ يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ . ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الْحِلَقِ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِى أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصًى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ . قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لاَ يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَىْءٌ ، وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ ، هَؤُلاَءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ ، وَالَّذِى نَفْسِى فِي يَدِهِ إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِىَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ ، أَوْ مُفْتَتِحِى بَابِ ضَلاَلَةٍ . قَالُوا: وَاللهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلاَّ الْخَيْرَ . قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ ، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْماً يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ ، وَايْمُ الله مَا أَدْرِى لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ . ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلِمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الْحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

النَّهْرَوَانِ مَعَ الْخَوَارِجِ [١] .

إخوتي في الله ، قال العلامة الألباني رحمه الله تعالى ويستفاد من هذا الحديث أن العبرة ليست بكثرة العبادة وإنما بكونها على السنة بعيدة عن البدعة وقد أشار إلى هذا ابن مسعود رضي الله عنه بقوله أيضا: اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة ، ومنها: أن البدعة الصغيرة بريد إلى البدعة الكبيرة .

وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**سَيَلِي أُمُورَكُمْ بَعْدِي رِجَالٌ يُطْفِئُونَ السُّنَّةَ، وَيَعْمَلُونَ بِالْبِدْعَةِ، وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا**»، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله: إِنْ أَدْرَكْتُهُمْ كَيْفَ أَفْعَلُ؟ قَالَ: «**تَسْأَلُنِي يَا بْنَ أُمِّ عَبْدٍ كَيْفَ تَفْعَلُ، لَا طَاعَةَ لِمَنْ عَصَى الله**»[٢] .

و مرجع البدع إلى أمرين: أحاديث ضعيفة ، وأحاديث موضوعة لا أصل لها ، واجتهادات صدرت من بعض المتأخرين بعضها مخالف للسنة العملية ، وعادات وخرافات لا يدل عليها الشرع ولا يشهد لها عقل وإن عمل بها بعض الجهال واتخذوها شرعة لهم؟ أ .هـ .

وأمر البدعة خطير جدا لا يزال أكثر الناس في غفلة عنه ولا يعرف ذلك إلا طائفة من أهل العلم وحسبك دليلا على خطورة البدعة قول رسول الله ﷺ : «**إِنَّ اللهَ احتجَرَ – أي أبعد – التوبةَ عَلَى كُلِ صَاحبِ بدعةٍ**» [٣] .

معاشر الإخوة ، يقول إمام أهل السنة في عصره الإمام البربهاري رحمه الله تعالى: احذر من صغار المحدثات فإن صغار البدع تعود حتى تصير كبارا وكذلك كل بدعة أُحدِثت في هذه الأمة كان أولها صغيرا يشبه الحق فاغتر بذلك من دخل فيها ثم لم يستطيع المخرج منها فعظُمت وصارت دِينا يُدَان به فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصة فلا تعجلن ولا تدخل

---

(١) (صحيح) أخرجه الدارمي ٢١٠ صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٠٠٥ .

(٢) (صحيح) أخرجه ابن ماجه ٢٨٦٥ وصححه الألباني السلسة الصحيحة ٥٩٠ .

(٣) (صحيح) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٦٩٩ .

في شيء منه ، حتى تسأل وتنظر: هل تكلم فيه أحد من أصحاب الرسول ﷺ أو أحد من العلماء؟ فإن أصبت أثرا عنهم فتمسك به ولا تجاوزه لشيء ولا تختر عليه شيء فتسقط في النار (٦٨) .

ولقد كان المسلمون في صدر الإسلام فرقة واحدة ولكن حدثت الفتن وتفرق المسلمون فأصبحوا فرقا متفرقة ، ولقد أخبرنا الله تعالى بأن رسول الله بريء من هذه الفرق وحكمهم إليه ثم يخبرهم ويجازيهم بأعمالهم يوم القيامة ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى الله ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ (١٥٩) ﴾ [الأنعام:١٥٩] .

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً فَإِحْدَى وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ وَوَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ وَثِنْتَانِ وَسَبْعُونَ فِي النَّارِ» ، قِيلَ يَا رَسُولَ الله مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «الْجَمَاعَةُ» [(١)] .

ففرقة الخوارج هم أول فرقة خالفت أهل السنة والجماعة ، عظمت فتنتهم في أواخر خلافة عثمان وأثناء الفتنة بين علي ومعاوية ، ولقد أُسست على أفكار ضالة: كتكفير علي وعثمان رضي الله عنهما ، والتكفير بارتكاب الكبائر ، ووجوب الخروج على الإمام الجائر ، فكفَّروا المسلمين واستحلوا دماءهم .

في حين أن الشيعة ظهروا في آخر عصر عثمان رضي الله عنه ، وانقسمت الشيعة إلى فرق كثيرة انحصرت اليوم في: الإسماعيلية ، والزيدية ، والإثنى عشرية وهي أكبرها وأكثرها عدداً ، ومن أقوالهم: إن ما يدل على مذهبهم من آيات القرآن قد حذفها الصحابة وجاء في الكافي عن أبي بصير وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام ، وقيل فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات ما فيه من قرآنكم حرف

---

(١) (صحيح) أخرجه ابن ماجه ٣٩٩٢ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٤٩٢ .

واحد ، والبراء من أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية ، ومن لم يبرأ من أبي بكر وعمر وعثمان فهو عدو وإن أحب عليًّا ، ولذلك يتعبدون الله سبحانه بعد كل صلاة بلعن الخلفاء الثلاثة وغيرهم من فضلاء الصحابة وبعض أمهات المؤمنين . . . (٧) .

وفرقة القدرية ظهرت بعد ظهور الخوارج وقالوا: إن أعمال العباد ليست معلومة لله ، ولا مكتوبة في اللوح المحفوظ ، وأن الله لا يعلم بما يصنع الناس ، إلا إذا وقع ذلك ولقد أدركوا أواخر عصر الصحابة .

ثم ظهرت فرقة المرجئة بعد ذلك وأدركت زمن كثير من التابعين ، وهم الذين يقولون: إنه لا تضر المعصية مع الإيمان! تزني وتسرق وتشرب الخمر ، وتقتل ما دمت مؤمنا ، فأنت مؤمن كامل الإيمان وإن فعلت كل معصية!

أما فرق المعتزلة والجهمية قالوا قولا بين قول المرجئة وقول الخوارج قالوا: الذي يفعل الكبيرة ليس بمؤمن وليس بكافر ، بل هو في منزلة بين منزلتين هذا في أحكام الدنيا ، أما في الآخرة ، فهو مخلد في النار! (٣٤) .

أيها الإخوة الفضلاء ، ألم يأن للذين آمنوا أن يتمسكوا بسنة الحبيب ﷺ الصحيحة ويعتزلوا كل الفرق التى ترد السنة ، فلقد حثنا رسول الله ﷺ بالتمسك بالسنة فقال: «**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ** – أي الخلفاء الأربعة – **تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[1] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

---

(١) (**صحيح**) أخرجه أبو داود ٤٦٠٧ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٥٤٩ .

٣٠ - تجنب كبائر الذنوب

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع ورع عطاء بن يسار: فعن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم قال: خرج عطاء بن يسار وسليمان بن يسار حاجين من المدينة ، ومعهما أصحاب لهم ، حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا منزلا ، فانطلق سليمان وأصحابه لبعض حاجتهم وبقي عطاء بن يسار قائما في المنزل يصلي .

قال: فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة فلما رآها عطاء ظن أن لها حاجة فأوجز في صلاته ، ثم قال: ألك حاجة؟ قالت: نعم . قال: ما هي؟ قالت: قم فأصب مني فإني قد ودقت – أي اشتقت للرجال – ولا بعل لي – أي ولا زوج لي – فقال: إليك عني – أي ابتعدي عني لا تحرقيني ونفسك بالنار ، فجعلت تراوده عن نفسه ويأبى إلا ما يريد ، قال: فجعل عطاء يبكي ويقول: ويحك إليك عني ، قال: اشتد بكاؤه فلما نظرت المرأة إليه وما داخله من البكاء والجزع بكت المرأة لبكائه ، قال: فجعل يبكي والمرأة بين يديه تبكي . فبينما هو كذلك إذ جاء سليمان من حاجته فلما نظر إلى عطاء يبكي والمرأة بين يديه تبكي في ناحية البيت بكى لبكائهما لا يدري ما أبكاهما وجعل أصحابهما يأتون رجلا رجلا كلما أتى رجل فرآهم يبكون جلس يبكي لبكائهم لا يسألهم عن أمرهم حتى كثر البكاء وعلا الصوت ، فلما رأت الأعرابية ذلك قامت فخرجت .

قال: فقام القوم فدخلوا ، فلبث سليمان بعد ذلك وهو لا يسأل أخاه عن قصة المرأة إجلالا له وهيبة ، قال: وكان أسن منه ، قال: ثم إنهما قدما مصر لبعض حاجتهما فلبثا بها ما شاء الله فبينا عطاء ذات ليلة نائم إذ استيقظ وهو يبكي

وقال سليمان: مايبكيك يا أخي؟ قال: فاشتد بكاؤه . قال: ما يبكيك يا أخي؟ قال: رؤيا رأيتها الليلة . قال ، وما هي؟ قال: لا تخبر بها أحدا ما دمت حيا . رأيت يوسف النبي ﷺ في النوم فجئت أنظر إليه فيمن ينظر إليه فلما رأيت حُسْنهُ بكيت فنظر إليَّ في الناس فقال: ما يبكيك أيها الرجل؟ فقلت: بأبي أنت وأمي يا نبي الله ، ذكرتك وامرأة العزيز وما ابتليت به من أمرها وما لقيت من السجن وفرقة يعقوب ، فبكيت من ذلك وجعلت أتعجب منه . قال: فهلا تعجبت من صاحب المرأة البدوية بالأبواء؟ فعرفت الذي أراد فبكيت واستيقظت باكيا ، قال سليمان: أي أخي وما كان من حال تلك المرأة؟ فقص عليه عطاء القصة فما أخبر بها سليمان أحدا حتى مات عطاء فحدث بها بعده امرأة من أهله قال: وما شاع هذا الحديث بالمدينة إلا بعد موت سليمان بن يسار رضي الله عنهما (٣٧) .

أحبتي في الله ، الكبيرة: كل ما نهي الله ورسوله عنه في الكتاب والسنة والأثر عن السلف الصالحين ، وهي كل معصية فيها حد في الدنيا ، أو وعيد في الآخرة ، وزاد شيخ الإسلام ابن تيمية: أو ورد فيها وعيد بنفي الإيمان ، أو لعن أو نحوهما ، ولا بد من التسليم بأن بعض الكبائر أكبر من بعض ، ألا ترى أن رسول الله ﷺ عد الشرك بالله من الكبائر مع أن مرتكبه مخلد في النار ولا يغفر الله له أبدا قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا (١١٦) ﴾ [النساء: ١١٦] ولقد تكفل الله تعالى لمن اجتنب الكبائر ، أن يدخله الجنة قال تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا (٣١) ﴾ [النساء: ٣١] . ، ولقد اختلف العلماء فيها ، فمنهم من عدها سبع كبائر ؛ استنادًا لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ** – أي: المهلكات– » ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع ، وأدرج الإمام الحافظ محمد شمس الدين الذهبي في كتاب "الكبائر" سبعين كبيرة ويمكن الرجوع لكتاب

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

(زاد المسلم اليومي من العلم الشرعي) لمعرفة المزيد من هذه الكبائر .

والله سبحانه وتعالى يحذرنا في محكم كتابه من كبائر الذنوب فيقول سبحانه: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥١] .

وكذلك فإن النبي ﷺ يحذرنا من كبائر الذنوب في أكثر من حديث فعن أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلَاثًا قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ الله ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِالله وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ» قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ [(١)] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِالله ، وَالسِّحْرُ ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَأَكْلُ الرِّبَا ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ» [(٢)] .

وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، أَنَّ رَجُلاً أَصَابَ مِنِ امْرَأَةٍ قُبْلَةً ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَأَنْزَلَ الله ﷻ : ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّـيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤] ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ الله أَلِي هَذَا؟ قَالَ: «لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ» [(٣)] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَقُولُ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ؛ إِذَا اجْتَنَبَ

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٦٥٤ ، ومسلم ٨٧واللفظ للبخاري .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٧٦٦ ، ومسلم ٨٩ .
(٣) (صحيح) أخرجه البخاري ٥٢٦ ومسلم ٢٧٦٣ اللفظ للبخاري .

الْكَبَائِرَ»(١).

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ عُثْمَانَ ﷺ، فَدَعَا بِطَهُور فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **«مَا مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا؛ إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنْ الذُّنُوبِ؛ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً، وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ»** (٢).

وَعن ابن عباس ﷺ قال: ما رأيت شيئا أشبه باللمم مما قال أَبُو هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : **«إِنَّ الله كَتَبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنْ الزِّنَا أَدْرَكَ ذَلِكَ لَا مَحَالَةَ فَزِنَا الْعَيْنِ النَّظَرُ** - أي إلى العورات والنساء الأجنبيات - **وَزِنَا اللِّسَانِ الْمَنْطِقُ** - أي النطق بالفحش وما يتعلق بالفجور - **وَالنَّفْسُ تَمَنَّى وَتَشْتَهِي** - أي تسول لصاحبها وتحركه - **وَالْفَرْجُ** - أي آلة الزنا الحقيقية - **يُصَدِّقُ ذَلِكَ كُلَّهُ** - أي بفعل ما تمنته النفس - **وَيُكَذِّبُهُ** - أي بترك الفواحش ومقدماتها -» (٣).

معاشر الإخوة، قال فضيلة الشيخ ابن جبرين: إن المعاصي كبيرها وصغيرها لا يجوز التهاون بها، فمقدمة السيئات تعتبر سيئات، والمقدمات التي هي الصغائر تعتبر من الذنوب، ولا يجوز أن يتهاون بها المسلم، فلا يتهاون بمقدمات هذه الذنوب وما أشبهها، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **«إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى أَنْضَجُوا خُبْزَتَهُمْ وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ»** (٤)، المثل واضح.

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) **(صحيح)** أخرجه مسلم ٢٣٣.

(٢) **(صحيح)** أخرجه مسلم ٢٢٨.

(٣) **(صحيح)** أخرجه البخاري ٦٢٤٣، ومسلم ٢٦٥٧ واللفظ للبخاري.

(٤) **(صحيح)** أخرجه أحمد ٣٨١٨ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٦٨٦.

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٣١- اجتناب صور الخيانة المختلفة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة حاطب بن أبي بلتعة . فَعَنْ عَلِيٍّ ﷺ قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ الله ﷺ وَأَبَا مَرْثَدٍ الْغَنَوِيَّ وَالزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ وَكُلُّنَا فَارِسٌ - أي جميعنا نركب الخيل - قَالَ: «**انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ** - أي مكان بين مكة والمدينة - ، **فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ، مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ**» ، فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا حَيْثُ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ ، فَقُلْنَا: الْكِتَابُ ، فَقَالَتْ: مَا مَعَنَا كِتَابٌ ، فَأَنَخْنَاهَا - أي فأنخنا بعيرها - ، فَالْتَمَسْنَا فَلَمْ نَرَ كِتَابًا ، فَقُلْنَا: مَا كَذَبَ رَسُولُ الله ﷺ لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ ، أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكِ ، فَلَمَّا رَأَتْ الْجِدَّ أَهْوَتْ إِلَى حُجْزَتِهَا - أي معقد إزارها مثل التكة - ، وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ - أي شادة كساءها على وسطها - بِكِسَاءٍ فَأَخْرَجَتْهُ فَانْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله ، قَدْ خَانَ الله وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ فَدَعْنِي فَلأَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟**» قَالَ حَاطِبٌ: وَاللهِ مَا بِي أَنْ لاَ أَكُونَ مُؤْمِنًا بِالله وَرَسُولِهِ ﷺ ؛ أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ الْقَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ الله بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي ، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلاَّ لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ الله بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**صَدَقَ وَلاَ تَقُولُوا لَهُ إِلاَّ خَيْرًا**» ، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ الله وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ ، فَدَعْنِي فَلأَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَقَالَ: «**أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟**» فَقَالَ: «**لَعَلَّ الله اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الْجَنَّةُ، أَوْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ؟**» فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ ، وَقَالَ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ [1] . قال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٩٨٣ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ(٢٧)﴾ [الأنفال: ٢٧] .

إن أمتنا الإسلامية تمرُّ في هذا الزمان بمحَنٍ عظيمة ونكَبات متلاحقة ، لتعرّض الأمة لخيانات متعددة ، تارة من أعدائها ، وتارات من أبنائها .

والخيانة من سمات المنافقين ، فالخائن بالضرورة منافق ، وإلا فكيف سيُخفي خيانته إلا بالنفاق؟! فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ: «إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ» [(١)] .

وأشد الناس فضيحة يوم القيامة هم الخائنون ؛ لحديث عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُقَالُ: هَـذِهِ غَدْرَةُ فُلَانٍ » [(٢)] ، هذا الخائنَ وإن اندسّ بين الناسَ ولم يفتضح أمره أمام عباد الله فأين يذهب يوم القيامة؟!

وكان رسول الله ﷺ يستعيذ من الخيانة فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَقُولُ: «اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ الْجُوعِ؛ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ الْخِيَانَةِ؛ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ» [(٣)] .

والخيانة مذمومة حتى مع الخونة ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» [(٤)] .

معاشر الإخوة ، لخيانة الأمانة صورٌ مختلفة نذكر منها:

١ - خيانة العقيدة: بأن يكون المسلم مطية لأعداء الله في تنفيذ مخططاتهم وما فيها من دمار للبلاد والعباد أو دليلاً لهم على عوراتها قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٦٨٢ ، ومسلم ٥٩ .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٩٦٦ ، ومسلم ١٧٣٦واللفظ لمسلم .
(٣) (حسن) أخرجه أبو داود ١٥٤٧ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ١٢٨٣ .
(٤) (صحيح) أخرجه أبو داود ٣٥٣٤ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٤٠ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِينَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الداخِلِينَ﴾ [التحريم:١٠] . والخيانة هنا هي خيانة الدين لا الفاحشة ، فكانت امرأة نوح تطلع على سرّ نوح ، فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به وإذا استضاف لوط أحدًا أخبرت زوجة لوط به أهل المدينة ممن يعمل السوء .

٢ – **موالاة أعداء الله خيانة:** كما في قصة حاطب بن أبي بلتعة التى ذكرت .

٣ – **خيانة الشريعة:** فلا تُطَبّق ، بل تعزل عن حياة المسلمين .

٤ – **خيانة الأعراض:** ومن الخيانة في الأعراض النظرة الحرام ، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر:١٩] ، قال ابن عباس: "هذا الرجل يدخل على أهل بيت وفيهم امرأة حسناء ، فإذا غفلوا نظر إليها ، وإذا فطنوا غضّ بصره" ، فكيف بالزنا؟! وقد حرم الله الزنا ونهى عن مقاربته ومخالطة أسبابه فقال: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلاً﴾ [الإسراء:٣٢] .

٥ – **خيانة الكسب:** والمسلم الحق يحرص على الحلال في مطعمه ومشربه ، فلا غش ولا خداع ولا كذب ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلاً ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟**» قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ الله قَالَ: «**أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي**» [١] .

٦ – **خيانة المنصب:** بأن يستغلّ الرجل منصبه الذي عُيِّن فيه لجرّ منفعة إلى شخصه أو قرابته ، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَى عَمَلٍ فَرَزَقْنَاهُ رِزْقًا فَمَا أَخَذَ بَعْدَ ذَلِكَ فَهُوَ غُلُولٌ**» [٢] .

٧ – **خيانة الرعية:** ولذا كان من الخيانة تضييع الزوجة والأولاد ، فلا

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ١٠٢ .
(٢) (صحيح) أخرجه أبو داود ٢٩٤٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٠٢٣ .

يؤدبهم ولا يأمرهم بالمعروف ولا ينهاهم عن المنكر ، فَعَنْ مَعْقِل ﷺ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ الله رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ الله عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»[1] ، وأي غش - أيها المسلمون - أكبر من نصب الدش في المنزل وجعله متاحًا للقاصرين من الأطفال والنساء والمراهقين يختارون ما شاؤوا من القنوات الخارجة؟! وإذا أهمل الزوج حق زوجته ولم يطعمها ولم يكسها مما اكتسى أو أفشى سرها فقد خان الأمانة ، وإن أفشت الزوجة سر زوجها فقد خانت الأمانة ، وإن دخل بيتها أحد بغير إذن زوجها فقد خانت الأمانة .

٨ - **خيانة الجوارح:** فمن لم يحفظ جوارحه عن معصية الله فقد خان الله .

٩ - **خيانة أسرار الناس:** بألا تحفظ حقوق المجالس التي تحضرها ، فتدع لسانك يفشي أسرارها وينشر أخبارها .

١٠ - **خيانة العلم:** فالعلم أمانة في عنق العلماء ، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ الله مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران:١٨٧] .

١١ - **خيانة الودائع التي وصى الله بها من فوق سبع سماوات:** ﴿إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨] ، ويدخل في ذلك أداء الديون ، فالمماطلة بها خيانة ، انظروا إلى رسول الله كيف استخلف ابن عمه علي بن أبي طالب ليُسَلم إلى المشركين الودائع التي حفظوها عنده ، مع أنهم آذوه واضطروه إلى ترك أرضه عند هجرته إلى المدينة (٧٢) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ١٤٢ .

٣٢- تجنب جميع المعاملات الربوية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع رؤيا لرسول الله في المنام لآكلي الربا – ومن المعلوم أن رؤيا الأنبياء حق – أخرجها البخاري وآخرين عَنْ سَمُرَةَ ابْنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ وَعَلَى وَسَطِ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ فَإِذَا أَرَادَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ فَقَالَ: الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُ الرِّبَا [(١)] .

وتصوروا واحداً يسبح في دم ، أنت إذا وقعت نقطة دم في ثوبك تتقزز ، كيف بواحد يسبح في الدم! (قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا آكل الربا) هذا عذابه إلى يوم القيامة ، فاتق الله في نفسك يا أخي!

أخي الحبيب: ينقسم الربا بصفة عامة لقسمين: ربا فضل وربا نسيئة .

ربا الفضل: معاوضة مال بمال بزيادة ، أعطيك عشرة آلاف وتعطيني أحد عشر ألفاً أو مبلغ آخر ، بزيادة مقدارها اثنان أو ثلاثة أو عشرة . .في المائة هذا ربا الفضل .

ربا النسيئة: لك مال عند إنسان وحان الأجل وما سدد هذا المال فتقول له: سدد ما عليك أو زد ولا أسألك ، عشرة آلاف يجب عليك سدادها الآن أو أشكوك للجهة المسئولة .

فيقول لك: ما عندي .

---

(١) **(صحيح)** أخرجه البخاري ٢٠٨٥ .

وتقول له: حسناً ، فلتكن المدة سنةً أيضاً وتصير أحد عشر ألفاً هذا ربا الجاهلية ، نَسِّئْ وَزِدْ ، فلا تعمل بهذا العمل .

ومنه ربا العينة ، وهي: أن يبيع السلعة بثمن مؤجل ويسترجعها بثمن حال ، هذه اسمها عينة ، لأنها حيلة على الربا (٦٦) . فمثلا يبيع سعيد إلى سيد سيارة بخمسين ألفا يسددها بعد سنة ثم يشتريها سعيد مرة ثانية من سيد في الحال بثلاثين ألفا فيقبض سيِّد ثلاثين ألفا ويصبح في ذمته خمسون ألفا لسعيد يسددها بعد سنة .

أخي الحبيب ، الربا من أخطر البلايا التي تهدد المجتمع المسلم ، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨)** ﴾ [البقرة: ٢٧٨] .

المعنى: يا من آمنتم بالله واتبعتم رسوله خافوا الله ، واتركوا طلب ما بقي لكم من زيادة على رؤوس أموالكم التي كانت لكم قبل تحريم الربا ، إن كنتم محققين إيمانكم قولا وعملا . ومن أنواع الربا ربا الفضل وربا العينة ، فربا الفضل هو بيع النقود بالنقود أو الطعام بالطعام مع الزيادة كأن يباع كيلو تمر جيد بنصف كيلو تمر رديئ ، وربا العينة هو أن يشتري المحتاج لنقود سلعة معينة بثمن معين إلى أجل معين ثم يبيعها ممن اشتراها منه بثمن فورى أقل فيكون الفرق هو فائدة المبلغ الذى أخذه آجلا وهذا البيع حرام ويقع باطلا .

فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ** - أي انشغلتم بالزراعة - **وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ سَلَّطَ الله عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ**»[1] .

ولقد نهى رسول الله ﷺ الرجل يأخذ الهدية ممن يقرضه ، فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ شَفَعَ لِأَخِيهِ بِشَفَاعَةٍ فَأَهْدَى لَهُ هَدِيَّةً عَلَيْهَا فَقَبِلَهَا**

---

(١) (صحيح) أخرجه أبو داود ٣٤٦٢ وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٤٢٣ .

فَقَدْ أَتَى بَابًا عَظِيمًا مِنْ أَبْوَابِ الرِّبَا»[١] .

ويعد من ربا الفضل مبادلة المال الربوي بجنسه مع الزيادة في أحد العوضين متقابضين في المجلس أو غير متقابضين وهو محرم في ستة أصناف مبينة في قول النبي ﷺ: «**الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالفِضَّةُ بِالفِضَّةِ، وَالبُرُّ بِالبُرِّ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالمِلْحُ بِالمِلْحِ، مِثْلًا بِمِثْلٍ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ، يَدًا بِيَدٍ، فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَذِهِ الأَصْنَافُ، فَبِيعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ، إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ**» (أخرجه مسلم) ، وللتبادل بهذه الأصناف يجب المساواة في الكيل أو الميزان ، والتقابض قبل التفرق ، إلا إذا بيعت بالمال ، إلا الذهب والفضة فلا بد من قبض الثمن قبل التفرق ، وللأسف بعض الناس يشترون الذهب بالتقسيط .

أخي الصائغ، احذر من أن تشتري أو تبيع الذهب أو الفضة مع عدم قبض الثمن جملة واحدة في المجلس ، وكذا لا تَبِعْ ذهباً بذهب أو فضة بفضة مع أخذ فارق الثمن ، ولكن اجعل ذلك على بيعتين كل منهما مستقلة عن الأخرى .

الأخت الفاضلة، احذري من أن تبيعي ذهبك القديم بذهب جديد وتدفعي الفرق للصائغ فإن كان لا بد فبيعي ذهبك القديم أولا ثم اقبضي الثمن وبعد ذلك لك أن تشتري من هذا الصائع أو غيره ذهبا جديدا بسعر جديد ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ «**مَنْ بَاعَ بَيْعَتَيْنِ فِي بَيْعَةٍ فَلَهُ أَوْكَسُهُمَا أَوْ الرِّبَا**»[٢] .

معاشر الإخوة ، **للربا مخاطر كثيرة نذكر منها:**

١) عقوبة آكل الربا أنه يسبح في نهر دم ويلقم في فيه بالحجارة يوم القيامة .

٢) أكل الربا من السبع الموبقات .

---

(١) (حسن) أخرجه أبو داود ٣٥٤١وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٦٣١٦ .
(٢) (حسن) أخرجه أبو داود ٣٤٦١ وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٦١١٦ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٣) أكل الربا يعرض صاحبه لحرب الله ورسوله ، فيصير عدوا لله وسوله ، قال الله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة:٢٧٩] .

٤) آكل الربا وكل من أعان عليه ملعون ، وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ وَقَالَ: «**هُمْ سَوَاءٌ**» [(١)] . واللعن هو الطرد من رحمة الله تعالى .

٥) ظهور الربا سبب لإهلاك القرى ونزول مقت الله ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاس رضي الله عنهما ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**إِذَا ظَهَرَ الزِّنَا وَالرِّبَا فِي قَرْيَةٍ، فَقَدْ أَحَلُّوا بِأَنْفُسِهِمْ كِتَابَ الله**عز وجل » [(٢)] .

٦) مآل الربا إلى قلة وخسران ، فَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنْ الرِّبَا إِلَّا كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ**» [(٣)] .

٧) الربا أشد من ستة وثلاثين زنية ، لقول رَسُولِ الله ﷺ : «**دِرْهَمٌ رِبًا يَأْكُلُهُ الرَّجُلُ وَهُوَ يَعْلَمُ أَشَدُّ مِنْ سِتَّةٍ وَثَلَاثِينَ زَنْيَةً**» [(٤)] .

٩) أدنى الربا ذنبا كمثل من زنا بأمه ، وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**الرِّبَا ثَلَاثَةٌ وسَبْعُونَ بَابَاً أَيْسَرُها مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ وإِنَّ أَرْبَى الرِبَا عِرْضُ الرَجُلِ المُسْلِمِ**» [(٥)] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ١٥٩٨ .
(٢) (صحيح) أخرجه الطبراني في الكبير ٤٦٠ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٧٩ .
(٣) (صحيح) أخرجه ابن ماجه ٢٢٧٩ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٥١٨ .
(٤) (صحيح) أخرجه أحمد ٢١٩٥٧ وصححه الشيخ الألباني في ص.ج ٣٣٧٥ .
(٥) (صحيح) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢٢٥٩ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٥٣٩ .

٣٣ - عدم أكل أموال الناس بالباطل

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة أروى بنت أويس مع سعيد بن زيد ﵁ أخرجها مسلم في صحيحه ، فَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ أَرْوَى بِنْتَ أُوَيْسٍ ادَّعَتْ عَلَى سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا فَخَاصَمَتْهُ إِلَى مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ فَقَالَ سَعِيدٌ: أَنَا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيْئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: وَمَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنْ الْأَرْضِ ظُلْمًا طُوِّقَهُ إِلَى سَبْعِ أَرَضِينَ» ، فَقَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لاَ أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا فَقَالَ: اللهمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمِّ بَصَرَهَا وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا قَالَ: فَمَا مَاتَتْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهَا ، ثُمَّ بَيْنَا هِيَ تَمْشِي فِي أَرْضِهَا إِذْ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ [1] .

أخي الحبيب ، لقد نهانا الله تعالى عن أكل أموال الناس بالباطل ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩)﴾ [النساء:٢٩] .

وهناك صور متعددة من أكل أموال الناس بالباطل منها:

١ – **الغصب والسرقة** ، أي الاستيلاء على مال الغير بغير حق ، ففيه ظلم وقهر وتعد ، وهو محرم بالكتاب والسنة والإجماع لما فيه من أكل أموال الناس بالباطل ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ الْبَيْضَةَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ وَيَسْرِقُ الْحَبْلَ فَتُقْطَعُ يَدُهُ**» قَالَ الْأَعْمَشُ: كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ بَيْضُ

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ١٦١٠ .

الحَدِيدِ –أي:خوزة المقاتل– ، وَالحَبْلُ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْهَا مَا يَسْوَى دَرَاهِمَ [(١)] .

٢ – إنكار الدين وعدم سداده مع القدرة على سداده ، فقد ثبت عَّن رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ» [(٢)] ، والمطل هو: التأخير ، يعني: إذا كان غنياً قادراً على الوفاء فمطله – يعني: تأخيره للوفاء – ظلم .

وعَنْ صُهَيْب رضي الله عنه : عَّن رَسُول اللهِ ﷺ قَالَ: «أَيُّمَا رَجُلٍ تَدَيَّنَ دَيْنًا، وَهُوَ مُجْمِعٌ أَنْ لَا يُوَفِّيَهُ إِيَّاهُ، لَقِيَ اللهَ سَارِقًا» [(٣)] ، وَعَنْ عَبْدِ الله بْن عَمْرو بْنِ الْعَاص رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يُغْفَرُ لِلشَّهِيدِ كُلُّ ذَنْبٍ إِلَّا الدَّيْنَ» [(٤)] .

٣ – الغلول، نهانا الله تعالى ورسوله الكريم عن الغلول ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ (١٦١)﴾ [آل عمران: ١٦١] .

المعنى: وما كان لنبيٍّ أن يَخُونَ أصحابه بأن يأخذ شيئًا من الغنيمة غير ما اختصه الله به ، ومن يفعل ذلك يأت حاملا له يوم القيامة ؛ ثم تُعطى كل نفس جزاءَ ما كسبت دون ظلم .

٤ – الاحتكار، حبس ما يحتاجه الناس لرفع ثمنه عليهم إضرارا بهم واستغلالا لحاجتهم واضطرارهم ، فَعن مَعْمَر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَنِ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ» [(٥)] . ولا نستهين بكلمة خاطئ فلقد قال تعالى عن فرعون وهامان وجنودهما: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص:٨] .

٥ – الرشوة، أخذ الرشوة والهدية ، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ

(١) (صحيح) أخرجه (البخاري ٦٧٨٣ ، ومسلم ١٦٨٧ .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٢٨٧ ، ومسلم ١٥٦٤ .
(٣) (حسن صحيح) أخرجه ابن ماجه ٢٤١٠ وصححه الألباني ١/٢٧٢٠ .
(٤) (صحيح) أخرجه مسلم ١٨٨٦ .
(٥) (صحيح) أخرجه مسلم ١٦٠٥ .

رَسُولُ الله ﷺ : «لَعْنَةُ الله عَلَى الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي» [١] .

٦ – التجارة في المواد المحرمة والضارة كالخمر والميتة والخنزير والأصنام ، ومن ذلك سائر المخدرات الحديثة ، وتجارة السلاح وتهريبه ، وتجارة الأطفال والنساء والبغاء والسهرات الحمراء والرقص والتمثيل والغناء والموسيقى غالبا ، والأشرطة المخلة بالآداب ، وبيع الأشياء المباحة لمن يعلم أنه يستخدمها في الحرام ، ومما يلحق بالمخدرات الأدخنة والقات (٥٨) .

٧ – أكل مال اليتيم، فلقد نهانا رسول الله ﷺ عن أكل مال اليتم بغير الحق ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ** قَالُوا: يَا رَسُولَ الله: وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: **الشِّرْكُ بِالله ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ**» [٢] .

٨ – بيع الغرر ، وقد جاء النهي عن بيع الغرر . فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ بَيْعِ الْغَرَرِ [٣] ، كبيع البائع شيئا لا يملكه ، وقد جاء النهي عنه ما جاء عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ قَالَ: يَا رَسُولَ الله ، يَأْتِينِي الرَّجُلُ فَيُرِيدُ مِنِّي الْبَيْعَ لَيْسَ عِنْدِي أَفَأَبْتَاعُهُ لَهُ مِنْ السُّوقِ؟ فَقَالَ: «**لَا تَبِعْ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ**» [٤] ، كما يدخل في بيع الغرر بيع الثمار في الحقول والحدائق قبل أن يبدو صلاحها ، ولذلك نهى النبي ﷺ عن بيع الثمار حتى يبدو صلاحها إلا أن يشترط القطع في الحال، ونهى عن بيع السنبل حتى يبيّض ويأمن العاهة ، وَقَالَ رسول الله ﷺ : «**إِنْ لَمْ يُثْمِرْهَا الله فَبِمَ يَسْتَحِلُّ أَحَدُكُمْ مَالَ أَخِيهِ**» [٥].

---

(١) (صحيح) أخرجه ابن ماجه ٢٣١٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم ٥١١٤ .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٧٦٦ ، ومسلم ٨٩ .
(٣) (صحيح) أخرجه أبو داود ٣٣٧٦ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٩٢٩ .
(٤) (صحيح) أخرجه أبو داود ٣٥٠٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٢٠٦ .
(٥) (صحيح) أخرجه مسلم ١٥٥٥ .

٩ – **المقامرة** ، هي الميسر المنهى عنه بنص القرآن ، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [المائدة:٩٠] ، فكل معاملة يتحقق فيها معنى المقامرة أو المراهنة فهي حرام.

١٠ – **الغش** ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا ، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ: « **مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟** » ، قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللهِ ، قَالَ: «**أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي**»(١) .

١١ – **بيع النجش** ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ : «**نَهَى عَنْ التَّلَقِّي لِلرُّكْبَانِ** – أي يستقبل بائعوا السوق أهل البادية للشراء منهم قبل دخول السوق – ، **وَأَنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ** – أي لا يكون له سمسارا – ، **وَأَنْ تَسْأَلَ الْمَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا، وَعَنْ النَّجْشِ** – أي يزيد في الثمن وهو لا يرغب في شرائها وإنما ليخدع غيره – ، **وَالتَّصْرِيَةِ** – أي ترك الحيوان دون حلب أياما ليجتمع اللبن في الضرع ويخدع المشتري بكثرة اللبن –، **وَأَنْ يَسْتَامَ الرَّجُلُ عَلَى سَوْمِ أَخِيهِ**»(٢) .

١٣ – **بيع الرجل على بيع أخيه** ، ولا خلاف بين الفقهاء في أنه إذا باع الرجل على بيع أخيه ، أو اشترى على شرائه فإن فِعْلَهُ هذا محرم ويكون آثماً للحديث السابق ، وينبغي أن يفهم أن حرمة هذا البيع تكون بعد إتمام البيع واتفاق كلٍّ من البائع والمشتري ، أما أثناء البيع فلا بأس (٢) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ١٠٢

(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ١٥١٥ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٣٤- عدم تتبع خطوات الشيطان

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة راهب عبد الله ستين سنة ثم فتنه الشيطان ، قال ابن كثير في تفسيره قال ابن جرير: عن عبد الله بن مسعود في هذه الآية ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ الله رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحشر:١٦] ، قال: كانت امرأة ترعى الغنم وكان لها أربعة إخوة ، وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب ، قال: فنزل الراهب ففجر بها فحملت ، فأتاه الشيطان فقال له: اقتلها ثم ادفنها فإنك رجل مصدق يسمع قولك ، فقتلها ثم دفنها قال: فأتى الشيطان إخوتها في المنام ، فقال لهم: إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم ، فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا ، فلما أصبحوا ، قال رجل منهم: والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك؟ قالوا: لا بل قصها علينا . قال: فقصها ، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك ، فقال الآخر: وأنا والله لقد رأيت ذلك ، قالوا: فوالله ما هذا إلا لشيء قال: فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب ، فأتوه فأنزلوه ثم انطلقوا به فلقيه الشيطان ، فقال إني أنا الذي أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري ، فاسجد لي سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه ، قال: فسجد له ، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ فقتل ، وكذا روي عن ابن عباس وطاووس ومقاتل بن حيان نحو ذلك ، واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا فالله أعلم .

معاشر الإخوة ، لقد حذرنا الله سبحانه وتعالى من الشيطان ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦] وللشيطان على بني آدم مداخل متنوعة نذكر منها:

١ - يَعِد أصحابه الفقر إذا أنفقوا في سبيل الله ويأمرهم بالفحشاء قال تعالى: ﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨)﴾ [البقرة:٢٦٨] .

٢ - يخوف أولياءه من القتل عند الجهاد قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٥)﴾ [آل عمران:٢٧٥] .

٣ - يزين لأوليائه الرياء عند الانفاق في سبيل الله . قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَـاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِيناً فَسَاء قِرِيناً (٣٨)﴾ [النساء:١٦] .

٤ - يزين لأوليائه التحاكم بغير شرع الله ، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً(٦٠)﴾ [النساء:٦٠] .

٥ - يشكك أولياءه في دين الإسلام ليردهم إلى الكفر قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ [محمد:٢٥] .

٦ - يستحوذ على أولياءه لينسيهم ذكر الله ، قال تعالى: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٩)﴾ [المجادلة:١٩] .

٧ - يعد ويمني أولياءه بطول الأمل وبالوعود الكاذبة ، والأماني الباطلة الخادعة قال تعالى: ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُوراً (١٢٠)﴾ [النساء:١٢٠] .

٨ - يزين لأوليائه شرب الخمر ولعب القمار وعبادة الأصنام واستخدام القداح في الاستخارة وغير ذلك من الآثام ليوقع بين أوليائه العداوة والبغضاء

ويصرفهم عن الصلاة . قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)﴾ [المائدة:٩٠] .

إخوتي في الله ، يمكن التحرز من الشيطان بالمحافظة على أذكار اليوم والليلة نذكر من ذلك ما يلي :

١ – فَعند قراءة القرآن ، بقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم . قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨)﴾ [النحل:٩٨] .

٢ – وعند الدخول إلى البيت ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ الله عِنْدَ دُخُولِهِ، وَعِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرْ الله عِنْدَ دُخُولِهِ قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ الله عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمْ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ» [(١)] .

٣ – وعند الخروج من البيت، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ الله تَوَكَّلْتُ عَلَى الله لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِالله ، فَيُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ وَهُدِيتَ وَوُقِيتَ، فَيَلْقَى الشَّيْطَانُ شَيطَانًا آخَرَ فَيَقُولُ لَهُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ» [(٢)] .

٤ – وعند الهم على اقتراف المعاصي، يمكن دفع الشيطان إذا وسوس لاقتراف المعاصي بالاستعاذة بالله تعالى منه . قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠)﴾ [الأعراف:٢٠٠] .

٥ – وعند النوم، فليقرأ آية الكرسي فإنه لا يزال عليه من الله حافظ ، لحديث أبي هريرة الطويل .

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٠١٨ .

(٢) (صحيح) رواه أبو داود ٥٠٩٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤٩٩ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٦ – وعند الفزع من النوم، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ» (١) .

٧ – وعند القيام من النوم ، لقول النبي ﷺ : «إِذَا اسْتَيْقَظَ أُرَاهُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَتَوَضَّأَ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلاثًا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَى خَيْشُومِهِ– أنفه –» (٢)

٨ – وعند الدخول إلى الخلاء، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِذَا دَخَلَ الْخَلَاءَ قَالَ: اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ» (٣)

٩ – وعند الصلاة، بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم مع التفل جهة اليسار ، وترك الالتفات في الصلاة ، ومنع من يريد المرور بين أيدينا في الصلاة .

١٠ – وعند التثاؤب ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَضَعْ يَدَهُ عَلَى فِيهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مَعَ التَّثَاؤُبِ» (٤) .

١١ – عند الصباح والمساء، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنْ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ» (٥) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (حسن) أخرجه الترمذي ٣٥٢٨ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٧٠١ .
(٢) (صحيح) رواه البخاري ٣٢٩٥ .
(٣) (صحيح) أخرجه البخاري ١٤٢ ، ومسلم ٣٧٥ .
(٤) (صحيح) رواه أحمد ١١٨٨٩ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤٢٦ .
(٥) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٢٩٣ ، ومسلم ٢٦٩١ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٣٥- تحري الحلال في المطعم والمشرب والملبس

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع ورع أبي بكر الصديق رضي الله عنه وتحريه في أكل الحلال وتجنب الحرام ، أخرج البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَمَا أُحْسِنُ الْكِهَانَةَ إِلاَّ أَنِّي خَدَعْتُهُ ، فَلَقِيَنِي ، فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ [(١)] .

ولقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بأكل الحلال الطيب وبين ما حرم من الأطعمة والأشربة في آيات مختلفة ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ الله لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة:٨٧] ، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لله إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة:١٧٢] .

وقال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ الله بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ(٣)﴾ [المائدة:٣] .

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٨٤٢ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

المعنى: يا أيها الذين آمنوا حرَّم الله عليكم الميتة، وهي الحيوان الذي تفارقه الحياة بدون ذكاة - أي بذبحه ذبحا غير شرعيا -، وحرَّم عليكم الدم السائل المُراق، ولحم الخنزير، وما ذُكِر عليه غير اسم الله عند الذبح، والمنخنقة التي حُبِس نَفَسُها حتى ماتت، والموقوذة وهي التي ضُربت بعصا أو حجر حتى ماتت، والمُتَرَدِّية وهي التي سقطت من مكان عال أو هَوَت في بئر فماتت، والنطيحة وهي التي ضَرَبَتْها أخرى بقرنها فماتت، وحرَّم الله عليكم البهيمة التي أكلها السبُع، كالأسد والنمر والذئب، ونحو ذلك. واستثنى سبحانه مما حرَّمه من المنخنقة وما بعدها ما أدركتم ذكاته قبل أن يموت فهو حلال لكم، وحرَّم الله عليكم ما ذُبِح لغير الله على ما يُنصب للعبادة من حجر أو غيره، وحرَّم الله عليكم أن تطلبوا عِلْم ما قُسِم لكم أو علم مالم يقسم لكم بالأزلام أي القداح التي كانوا يستقسمون بها إذا أرادوا أمرًا قبل أن يقدموا عليه، والآن انقطع أمل الكفار في أن ترتدوا عنه إلى الشرك بعد أن نصَرْتُكم عليهم، فلا تخافوهم وخافوني واليوم أكملت لكم دينكم وهو دين الإسلام بتحقيق النصر وإتمام الشريعة، وأتممت عليكم نعمتي بإخراجكم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان، ورضيت لكم الإسلام دينًا فالزموه، ولا تفارقوه. فمن اضطرَّ في مجاعة إلى أكل الميتة من غير هوى لذلك فله تناوله، فإن الله غفور رحيم.

ويتناول المضطر من الميتة القدر الذي يحفظ حياته ويقيم أوده، وكذا يجوز تناول الخمر في حالة الاضطرار، وهذا من باب الضرورات تبيح المحظورات، ونهي رسول الله نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع وعن أكل كل ذي مخلب من الطير، نهى عن أكل لحوم الحمر الأهلية، نهى عن أكل الجلالة وألبانها والجلالة هي التي تأكل العذرة - أي النجاسات - من الإبل والبقر والغنم والدجاج والأوز وغيره فإذا حبست بعيدة عن العذرة زمنا وعلفت طاهرا، فطاب لحمها حلت، لأن العلة التغيير وقد زالت، واللحوم المستوردة من خارج البلاد الإسلامية يشترط فيها أن تكون من اللحوم التي أحلها الله والتى

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

ذكيت زكاة شرعية – أي ذبحت ذبحا شرعيا – .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّا نَرْكَبُ الْبَحْرَ وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنْ الْمَاءِ فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا أَفَنَتَوَضَّأُ بِمَاءِ الْبَحْرِ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله: «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ»(١) ، ونخلص من هذا الحديث أن ماء البحر طاهر وميتته حلال .

معاشر الإخوة ، إن من فضائل إطابة المطعم والمشرب استجابة الدعاء ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الله طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا وَإِنَّ الله أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] ، وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِك»(٢) .

فهذا الرجل جمع أسباب إجابة الدعاء ولكن لم يُسْتَجَبْ له لأكله الحرام .

أخي الحبيب ، إن في تحري الحلال وترك الحرام فوائد عظاماً نذكر منها:

١ – أكل الحلال صلاح للقلوب ، وأكل الحرام من أخطر مهلكات القلوب .

٢ – أكل الحلال نجاة من الهلاك ، قال سهل بن عبد الله: النجاة في ثلاثة: أكل الحلال ، وأداء الفرائض ، والاقتداء بالنبي ﷺ ، وقال: ولا يصح أكل الحلال إلا بالعلم ، ولا يكون المال حلالا حتى يصفو من ست خصال: الربا ، والحرام ، والسحت ، والغلول ، والمكروه ، والشبهة .

٣ – ومن أكل الحرام حُرم لذة الإيمان فإن الله طيب لا يقبل إلا طيبا .

---

(١) (صحيح) أخرجه أبو داود ٨٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٠٤٨ .
(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ١٠١٥ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٤ – ما نبت من حرام فالنار أولى به ، فَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ : «**يا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ إِنَّهُ لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ**»[1] .

أما ترى أن هذا هو زماننا ورب العزة ، أما ترى تكالب الناس من أجل تحصيل مغريات الدنيا التي تتفتح عليها أعينهم ليل نهار ، فلا يبالون بشيء سوى جمع المال من أي وجه ، حلال أو حرام لا يهم .

ومن أجل ذلك تعقدت الأمور ، وصار الناس في حيرة من أمرهم ، فما يمر يوم إلا وتجد من يسألك عن هذا الذي يبيع الدخان أو الخمور أو الذي بنى ثروته من البداية بتجارة المخدرات ويريد أن يتوب ولا يعلم ماذا يصنع في ماله ، وذاك الذي يعمل كوافيرا أو يبيع ملابس النساء العارية التي يعلم أن التي ستلبسها لتفتن بها شباب المسلمين في الشوارع ، وهذا الذي يعمل في السينمات والمسارح . .إلخ .

ومن المؤسف والمخجل أنك تستمع للأولاد وهم لا يدرون كيف يأكلون من مال أبيهم وهم يعلمون أنه حرام ، وتجدك في كل مرة تبحث لهؤلاء عن مخرج وقد ضيق الناس على أنفسهم سبل الخير والحلال ، ومن هنا شاعت الفتاوى عن المال المختلط وأحكامه وغيرها مما هو على هذه الشاكلة ، أما كان السبيل رحبا واسعا فضيقتموه باتباع الهوى واللهث وراء المال من غير وجه حله ، ﴿**أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ(٤) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ(٥) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ(٦)**﴾ [المطففين:٤ – ٦] (٦٣) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) (**صحيح**) أخرجه الترمذي٦١٤ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١٧٢٩ .

٣٦ - وقاية النفس والأهل من النار

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة سعيد بن المسيب هذا التابعى الجليل والتى وردت في كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء يقول: عن أبي وداعة قال: كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدنى أياما فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت:توفيت أهلي فاشتغلت بها ، فقال: ألا أخبرتنا فشهدناها ، قال: ثم أردت أن أقوم فقال: هل استحدثت امرأة؟ فقلت: يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة ، فقال: أنا ، فقلت: أو تفعل؟ قال: نعم ، ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي ﷺ وزوجني على درهمين أو قال: ثلاثة - قال: فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح فصرت إلى منزلى وجعلت أتفكر ممن آخذ وممن أستدين فصليت المغرب وانصرفت إلى منزلي واسترحت وكنت وحدي صائما فقدمت عشائي أفطر . كان خبزا وزيتا فإذا بآت يقرع ، فقلت: من هذا؟ قال:سعيد ، قال: فتفكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب ، فإنه لم ير أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد ، فقمت فخرجت فإذا بسعيد بن المسيب فظننت أنه قد بدا له ، فقلت: يا أبا محمد ألا أرسلت إليَّ فآتيك؟ قال: لأنت أحق أن تؤتى ، قال: قلت: فما تأمر؟ قال: إنك كنت رجلا عزبًا فتزوجت ، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك ، وهذه امرأتك فإذا هي قائمة من خلفه في طوله ، ثم أخذها بيدها فدفعها بالباب ورد الباب ، فسقطت المرأة من الحياء ، فاستوثقت الباب ، ثم قدمتها إلى القصعة التى فيها الزيت والخبز ، فوضعتها في ظل السراج لكي لا تراه ثم صعدت إلى السطح ، فرميت الجيران ، فجاءوني فقالوا: ماشأنك؟ قلت: ويحكم! زوجني سعيد بن المسيب اليوم وقد جاء عليَّ غفلة ، فقالوا: سعيد ابن المسيب زوجك؟ قلت: نعم ، وها هي في

الدار ، قال: فنزلوا هم إليها وبلغ أمي فجاءت ، وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها لك ثلاثة أيام ، قال: فأقمت ثلاثة أيام ثم دخلت بها فإذا هي من أجل الناس ، وإذا هي أحفظ الناس لكتاب الله وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ ، وأعرفهم بحق الزوج قال: فمكثت شهرا لا يأتيني سعيد ولا آتيه ، فلما كان قرب الشهر أتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد على السلام ولم يكلمني حتى تقوض أهل المجلس ، فلما لم يبق غيري ، قال: ما حال ذلك الإنسان ، قلت: خيرا يا أبا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو ، قال: إن رابك شيء ، فالعصا فانصرفت إلى منزلي ، فوجه إليَّ بعشرين ألف درهم ، وهذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ الله مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦] ، وقول رَسُول الله ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا »[(١)] .

معاشر الإخوة ، فيما يلي قبس من الهدي النبوي لوقاية الأهل والنفس:

١ – أن يأمر أهله بالصلاة ، ويفرق بين البينين والبنات عند عشر سنين لقول النبي ﷺ : «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ » [(٢)] .

٢ – أن يوفر لأهل بيته الطعام الطيب محتسبا الأجر عند الله ، فَعَنِ ابْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ»[(٣)] .

٤ – أن يهتم بتعليم أولاده القرآن الكريم ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنِ

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٤٠٩ ،ومسلم ١٨٢٩ واللفظ للبخاري .
(٢) (حسن) أخرجه أبو داود ٤٩٥ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٥٨٦٨ .
(٣) (حسن) أخرجه أخرجه أبو داود ١٦٩٢ وحسنه الألباني في ص .ج ٤٤٨١ .

النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ حَلِّهِ فَيُلْبَسُ تَاجَ الْكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ فَيَرْضَى عَنْهُ فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ وَارْقَ وَتُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً» [١] .

٥ – أن يهتم بإيقاظ أهله لصلاة الليل ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما قَالاَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنْ الذَّاكِرِينَ الله كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ» [٢] .

٦ – أن يأمر أهله بارتداء الحجاب الشرعي ، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ قَدْ حَرَّمَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِمُ الْجَنَّةَ: مُدْمِنُ الْخَمْرِ، وَالْعَاقُّ، وَالدَّيُّوثُ الَّذِي يُقِرُّ فِي أَهْلِهِ الْخُبْثَ»[٣] .

٧ – أن يوجه أهله لكل خصال الخير ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِنَّ الدَّالَّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ»[٤] .

٨ – أن يعتني بدوام ذكر الله في بيته ، فَعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»[٥] .

٩ – أن يحث أهله لقراءة القرآن في البيت ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»[٦] .

١٠ – أن يحث أولاده على صلة الرحم ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «صِلَةُ الرَّحِمِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ يُعَمِّرْنَ الدِّيَارَ وَيَزِدْنَ فِي الْأَعْمَارِ » [٧] .

١١ – أن يحث أولاده على مرافقة الصالحين ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ

---

(١) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٩١٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٨٠٣٠ .
(٢) (صحيح) أخرجه ابو داود ١٤٥١ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٠٣٠ .
(٣) (صحيح) أخرجه أحمد ٦١١٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٠٥٢ .
(٤) (صحيح)أخرجه الترمذي ٢٦٧٠ وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٦٠٥ .
(٥) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٤٠٧ .
(٦) (صحيح) أخرجه مسلم ٧٨٠ .
(٧) (صحيح)أخرجه البيهقي في الشعب ٧٥٩٩ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٧٦٧ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ**» [(١)] .

١٢ – أن يعلم أهله كيف يكون التصرف عند مرض أحد أفراد الأسرة وذلك بثلاثة أشياء ، بالدعاء ، ثم بالصدقة ، ثم بالأخذ بالأسباب مع التيقن على رب الأسباب وعدم التيقن على الأسباب ثم يذهب للطبيب قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠)** ﴾ [الشعراء:٨٠] ، وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ : «**دَاوُوا مَرْضَاكُم بِالصَدَقَةِ**»[(٢)] .

١٤ – أن يمنع نساءه من الخلوة والسفر بغير محرم أو أن يدخل عليهم رجل وليس معهم محرم ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاس رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « **لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلَا تُسَافِرِ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ**»[(٣)] .

١٥ – أن يختار الأب لابنته صاحب الدين والخلق ويحذر من تكليف الزوج النفقات الباهظة لقول رَسُولِ الله ﷺ : «**إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**»[(٤)] ، ويوصي الأب ابنه بأن يتزوج ذات الدين فإن لم يستطع فعليه بالصيام فإنه دأب الصالحين وهو وقاية من المعاصي كأن يعوده صيام يومي الاثنين والخميس وثلاثة أيام من كل شهر ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**» [(٥)] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) (صحيح) أخرجه أبو داود ٤٨٣٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٥٤٥ .
(٢) (حسن) أخرجه (أبو الشيخ في الثواب) وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٣٣٥٨ .
(٣) (صحيح) أخرجه مسلم ١٣٤١ .
(٤) (حسن) أخرجه ابن ماجه ١٩٦٧ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٧٠ .
(٥) (صحيح) أخرجه (البخاري ٥٠٩٠ ، ومسلم ١٤٦٦ .

٣٧ - هدي رسول الله ﷺ

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع رسول الله ﷺ حين خرج من مكة إلى الطائف ، ماشيًا على قدميه جيئة وذهابا ، ومعه مولاه زيد بن حارثة ، فلما انتهى إلى الطائف توجه إلى ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف ، وهم عبد ياليل ومسعود وحبيب أبناء عمرو بن عمير الثقفي ، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله ، وإلى نصرة الإسلام ، فقال أحدهم: هو يَمْرُط ثياب الكعبة - أي يمزقها - إن كان الله أرسلك ، وقال الآخر: أما وَجَدَ الله أحدًا غيرك ، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدًا ، إن كنت رسولاً لأنت أعظم خطرًا من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك . فقام عنهم رسول الله ﷺ وقال لهم: «**إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني**»، وأقام رسول الله ﷺ بين أهل الطائف عشرة أيام ، لا يدع أحدًا من أشرافهم إلا جاءه وكلمه ، فقالوا: اخرج من بلادنا . وأغروا به سفهاءهم ، فلما أراد الخروج تبعه سفهاؤهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، فوقفوا له سِمَاطَيْن - أي صفين - وجعلوا يرمونه بالحجارة ، وبكلمات من السفه ، ورجموا عراقيبه ، حتى اختضب نعلاه بالدماء . وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى أصابه شِجَاج في رأسه ، ولم يزل به السفهاء كذلك حتى ألجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة على ثلاثة أميال من الطائف ، فلما التجأ إليه رجعوا عنه ، وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالتْ: قُلتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ : هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا**

أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ الله قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ ، فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الْأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ الله وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيئاً» [(١)] (٢٦) .

أخي الحبيب ، هذا هو رسول الله ﷺ الذي رفض ان ينتقم من قومه ، فلقد جبله الله عز وجل على كريم الخلال ، فكان قبل النبوة أرقى قومه ، بل أرقى البشرية في زكاء نفسه ، وسلامة فطرته ، وحسن خلقه ، نشأ يتيماً شريفاً ، وشب فقيراً عفيفاً ، ثم تزوج محباً لزوجته مخلصاً لها .

كان يُعرفُ بالتزام الصدق ، والأمانة ، وعلو الآداب ؛ فبذلك كان له المقام الأرفع قبل النبوة ؛ حتى لقبوه بالأمين ، حتى أتاه الوحي من رب العالمين

بل وكان رسول الله ﷺ أميا لا يقرأ ولا يكتب: فهذا من أعظم المهيئات والدلائل على صدق نبوته .

ولقد كان النبي ﷺ أكرم الخلق أخلاقا ، وقد خاطبه ربه تبارك وتعالى بقوله له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] ، ولقد أدبه ربه ، فأحسن تأديبه ، فكان خلقه القرآن الكريم ، يتأدب به ، ويؤدب الناس به ، وكان لا يرد إلا طَيِّبا ولا يضحك إلا مبتسما ، وكان كلامه يفهمه كل من سمعه ، وكان لا يرد الطيب – أي العطر- ولا اللبن ولا الوسادة . وكان كثير شعر اللحية فقد كان يطلق لحيته ويحف شاربه ، وكانت وسادته التي ينام عليها من أدم – أي جلد – حشوها ليف . وكان في حاجة أهله يقم المنزل ويخيط ثوبه ويخصف نعله ، وكان يبيت الليالي المتتالية طاويا وأهله لا يجدون عشاء ، وكان أكثر خبزهم

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٢٣١ ، ومسلم ١٧٩٥

خبز الشعير ، وكان لا يسأله أَحَدٌ إلا أعطاه فقد كان أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان .

وكان أبغض الخلق إليه الكذب ، وكان إذا اطلع على أحد من أهل بيته كذب كذبة لم يزل معرضا عنه حتى يحدث توبة ، وكان لا يغضب لنفسه ولكن يغضب إذا انتهكت محارم الله ﷻ .

وكان يجيب دعوة أي أحد ، ويقبل الهدية ولو قَلَّت ، ويكافئ عليها ، وكان يعود المرضى ، ويشهد الجنائز ، ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس ، وكان أشد الناس تواضعا ، وكان يلبس ما وجد ، فمرة شملة ، ومرة جبة صوف ، فما وجد من المباح لبس ، ويركب ما أمكنه ، مرة فرساً ، ومرة بعيراً ، ومرة بغلة شهباء ، ومرة حماراً ، أو يمشي راجلاً حافياً .

وكان يجالس الفقراء ، ويؤاكل المساكين ، وكان لا يحتقر مسكيناً لفقره وزمانته ، ولا يهاب ملكاً لملكه ، يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء مستوياً ، وكان يكرم أهل الفضل في أخلاقهم ، ويتألف أهل الشرف في البر لهم ، ويصل ذوي الرحم ، وما كان يأتيه أحد إلا قام معه في حاجته ، ولم يكن فظّاً ، ولا غليظاً ، ولا صخاباً في الأسواق ، وما كان يجزي السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح .

وكان يبدأ من لقيه بالسلام ، وكان لا يجفو على أحد ، يقبل معذرة المعتذر إليه ، يمزح ولا يقول إلا حقاً ، يضحك من غير قهقهة ، ولم يكن يعرف مجلسه من مجلس أصحابه ؛ لأنه كان يجلس حيث انتهى به المجلس ، وكان يكرم من يدخل عليه حتى ربما بسط ثوبه لمن ليس بينه وبينه قرابة يجلسه عليه ، وكان يعطي من جلس إليه نصيبه من وجهه ، وسمعه ، وحديثه ، ولطيف محاسنه ، وتوجيهه ، وكان أبعد الناس غضباً ، وأسرعهم رضاً ، وكان أرأف الناس بالناس ، وكان يحب اليسر ، ويكره العسر ، ولا يشافه أحداً بما يكره ، ومن رآه بديهة هابه ، ومن خالطه معرفة أحبه ، وكان يتفاءل ولا يتشاءم ويحب الاسم الحسن ، وكان إذا أتاه الأمر يَسُرُّهُ قال: **الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات** ،

وإذا أتاه أمر يكره قال: **الحمد لله على كل حال** ، وكان يحب التيامن ما استطاع في طهوره وتنعله وترجله وفي شأنه كله .

وكان إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ، ويقول: **السلام عليكم، السلام عليكم.**

وكان إذا قرب طعام قال: **بسم الله** فإذا فرغ قال: **أطعمت وأقنيت وهديت وأحييت فلك الحمد على ما أعطيت** ، وإذا شرب يشرب على ثلاث مرات وكان لا يشرب من فم السقاء وكان لا يتنفس في الإناء .

وكان إذا دخل الخلاء قال: **اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث** وإذا خرج قال: **غفرانك** .

وكان لايدع صيام أيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر في سفر ولا حضر ، وكان يكثر من صيام يومي الاثنين والخميس ، وكان إذا أفطر قال: **ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله.**

وكان يجتهد في العبادة في العشر الأواخر من رمضان ما لايجتهد في غيرها ، وكان إذا أفطر عند قوم قال: **أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وتنزلت عليكم الملائكة.** وكان يقول قبل موته بخمسة أيام: **وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك** ، وكانت وصية رسول الله ﷺ وهو يغرغر بنفسه: **الصلاة وما ملكت أيمانكم** ، أي يقصد الوصية بالصلاة والنساء ، فهلا عملنا بهذا الهدي النبوي المبارك وعلمناه أولادنا ، حتى ينبتهم الله جل وعلا نباتا حسنا ويجمعنا بهم في مستقر رحمته ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ [الطور : ٢١] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٣٨- الاستئذان الشرعي

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما سأل أَبَا موسى الأشعرى رضي الله عنه أن يأتي بالبينة ، لرجوعه عندما استأذن على عمر رضي الله عنه ثلاث مرات ولم يأذن له ، أخرج البخاري أيضا عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الأَنْصَارِ إِذْ جَاءَ أَبُو مُوسَى كَأَنَّهُ مَذْعُورٌ فَقَالَ: اسْتَأْذَنْتُ عَلَى عُمَرَ ثَلاَثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ فَقَالَ: مَا مَنَعَكَ؟ قُلْتُ اسْتَأْذَنْتُ ثَلاَثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي فَرَجَعْتُ وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**إِذَا اسْتَأْذَنَ أَحَدُكُمْ ثَلاَثًا فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَلْيَرْجِعْ**» فَقَالَ: وَاللهِ لَتُقِيمَنَّ عَلَيْهِ بِبَيِّنَةٍ أَمِنْكُمْ أَحَدٌ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فقَالَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: وَاللهِ لاَ يَقُومُ مَعَكَ إِلاَّ أَصْغَرُ الْقَوْمِ فَكُنْتُ أَصْغَرَ الْقَوْمِ فَقُمْتُ مَعَهُ فَأَخْبَرْتُ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ ذَلِكَ ، فقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه : أَخَفِيَ هَذَا عَلَيَّ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَلْهَانِي الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ يَعْنِي الْخُرُوجَ إِلَى التِجَارة [(١)] .

معاشر الإخوة ، لقد شرع الله عز وجل الاستئذان لعدة أغراض منها:

١ – لتجنب أن يقع البصر على العورات داخل البيوت .

٢ – حتى لا يطَّلع على الأسرار التي لا يحب أصحاب البيت أن يعرفها أحد .

٣ – لتجنب سوء الظن في الداخل فالدخول خفية يدل على الشر .

ولقد اتفق جمهور الفقهاء على أنه لابد قبل الدخول من الاستئذان والسلام معا غير أنهما ليسا بمرتبة واحدة فالاستئذان واجب ، والسلام

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٢٤٥ ، ومسلم ٢١٥٣ واللفظ للبخاري .

مستحب .

وأخرج البخاري في صحيحه عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرٍ فِي حُجَرِ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِدْرًى يَحُكُّ بِهِ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ الْبَصَرِ**»[1] .

فعندما رأى النبي عليه الصلاة والسلام رجلاً ينظر من نافذة حجرته وكان بيده آلة حادة ، فقال له رسول الله ﷺ ما معناه: لو رأيتك وأنت تنظر لطعنت بها في عينك ولا دية لك ، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر ، فإذا دخل البصر فلا إذن ، لم جعل الاستئذان؟ حتى لا يقع بصرك على عورات الناس ، فإذا دخل البصر فما قيمة الإذن ، ما قيمة أن تنظر وتتسمع كلام الناس ثم تدق الباب؟! إنما جعل الاستئذان من أجل ألا يسبق بصرك إلى عورات الناس ، ولذلك قال ما معناه: لو رأيتك لطعنت بها في عينك ولا دية لك - أي لو رأيت رجلاً ينظر في بيتك بغير إذنك فطعنته في عينه فذهبت فلا دية له - إنما جعل الاستئذان من أجل البصر ، هذا هو الأصل .

لكن هب أنك سمعت صراخاً في بيت الجار واستغاثة ، أو رأيت حريقاً أو أي شيء ضار ، فالاستئذان لا يسع في هذا ، ولكن ادخل ، وهذا خروج عن الأصل للضرورة (٥٥) .

معاشر الإخوة ، إن الإسلام يهدف إلى إقامة مجتمع نظيف لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة ولا تستثار فيه هذه الأمور المحرمة ، وجعل الله الاستئذان إجراءً احتياطياً وأمراً احترازياً من أجل عدم النظر إلى العورات ، ولذلك فإن رسول الله ﷺ كان إذا جاء باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر وذلك لأن الدور لم يكن عليها ستور وحتى لو كان لها أبواب فإن الباب إذا فتح فجأة قد يقع النظر على شيء من عورات أهل

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٢٤١ .

البيت ، ولذلك يكون من طرف الباب الذي إذا فتح لم يقع النظر على شيء ولا يواجه الباب مباشرة ، فهو إجراء احترازي من أجل عدم وقوع البصر على الحرام .

كما أن الاستئذان يكون حتى داخل البيوت ، وقد علمنا الله في كتابه أن نؤدب أولادنا بألا نجعلهم يداهمون غرفة نوم الأبوين مداهمة وإنما لابد من الاستئذان في الأوقات التي يغلب فيها كشف العورة ﴿ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ [النور:٥٨] ، وحتى المحارم في البيوت ، الأم في حجرتها والأخت في غرفتها لابد من الاستئذان عليهن قبل الدخول ، فقد أخرج البخاري في الأدب المفرد عن نافع: كان ابن عمر إذا بلغ بعض ولده الحلم لم يدخله عليه إلا بإذن (٦٤) .

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمُ الْآيَاتِ وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمْ آيَاتِهِ وَالله عَلِيمٌ حَكِيمٌ(٥٩)﴾ [النور: ٥٨ – ٥٩] .

المعنى: يا أيها الذين آمنوا مُروا عبيدكم وإماءكم ، والأطفال الأحرار دون سن الاحتلام أن يستأذنوا عند الدخول عليكم في أوقات عوراتكم الثلاثة: من قبل صلاة الفجر ؛ لأنه وقت الخروج من ثياب النوم ولبس ثياب اليقظة ، ووقت خلع الثياب للقيلولة في الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء ؛ لأنه وقت للنوم ، وهذه الأوقات الثلاثة عورات لكم ، يقل فيها التستر ، أما فيما سواها فلا حرج إذا دخلوا بغير إذن ؛ لحاجتهم في الدخول عليكم ، طوافون عليكم للخدمة ، وكما بيَّن الله لكم أحكام الاستئذان يبيِّن لكم آياته وأحكامه

وحججه وشرائع دينه . والله عليم بما يصلح خلقه ، حكيم في تدبيره أمورهم .وإذا بلغ الأطفال منكم سن الاحتلام والتكليف بالأحكام الشرعية ، فعليهم أن يستأذنوا إذا أرادوا الدخول في كل الأوقات كما يستأذن الكبار ، وكما يبيِّن الله آداب الاستئذان يبيِّن الله تعالى لكم آياته . والله عليم بما يصلح عباده ، حكيم في تشريعه .

إخوتي في الله ، للاستئذان آداب نذكر منها:

١- أن يقول المستأذن اسمه إذا سئل عن اسمه ولا يقول: أنا .

٢- أن يسلم قبل الاستئذان فيقول: السلام عليكم أأدخل؟ قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ الله مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون(٦١)﴾ [النور: ٦١] .

٣- ألا يستقبل باب من يستأذنه ولكن يتنحى يمينا أو يسارا حتى لا تقع عيناه على أحد العورات ، فَعَنْ جَابِرٍ ﷺ يَقُولُ ، أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي دَيْنٍ كَانَ عَلَى أَبِي فَدَقَقْتُ الْبَابَ فَقَالَ: مَنْ ذَا؟ فَقُلْتُ: أَنَا فَقَالَ: «أَنَا أَنَا »كَأَنَّهُ كَرِهَهَا [(١)] . فهلا فقهنا آداب الاستئذان الشرعي وعملنا بها وعلمناه أولادنا حتى ينبتهم الله جل وعلا نباتا حسنا .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❋ ❋ ❋

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٢٥٠ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٣٩- وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة الإمام مالك بن أنس مع أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور قال القاضي عياض في كتاب (ترتيب المدارك وتقريب المسالك): ناظر أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور الإمام مالك في مسجد النبي ﷺ فرفع أبو جعفر صوته ، فقال له مالك: يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في المسجد ، إن الله تعالى أدب قوما فقال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (٢)﴾ [الحجرات: ٢] ، ومدح قوما فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ الله أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ الله قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)﴾ [الحجرات: ٣] ، وذم قوما فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ(٤)﴾ [الحجرات: ٤] وإن حرمته ميتا كحرمته حيا ، فاستكان أبو جعفر المنصور .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ الله وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله سَمِيعٌ عَلِيمٌ(١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ(٢)﴾ [الحجرات: ١ - ٢] .

وقد نهى الله تعالى في هذه الآيات عن ثلاثة أمور: عن التقدم بين يديه ﷺ بما لا يأذن به من الكلام والآراء والأحكام ، وعن رفع الصوت بحضرته ، وعن الجفاء في مخاطبته ومحاورته .

كما أمر بتعظيمه ﷺ وتوقيره وخفض الصوت بحضرته وعند مخاطبته ،

والتزام توجيهاته وأوامره ، وبما أن حرمة النبي ﷺ حيا كحرمته ميتا ، وكلامه المسموع منه مباشرة ككلامه المروي عنه بعد موته في الرفعة والإلزام ، فقد وجب على كل من يسمع حديثه وسنته وهديه ألا يرفع صوته عليه أو يُعرِضَ عنه ؛ لأن رفع الصوت والجهر به في حضرته ﷺ أو عند تلاوة سنته دليل على قلة الاحتشام وترك الاحترام ، ثم عقب سبحانه على هذا التوجيه بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ الله أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ الله قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (٣)﴾ [الحجرات: ٣] .

ويستنبط الفقهاء بالقياس من هذا التوجيه القرآني وجوب احترام الوالدين والعلماء وذوي السابقة في الدعوة والجهاد وكبار السن ، والرفق بهم وعدم رفع الصوت بين أيديهم ، والاستحياء بحضرتهم ، مما تؤكده نصوص كثيرة لا يتسع المجال لها حاليا (٦٩) .

إخوتي في الله ، عندما ناظر ابن القيم رحمه الله تعالى أحد هؤلاء ممن يأتيه الحديث الصحيح فيرده لأن فلاناً قال كذا ، فقال له: أرأيت لو أن رسول الله ﷺ حيٌّ الآن يخاطبنا بأمر وقال: افعلوا كذا ولا تفعلوا كذا ، أكنت تأتمر بأمره ﷺ أو تقول: أَعْرِضُ هذا الأمر على قول فلان ، أو هذا الأمر يخالف ما قاله فلان من الناس؟ قال: بل أمتثل وأبادر تواً وفوراً ، قال: فما الفرق؟ فإذا كان ﷺ قد لحق بالرفيق الأعلى فسنته وأمره بعد وفاته كأمره في حياته ﷺ ، فلا بد من التأدب مع رسول الله ﷺ بالتأدب مع سنته كما كان التأدب مع شخصه ﷺ في حياته ، بألا يقدم أحد بين يدي الله ورسوله ، ولا يرفع صوته فوق صوت رسول الله ﷺ ، فكذلك يجب أن يتأدب معه بعد وفاته ﷺ بألا يرفع رأياً فوق سنته ﷺ اهـ .

ولقد أخبرنا الله جل وعلا بما كان من اليهود من سوء أدب مع رسول الله ﷺ وحذرنا من أن نحذو حذوهم فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ(١٠٤)﴾ [البقرة: ١٠٤] .

فلقد كان اليهود يقولون لرسول الله ﷺ راعنا ، أي: راعنا سمعك ، فافهم عنا وأفهمنا ؛ يلوون ألسنتهم بها ، ويقصدون سبَّه ونسبته إلى الرعونة ، فنهى الله ﷻ المؤمنين بألا يحذوا حذو اليهود ، وحذر الله تعالى المؤمنين من إيذاء رسول الله ، كما آذى بنو إسرائيل موسي عليه السلام فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ الله مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِندَ الله وَجِيهاً(٦٩)﴾ [الأحزاب: ٦٩] ، وفي هذه الآية تحذير للمؤمنين أن يبتدعوا في الدين ، أو يشرعوا ما لم يأذن به الله .

ومن علامات محبة رسول الله ﷺ لزوم الأدب معه قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٨) لِتُؤْمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٩)﴾ [الفتح: ٨ – ٩] ، فالتسبيح لله ﷻ والتعزير والتوقير لرسول الله فلا يكون لي رأيٌ إذا قال رسول الله ﷺ ، ولا نتكلم عنه إلا بتعظيم رسول الله بما يلائم ، ومن أفضل الثناء عليه كثرة الصلاة عليه ، وإذا سمعنا من يحدث بأحاديثه رسول الله فلنعطها حسن الإصغاء والاستماع ، ومن علامات توقير رسول الله توقير أزواجه أمهات المؤمنين وصحابته الكرام وأهل بيته رضوان الله عليهم جميعا وكذا حسن الأدب مع العلماء فالعلماء هم ورثة الأنبياء ، فعن أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ عَنِ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[1] .

أخي الحبيب ، من الأدب مع النبي ﷺ التسليم له والانقياد لأمره ، وتصديق خبره ، وتلقّيه بالقبول ، وعدم معارضته ، ولا يُقدم بين يدي رسول الله ﷺ شيئاً ، ولا يُدَّعي نسخ سُنته ، وكذلك لا تُرفع الأصوات فوق صوته ﷺ لأن ذلك سبب لحبوط العمل ، وبعد وفاته ﷺ لا ترفع الأصوات فوق حديثه إذا قُرئ ولا عند قبره .

---

(١) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٦٨٢ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٢٩٧ .

أخي الكريم ، يجب الحذر من الاستهزاء بسنة رسول الله ﷺ وذلك بالاستهزاء بمن عمل بالسنة كمن أرخى لحيته وقص شاربه ومن قصر ثوبه إلى أعلى الكعبين ومن لازم العلماء العاملين لأن ذلك يفضي للكفر ، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِالله وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ(٦٥) لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦] .

أو من الاستهزاء بالأخوات اللاتي يرتدين الحجاب الشرعي واللاتي يحافظن على حِلَق الذكر والعلم في المساجد ، فإن هذا من الجهل بالدين فاحتجاب المرأة المسلمة عن الرجال الأجانب أمر واجب ، دل على وجوبه كتاب الله ﷻ وسنة نبينا محمد ﷺ ، أخرج البخاري في المعلقات عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: يَرْحَمُ الله نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الأُولَ لَمَّا أَنْزَلَ الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] ، شَقَّقْنَ مُرُوطَهُنَّ - أي جمع مرط أي الملاءة - فَاخْتَمَرْنَ بِهَا ، والخُمُر جمع خمار وهو غطاء الرأس . والجيوب جمع جيب وهو شق الثوب من ناحية الرأس والمراد ما يظهر منه الصدر ، والمقصود يسترن الرؤوس والأعناق والصدور عن الرجال .

وكذلك لا تهزأ باللحية ، فأنت لا تهزأ بالشخص الذي أطلقها ، بل تستهزئ بالنبي ﷺ الذي أمر بها ؛ لأن هذه سنة النبي ﷺ ، وعندما تهزأ من رجل قصر ثوبه واتبع السنة ، فأنت لا تستهزئ بالرجل ، ولكن تستهزئ بالذي أمره بهذه السنة ، ولا تستهزئ بالأئمة ، ولا بالمؤذنين ، ولا بالدعاة ، ولا بالعلماء ، ولا بأي شيء فيه دين الله ، حتى إن بعض الناس عندهم نكت ، يأتون بها على بعض الآيات ، أو الأحاديث ، أو الأئمة ، لا للنكت الجث لها عن مكان آخر ؛ لأن دين الله حق ، ولا يقبل الاستهزاء ولا السخرية (٦٦) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

٤٠ - التوبة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة توبة مالك بن دينار حيث قال عندما سئل عن سبب توبته: كنت شرطيا وكنت منهمكا على شرب الخمر ، ثم إنني اشتريت جارية نفيسة ووقعت مني أحسن موقع فولدت لي بنتا فشغفت بها فلما دبت على الأرض ازدادت في قلبي حبا وألفتني وألفتها قال: فكنت إذا وضعت المسكر بين يدي جاءت إلي وجاذبتني عليه وهرقته من ثوبي ، فلما تم لها سنتان ماتت فأكمدني حزنها ، فلما كانت ليلة النصف من شعبان وكانت ليلة الجمعة بت ثملا من الخمر ، ولم أصل فيها عشاء الآخرة ، فرأيت فيما يرى النائم كأن القيامة قد قامت ونفخ في الصور ، وبعثرت القبور وحشر الخلائق وأنا معهم ، فسمعت حسا من ورائي فالتفت فإذا أنا بتنين أعظم ما يكون أسود أزرق قد فتح فاه مسرعا نحوي ، فمررت بين يديه هاربا فزعا مرعوبا فمررت في طريقي بشيخ نقي الثوب طيب الرائحة ، فسلمت عليه فرد السلام فقلت: أيها الشيخ أجرني من هذا التنين أجارك الله ، فبكى الشيخ وقال لي: أنا ضعيف وهذا أقوى مني وما أقدر عليه ولكن مر وأسرع ، فلعل الله أن يتيح لك ما ينجيك منه ، فوليت هاربا على وجهي فصعدت على شرف من شرف القيامة ، فأشرفت على طبقات النيران فنظرت إلى هولها وكدت أهوي فيها من فزع التنين ، فصاح بي صائح ارجع فلست من أهلها فاطمأننت إلى قوله: ورجعت ورجع التنين في طلبي ، فأتيت الشيخ فقلت: يا شيخ سألتك أن تجيرني من هذا التنين فلم تفعل ، فبكى الشيخ وقال: أنا ضعيف ، ولكن سر إلى هذا الجبل ، فإن فيه ودائع المسلمين فإن كان لك فيه وديعة فستنصرك قال: فنظرت إلى جبل مستدير من فضة وفيه كوى مخرمة وستور معلقة على كل خوخة وكوة

مصراعان من الذهب الأحمر مفصلة باليواقيت مكوكبة بالدر على كل مصراع ستر من الحرير ، فلما نظرت إلى الجبل وليت إليه هاربا والتنين من ورائي حتى إذا قربت منه صاح بعض الملائكة ارفعوا الستور وافتحوا المصاريع – أي الأبواب – وأشرفوا فلعل لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه فإذا الستور قد رفعت والمصاريع قد فتحت فأشرف عليَّ من تلك المخرمات أطفال بوجوه كالأقمار ، وقرب التنين مني فتحيرت في أمري ، فصاح بعض الأطفال ويحكم أشرفوا كلكم فقد قرب منه عدوه ، فأشرفوا فوجا بعد فوج وإذا أنا بابنتي التي ماتت قد أشرفت علي معهم ، فلما رأتني بكت وقالت: أبي والله ، ثم وثبت في كفة من نور كَرمية السهم ، حتى مثلت بين يدي فمدت يدها الشمال إلى يدي اليمنى ، فتعلقت بها ومدت يدها اليمنى إلى التنين فولى هاربا ثم أجلستني وقعدت في حجري وضربت بيدها اليمنى إلى لحيتي ، وقالت يا أبت: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ الله﴾ [الحديد:١٦] ، فبكيت ، وقلت: يا بنية وأنتم تعرفون القرآن فقالت: يا أبت نحن أعرف به منكم قلت: فأخبريني عن التنين الذي أراد أن يهلكني قالت: ذلك عملك السوء قويته فأراد أن يغرقك في نار جهنم ، قلت: فأخبريني عن الشيخ الذي مررت به في طريقي قالت: يا أبت ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء ، قلت: يا بنية ، وما تصنعون في هذا الجبل قالت: نحن أطفال المسلمين قد أسكنا فيه إلى أن تقوم الساعة ننتظركم تقدمون علينا فنشفع لكم ، قال مالك: فانتبهت فزعا وأصبحت فأرقت المسكر وكسرت الآنية ، وتبت إلى الله ﷻ وهذا كان سبب توبتي (٤٩) .

و لقد أنزل الله تعالى قرآناً يتلى إلى يوم القيامة للحث على التوبة منها قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى الله تَوْبَةً نَّصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحريم:٨] .

وقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن

رَّحْمَةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣] .

إخوتي في الله ، قد يعرف البعض حرمة ما يقع فيه ، ولكنه يؤجل التوبة أو يسوف فيها ، فمنهم من يؤخرها إلى ما بعد الزواج ، أو التخرج ، ومنهم من يؤجلها ريثما تتقدم به السن ، إلى غير ذلك من دواعي التأجيل ، وهذا خطأ عظيم ، فالتوبة واجبة على الفور ، فأوامر الله ورسوله ﷺ على الفور ما لم يقم دليل على جواز تأخيرها بل تأخيرها ذنب يجب أن يستغفر منه .

وبعض الشباب يرغب في التوبة ، ولكنه لا يبادر إليها ، مخافة أن يعاود الذنب مرة أخرى ، وبعض الناس يغفل عن التوبة مما لا يعلمه من ذنوبه ، ولا ينجي من هذا إلا توبة عامة مما يعلم من ذنوبه ومما لا يعلم من ذنوبه ، فإن ما لا يعلمه العبد من ذنوبه أكثر مما يعلمه .

وبعض الناس تحدثه نفسه بالتوبة ، ولكنه يخشى لمز وعيب بعض الناس له ، وهذا خطأ فادح ، إذ كيف يُقَدم خوف الناس على خوف رب الناس؟ ، أضف إلى ذلك أن الإنسان سيذهب إلى قبره وحيداً ، وسيحشر إلى ربه فرداً ، فماذا سينفعه فلان أو فلان ممن يثبطونه؟ .

وبعض الناس يترك التوبة ؛ مخافة سقوط المنزلة وذهاب الجاه والشهرة ، ولا ريب أن ذلك نقص في ديانة الإنسان ، وشجاعته ، ومروءته ، وعقله ، ثم إن الشهرة والجاه عرض زائل ، وينتهي بنهاية الإنسان ؛ ولن ينفعه إذا هو قدم على ربه إلا ما قدم من صالح عمله ، ثم إنه إذا ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ، والعوض من الله أنواع مختلفة ، وأجل ما يُعَوَّض به أن يأنس بالله ، وأن يرزق محبته ﷻ وطمأنينة القلب بذكره ، ومما يعوضه الله أن يرزقه أصحاباً أبراراً يجد عندهم من المتعة والفائدة ما لا يجده عند أصحابه السابقين ، وبعض الناس من يتمادى في الذنوب ويسرف في المعاصي ، فإذا زُجِرَ وَلِيمَ على ذلك قال: إن الله غفور رحيم ، كما قال أحدهم ، ولا ريب أن هذَا الصنيع سفه ، وجهل ، وغرور ، فرحمة الله قريب من المحسنين لا من المسيئين ، ثم إن الله ﷻ مع عفوه

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

شديد العقاب ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين .

قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ (٥٠)﴾ [الحجر٤٩ – ٥٠] ، وحسن الظن ينفع من تاب ، وندم وأقلع ، وبدل السيئة بالحسنة ، واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة ، ثم حَسَّن الظن بعدها ؛ فهذا هو حسن الظن ، والأول غرور ، والله المستعان .

فما هذا الذي هم فيه من النعيم إلا استدراج ، وإهمال ، وإملاء من الله ﷻ حتى إذا أخذهم أخذهم أخذ عزيز مقتدر ، قال رسول الله ﷺ : «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: « ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود:١٠٢] »[١] ، إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنْ الدُّنْيَا عَلَى مَعَاصِيهِ مَا يُحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ ثُمَّ تَلاَ: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤] »[٢] .

فعلى العبد أن يتوب إلى الله تعالى ، فلربما أدركه الأجل وهو لم ينقض توبته ، كما عليه أن يحسن ظنه بربه جل وعلا وأن يستحضر أنه إذا أقبل على الله أقبل الله عليه ، وأنه تعالى عند ظن عبده به ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ : «قال الله ﷻ : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي»[٣] ، ثم إنَّ على التائب إذا عاد إلى الذنب أن يجدد التوبة مرة أخرى وهكذا ، والذي يعين على عدم العودة للذنب تغير الصحبة والبيئة(٦٠) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٦٨٦ ، ومسلم ٢٥٨٣ .
(٢) (صحيح) أحمد ١٧٣١١ وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٤١٣ .
(٣) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٦٧٥ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٤١ - خُلُقْ شكر نعم اللّه تعالى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ ، فَعَنْ عَبْدِ الله ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَقِيَ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ بِأَسْفَلِ بَلْدَحٍ - أي واد في طريق التنعيم إلى مكة - قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْوَحْيُ فَقُدِّمَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سُفْرَةٌ – أي: طعام يتخذه المسافر وأكثر ما يحمل في جلد مستدير ولذلك أصبح يطلق لفظ سفرة على ما يوضع فيه الطعام أو عليه - فَأَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا ثُمَّ قَالَ زَيْدٌ: إِنِّي لَسْتُ آكُلُ مِمَّا تَذْبَحُونَ عَلَى أَنْصَابِكُمْ – أي: جمع نصب وهو كل ما نصب وعظم من دون الله عز وجل وقيل هي حجارة كانت حول الكعبة يذبحون عليها للأصنام - وَلاَ آكُلُ إِلاَّ مَا ذُكِرَ اسْمُ الله عَلَيْهِ ، وَأَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يَعِيبُ عَلَى قُرَيْشٍ ذَبَائِحَهُمْ وَيَقُولُ: الشَّاةُ خَلَقَهَا الله ، وَأَنْزَلَ لَهَا مِنْ السَّمَاءِ الْمَاءَ وَأَنْبَتَ لَهَا مِنْ الأَرْضِ ثُمَّ تَذْبَحُونَهَا عَلَى غَيْرِ اسْمِ الله إِنْكَارًا لِذَلِكَ - أي منكرا عليهم فعل ذلك - وَإِعْظَامًا لَهُ - أي لله تعالى خالقها - [(١)] ، وهذا مصداقا لقول الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لله إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ(١٧٢)﴾ [البقرة:١٧٢] .

ونذكر هنا نموذجا براقاً عن الشكر ، فعن هشام بن عروة قال: خرج أبي إلى الوليد بن عبد الملك فوقعت في رجله الأكلة فقال له الوليد: يا أبا عبد الله أرى لك قطعها . قال: فقطعت وإنه لصائم فما تضور وجهه .

قال: ودخل أكبر ولده اصطبله فرفسته دابة فقتلته فما سُمع من أبي في ذلك شيء ، حتى قدم المدينة فقال: اللهم إنه كان لي بنون أربعة فأخذت

(١) (صحيح) أخرجه (خ) ٣٦١٤ .

واحداً وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد ، وكان لي أطراف أربعة فأخذت واحداً وأبقيت لي ثلاثة فلك الحمد ، وايم الله لئن أخذت فلقد أبقيت ولئن ابتليت طالما عافيت (٣٧) .

ويجب أن نتعرف على نعم الله علينا ، وألا ننكر هذه النعم ، ولنتذكر حال المشركين الذين قال الله فيهم: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ الله ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل:٨٣] .

ويحكى أن أعرابيا دخل على الرشيد فقال ، يا أمير المؤمنين ثبت الله عليك النعم التى أنت فيها بإدامة شكرها ، وحقق لك النعم التى ترجوها بحسن الظن به ودوام طاعته ، وعرفك النعم التى أنت فيها ولا تعرفها إلا لتشكرها .

وعن مالك بن أنس – إمام دار الهجرة – قال: قال جعفر بن محمد لسفيان الثوري: يا سفيان إذا أنعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر عليها فإن الله ﷻ قال في كتابه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ (٧)﴾ [إبراهيم:٧] ، وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فإن الله تعالى قال في كتابه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ (١٢)﴾ [نوح:١٢] ، يا سفيان إذا حزبك أمر من سلطان أو غيره فأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة .

وشُكْر النِّعَم يكون بتسخيرَها في طاعة الله ؛ حتى ينال المسلم والمسلمة رضا الله ، والشكر هو الثناء على المنعم بما أولاك من معروف وذلك بالقلب واللسان والجوارح ، فشكر القلب باستشعار النعمة وأنها من عند الله قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ الله ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (٥٣)﴾ [النحل:٥٣] ، وشكر اللسان بحمد الله ﷻ والتحدث بنعمه كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾ [الضحى:١١] ، وشكرالجوارح باستعمال النعمة في طاعة الله ﷻ كما قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

آلَ دَاوُودَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ(١٣)﴾ [سبأ:١٣] .

وهذا سليمان عليه الصلاة والسلام لما رأى نعم الله عليه من الملك ، وفهم لغة الطير ، وحوار النملة مع أمة النمل سأل ربه سبحانه أن يلهمه شكر نعمته عليه ؛ قال الله ﷻ : ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ [النمل:١٩] .

وقال الله عز وجل عن دعاء الولد المؤمن البار بوالديه: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٥] .

وأرشد رسول الله ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه أن يدعو في دبر كل صلاة بهذا الدعاء: «**اللهمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**»(١) .

معاشر الإخوة ، النعم التى وهبها الله لعباده لا تقدر بمال ، والله سبحانه وتعالى سوف يسألنا جميعا عن هذه النعم يوم القيامة ، ولكن من كرم الله تعالى أن التحدث بالنعمة شكر وشكر النعمة من جنس النعمة كأن يحفظ الرجل بصره عن الحرام ويستعمله في التفكر في خلق السماوات والأرض ، وكذا شكر من أسدل إليك معروفا ، فَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ: «**مَنْ لَمْ يَشْكُرْ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرْ الْكَثِيرَ وَمَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ الله التَّحَدُّثُ بِنِعْمَةِ الله شُكْرٌ وَتَرْكُهَا كُفْرٌ وَالْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ**»(٢) .

وشكر النعم بمقابلة الإحسان بالإحسان ، والمعروف بالمعروف ، فمن لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق، وشكر النعمة يكون بالثناء على المنعم ويكون

---

(١) (صحيح) أخرجه أبو داود ١٥٢٢ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٩٦٩ .
(٢) (حسن صحيح) أخرجه أحمد ١٨٤٤٩ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٩٧٦ .

بالقلب بالامتنان لصاحب النعمة والتحدث باللسان عن النعمة واستعمال الجوارح في طاعة الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)﴾ [الضحى:١١] .

وَعَنْ أَنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَى عَبْدٍ، فَحَمِدَ اللهَ عَلَيْهَا إِلَّا كَانَ ذَلِكَ الحَمْدُ أَفْضَلُ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ، وَإِنْ عَظُمَتْ» (١) ، وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ» (٢) ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ : «إِذَا رَأَى أَحَدكُمْ مُبْتَلِي فَقَالَ: الحَمْدُ لله الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَيْكَ وَعَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ تَفْضِيلا، كَانَ شَكَرَ تِلْكَ النِّعْمَة» (٣) .

الاخوة الفضلاء ، للشكر ثلاث فوائد وهي:

١ – رضا الواحد الأحد ، فإذا رضي الله عنك أسعدك في الدارين .

٢ – كفاية السؤال في الآخرة (سؤال التوبيخ)، أما سؤال التقرير فلا بد منه .

قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر:٨] قال بعض العلماء: والله لتسألن عن الماء البارد ، فكيف بمن أخذ الدور والأموال ، وكفر بنعم الله؟ .

٣ – يُدْعَى لك بخير ، فإن الشاكرين يُدْعَى لهم ممن يحسنون إليهم في ظهر الغيب ، ومما يكتسب العبد دعاء الإخوة والخلان (٥٧) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) (صحيح) أخرجه الطبراني في الكبير ٧٧٩٤ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٥٦٢ .
(٢) (حسن) أخرجه الترمذي ٢٨١٩ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ١٨٨٧ .
(٣) (حسن) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٤١٢٩ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٥٥٥ .

٤٢- بر الوالدين وصلة الأرحام

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع أويس بن عامر ، وهو من المخضرمين ، آمن برسول الله في عصره ولم يلقَ رسول الله ﷺ .

أخرج مسلم في صحيحه عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ ﷺ قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ إِذَا أَتَى عَلَيْهِ أَمْدَادُ أَهْلِ الْيَمَنِ – أي : جنود المسلمين من اليمن – سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ ، فَقَالَ: أَنْتَ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ ؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَ: مِنْ مُرَادٍ؟ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ، مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ، مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ، إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ**» ، فَاسْتَغْفِرْ لِي ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الْكُوفَةَ ، قَالَ: أَلاَ أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ [1] .

فلقد أمرنا الله تعالى ببر الوالدين في قوله: ﴿ وَاعْبُدُواْ الله وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى (٣٦) ﴾ [النساء:٣٦] ، لأن أولى الناس ببرِّك وعطفك هم أقاربك ، وأقرب الناس للإنسان والداه ، فهما السبب في وجوده ؛ ولذلك أمر الله بالإحسان إليهما في مواضع متعددة ، وقرن حقهما بحقه سبحانه في مواطن من القرآن ، ثم بعد ذلك الأقارب علي حسب قربهم ، فكل من قرب عظم حقه ، فعَنْ طَارِقٍ الْمُحَارِبِيِّ قَالَ: قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَإِذَا رَسُولُ

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٥٤٢ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

اللهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ وَهُوَ يَقُولُ: «**يَدُ الْمُعْطِي الْعُلْيَا، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، أُمَّكَ وَأَبَاكَ وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ**»(١) .

أخي الحبيب ، كان رسول الله ﷺ أرق الناس ، وأعفهم ، وأوصلهم ، وأحلمهم ؛ ولذلك ذكر الله خُلُقَه ، وذكر مناقبه في القرآن ، فقال: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم:٤] وقال له: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ** الله **لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عمران:١٥٩] .

فلقد بلغ في صلة الرحم مبلغاً عظيماً ، ضرب به المثل على مرِّ التاريخ ، فما سمعت الدنيا بأوصل منه ﷺ لقرابته - أبناء عمه وأقاربه - ، فأخرجوه من مكة ، وطاردوه وشتموه وسبوه وآذوه ، حاربوه في المعارك ، ونازلوه في الميدان ، وقاموا بحرب عسكرية وإعلامية واقتصادية ضده ، فلما انتصر ماذا فعل؟ فلما انتصر عفا عنهم وسامحهم .

فَعَن ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ ، أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا، وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(٢) .

وقال تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾ [محمد:٢٢] ، وقال تعالى: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ** الله **فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ**﴾ [محمد:٢٣] (٦٣) .

إن العقوقَ مأساة وجدت في المجتمعات ، وانتشرت في البيوت ، وأصبحت أكبر المشكلات على الآباء ، رأينا ورأى غيرنا الآباء الذين طعنوا في السن وأصابتهم الشيخوخة ، وهم يتباكون ويتضرعون ويتوجعون لهذه الذرية الظالمة العاتية ، ويكفي أن نعلم أن عقوق الوالدين وقطع الرحم من الذنوب التى يعجل الله لصاحبها العقوبة في الدنيا قبل الآخرة .

---

(١) (صحيح) أخرجه النسائي ٢٥٣٢ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٨٠٦٧ .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٧٥٣٤ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

أخرج أحمد في مسنده وأبو داود في سننه وغيرهما عَنْ أَبِي بَكْـرَةَ رضي الله عنه قَـالَ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ الله تَعَالَى لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِثْلُ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**»[١] .

فهل من عودة يا شباب الإسلام إلى الله؟ وهل من عطف وحنان؟ وهل من خفض جناح؟ وهل من بر ومودة مع الآباء والأمهات؟

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أُمُّكَ**» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أُمُّكَ**» قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَبُوكَ**»[٢] ، فالأم لها ثلاثة أرباع الحق ، فهي التي تعبت وحملت ، وأرضعت وغسلت ، وألحفت وأدفأت ، فجزى الله آباءنا وأمهاتنا خير الجزاء ، وسقاهم الله من الحوض المورود شربة لا يظمؤن بعدها أبداً (٦٣) .

وَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ:قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**لَيْسَ الْوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ** - أي إن الذي يصل غيره مكافأة له على ما قدم من صلة مقابلة له بمثل - **وَلَكِنِ الْوَاصِلُ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا** - أي إذا قاطعه غيره قابله بالصلة -»[٣] .

معاشر الإخوة، لبر الوالدين فوائد عديدة نذكر منها (١٩):

أولاً: هو من أسباب إجابة الدعاء ، وأنتم تذكرون قصة أصحاب الغار ، وكيف أن أحدهم كان له أبوان شيخان كبيران يسعى عليهما ، وقدمهما على أولاده ، وهم يتضاغون عند قدميه طيلة الليل ، حتى استيقظ والداه فشربا قبل أولاده ، ففرج الله شيئاً من الصخرة بسبب هذا .

ثانياً: بر الوالدين يكفر الكبائر ، والدليل على ذلك الحديث الذي أخرجه الترمذي بسند صحيح عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما ، أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا

---

(١) (صحيح) أخرجه أبو داود ٤٩٠٢ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٧٠٤ .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٥٩٧١ ، ومسلم ٢٥٤٨ .
(٣) (صحيح)أخرجه البخاري ٥٩٩١ .

رَسُولَ الله إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَهَلْ لِي تَوْبَةٌ؟ قَالَ: «**هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟**» قَالَ: لاَ قَالَ: «**هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ؟**» قَالَ: نَعَمْ قَالَ: «**فَبِرَّهَا**» (١) .

ثالثاً: بر الوالدين سبب البركة وزيادة الرزق ، أوليس هو من صلة الرحم؟! فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ** - أي يوسع - **لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ** - أي يؤخر - **فِي أَثَرِهِ** - أي في بقية عمره - ، **فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ** - أي فليبر بأقاربه - » (٢) .

فالحديث يدل على أن صلة الرحم سبب في توسيع الرزق وزيادته وكثرة طرق الخير وأبوابه ، وزيادة في العمر وطول الأجل ، ومن أوكد وألزم صلة الرحم بر الوالدين ، فبرهما سبب لبسط الرزق وزيادته ، وطول العمر وامتداده ، وعقوقهما سبب لقلة الرزق وضيق المعيشة ، وقصر الأجل .

رابعاً: من بر أباه وأمه ؛ بره أبناؤه ، ومن عقهما ؛ عقه أولاده ، وهكذا .

خامساً: رضا الله في رضا الوالدين ، وسخط الله في سخط الوالدين ، فلقد أمر الله عز وجل بالإحسان للوالدين حال كبرهما فقال سبحانه: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً**﴾ [الإسراء:٢٣] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

---

(١) **(صحيح)** أخرجه الترمذي ١٩٠٤ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٢٥٠٤ .
(٢) **(صحيح)**أخرجه (البخاري ٥٩٨٦ ، ومسلم ٢٥٥٧ .

٤٣- حق الأخوة في الله

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع أروع ما ذكر في الإيثار ، وهي قصة إيثار سعد بن الربيع الأنصاري لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما ، فلقد أخرج البخاري عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ - من المهاجرين- ، وَآخَى رَسُولُ الله ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ - من الأنصار - ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ ، فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ عَلِمَتْ الْأَنْصَارُ أَنِّي مِنْ أَكْثَرِهَا مَالاً سَأَقْسِمُ مَالِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَطْرَيْنِ ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَأُطَلِّقُهَا ، حَتَّى إِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ الله لَكَ فِي أَهْلِكَ ، فَلَمْ يَرْجِعْ يَوْمَئِذٍ حَتَّى أَفْضَلَ شَيْئًا مِنْ سَمْنٍ وَأَقِطٍ فَلَمْ يَلْبَثْ إِلاَّ يَسِيرًا ، حَتَّى جَاءَ رَسُولَ الله ﷺ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ : «**مَهْيَمْ**؟- أي :ما هذا وما أمرك- » قَالَ: تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: «**مَا سُقْتَ إِلَيْهَا**» قَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ: أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ[1] ، ويصدق هذه الأخوة قول الله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ والإيمان مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الحشر:٩] .

والأخوة نوعان: أخوة النسب والدم ، وأخوة العقيدة ، قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ (١٠)** ﴾ [الحجرات:١٠] .

وهناك عدة وسائل لتعميق الأخوة في الله نذكر منها:

١ - أن يخبر أخاه أنه يحبه في الله .

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٠٤٩ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٢ – طلاقة الوجه عند لقاء أخيه المسلم ، ومسارعة الأخ بمصافحة أخيه .

٤ – أن يدعو الله لأخيه بظهر الغيب .

٥ – مشاركة الأخ إخوانه في الأحزان والأفراح فيقف بجوار أخاه ليواسيه في الأحزان وليهنئه في الأفراح .

٦ – الهدية سبيل للمحبة لقول رسول الله ﷺ : «**تَهَادُوا تَحَابُوا**»[(١)] .

٧ – إفشاء السلام سبيل للمحبة ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»[(٢)] .

٨ – الزهد فيما عند أخيه المسلم ، فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي الله وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ الله وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ**»[(٣)] .

٩ – أن يبر قسم أخيه إذا أقسم طالما أمكن ذلك إن كان ما يريده ليس فيه حرمة شرعية وليس فيه تَعَدٍّ يبر قسمه ويفعل ما أقسم عليه .

١٠ – يشفع ويتوسط لأخيه طالما أن هذه الشفاعة لا تضر بآخر ، فَعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: «**اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا وَيَقْضِي الله عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ**»[(٤)] .

١١ – الإصلاح بين إخوانه المتخاصمين وحتى لو استلزم الأمر إلى الكذب ، فليس الكذاب الذي يصلح ذات البين بين المتخاصمين فالمؤمنون اخوة قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ**

---

(١) (حسن) أخرجه أبو يعلى ٦١٤٨ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٣٠٠٤ .
(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ٥٤ .
(٣) (صحيح) أخرجه ابن ماجه ٤١٠٢ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٩٢٢ .
(٤) (صحيح) أخرجه البخاري ١٤٣٢ .

تُرْحَمُونَ (١٠)﴾ [الحجرات:١٠] (٢٢) .

معاشر الإخوة ، هناك حقوق متعددة للأخوة في الله منها:

الحق الأول: الحب في الله والبغض في الله، فَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﵁ : عَنْ رَسُول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ أَحَـبَّ لله وَأَبْغَـضَ لله وَأَعْطَـى لله وَمَنَـعَ لله فَقَـدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ**»[١].

الحق الثاني: لا يحمل الأخ لأخيه غلاً ولا حسداً فَعَنْ أَنَسِ بْـنِ مَالِـكٍ ﵁ : أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَـادَ الله إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثَةِ أَيَّام**»[٢] .

الحق الثالث: طهارة القلب والنفس، فَعَنْ أَبِـي مُوسَـى ﵁ قَـالَ: قَـالُوا يَـا رَسُولَ الله أَيُّ الإسلام أَفْضَلُ؟ قَالَ: **مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»[٣]

الحق الرابع: **الإعانة على قضاء حوائج الدنيا على قدر استطاعتك**، واسمـع إلى هذا الحديث الذى تتلألأ منه أنوار النبوة: من حديث ابْـنِ عُمَـرَ ﵄ أَنَّ رَجُـلا جَاءَ إِلَى النَّبِـيِّ ﷺ ، فَقَـالَ: يَـا رَسُـولَ الله ، أَيُّ النَّـاسِ أَحَـبُّ إِلَـى الله؟ وَأَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى الله؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى الله تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى الله تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكَشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ الله عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلأَ الله قَلْبَـهُ رَجَـاءً يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ، وَمَـنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَهَيَّأَ لَهُ أَثْبَتَ الله قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامِ**»[٤] .

الحق الخامس: **بذل النصيحة بصدق وأمانة**، فَعَنْ تميم الدارى ﵁ ، أَنَّ النَّبِيَّ

---

(١) (حسن صحيح) أخرجه أبو داود ٤٦٨١ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٩٦٥ .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٠٦٥ ، ومسلم ٢٥٥٩ .
(٣) (صحيح) أخرجه البخاري ١٠ ، ومسلم ٤٢ .
(٤) (حسن) أخرجه الطبراني في الكبير ١٣٦٤٦ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ١٧٦ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

قَالَ: **الدِّينُ النَّصِيحَةُ»** . قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»** [١] .

قال الشافعى رحمه الله : من نصح أخاه بين الناس فقد شانه ، ومن نصح أخاه فيما بينه وبينه فقد ستره وزانه ، والذى بُذِلَ له النصيحة عليه أن يحسن الظن بأخيه الناصح ، ورحم الله من قال: رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي .

الحق السادس: التناصر، فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»** قَالُوا: يَا رَسُولَ الله هَذَا نَنْصُرُهُ مَظْلُومًا فَكَيْفَ نَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «**تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ** - أي : تمنعه عن الظلم - » [٢] .

فيوصيك رسول الله أن تنصر أخاك في كل الأحوال ، إن كان ظالماً خذ بيده عن الظلم ، وإن كان مظلوماً فانصره ، ولو بكلمة ، وإن عجزت فبقلبك ، وهذا أضعف الإيمان .

الحق السابع: أن تستر عيب أخيك وتغفر له زلاته، وهذا من أعظم الحقوق: فالأخ ليس مَلَكاً مقرباً ، ولا نبياً مرسلاً ، فإن زل الأخ فاستر عليه ، فَعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ الله عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ الله عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»** [٣] (٢٢) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٥٥ .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٤٤٤ .
(٣) (صحيح) أخرجه أبو داود ٤٨٨٠ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٩٨٤ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٤٤ - خلق الصدق

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة تخلف كعب بن مالك ﵁ عن غزوة تبوك أخرجها البخاري ومسلم في صحيحيهما وهذا ملخصها: قال كعب بن مالك ﵁ : وَغَزَا رَسُولُ الله ﷺ تِلْكَ الْغَزْوَةَ حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ وَالظِّلاَلُ – أي نضجت الثمار – وَتَجَهَّزَ رَسُولُ الله ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ فَطَفِقْتُ – أي أخذت وشرعت – أَغْدُو لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئًا . . فَلَمْ يَزَلْ بِي حَتَّى أَسْرَعُوا وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ وَهَمَمْتُ أَنْ أَرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ ، وَلَيْتَنِي فَعَلْتُ ، فَلَمْ يُقَدَّرْ لِي ذَلِكَ ، . . . . فَلَمَّا بَلَغَنِي أَنَّهُ – أي : رسول الله ﷺ – تَوَجَّهَ قَافِلاً – أي راجعا إلى المدينة – حَضَرَنِي هَمِّي وَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ وَأَقُولُ بِمَاذَا أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا؟ . وَأَصْبَحَ رَسُولُ الله ﷺ قَادِمًا . . فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ – أي الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك – فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ وَيَحْلِفُونَ لَهُ وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلاً ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ الله ﷺ عَلاَنِيَتَهُمْ ، وَبَايَعَهُمْ ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ ، وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى الله ، فَجِئْتُهُ ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ: «**تَعَالَ**»، فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّى جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لِي: «**مَا خَلَّفَكَ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ؟**» فَقُلْتُ: بَلَى ، إِنِّي وَاللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيْتُ أَنْ سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ ، وَلَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلاً وَلَكِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ الْيَوْمَ حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَى بِهِ عَنِّي لَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ ، وَلَئِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدْقٍ تَجِدُ عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لأَرْجُو فِيهِ عَفْوَ الله ، لاَ وَاللهِ مَا كَانَ لِي مِنْ عُذْرٍ ، وَاللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى وَلاَ أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ فَقُمْ حَتَّى يَقْضِيَ الله فِيكَ**» . . فَوَاللهِ مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونِي – أي: قبيلته

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

- حَتَّى أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي ، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ هَلْ لَقِيَ هَذَا مَعِي أَحَدٌ؟ قَالُوا: نَعَمْ . .مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ ، وَهِلاَلُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا فِيهِمَا أُسْوَةٌ ، فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي وَنَهَى رَسُولُ الله ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنْ كَلاَمِنَا أَيُّهَا الثَّلاَثَةُ مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ ، فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ وَتَغَيَّرُوا لَنَا ، حَتَّى تَنَكَّرَتْ فِي نَفْسِي الأَرْضُ فَمَا هِيَ الَّتِي أَعْرِفُ . .قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِسُوقِ الْمَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ – أي: فلاح – مِنْ أَنْبَاطِ أَهْلِ الشَّأْمِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ حَتَّى إِذَا جَاءَنِي دَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا – أي: خطابا – مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ ، فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ الله بِدَارِ هَوَانٍ وَلاَ مَضْيَعَةٍ فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ فَقُلْتُ لَمَّا قَرَأْتُهَا: وَهَذَا أَيْضًا مِنْ الْبَلاَءِ ، فَتَيَمَّمْتُ بِهَا التَّنُّورَ فَسَجَرْتُهُ بِهَا – أي: قصدت بها الفرن فأشعلته به – حَتَّى إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ لَيْلَةً مِنْ الْخَمْسِينَ إِذَا رَسُولُ رَسُولِ الله ﷺ يَأْتِينِي فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ . . فَلَبِثْتُ بَعْدَ ذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ حَتَّى كَمَلَتْ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنْ كَلاَمِنَا ، فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلاَةَ الْفَجْرِ صُبْحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً وَأَنَا عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ الله قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ . . يَا كَعْبُ بْنَ مَالِكٍ ، أَبْشِرْ . . وَأَنْزَلَ الله عَلَى رَسُولِهِ ﷺ : ﴿لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ الله إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُواْ إِنَّ الله هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ(١١٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ (١١٩)﴾ [التوبة:١١٧ – ١١٩] .

أخي الحبيب ، الصدق يشمل: الصدق في النية بأن تكون خالصة لله ،

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

والصدق في الأقوال والصدق في الأعمال ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والصدق أساس الحسنات وجماعها ، والكذب أساس السيئات ونظامها .

والصدق في الأعمال وهو أن يصدق العبد أقواله بأعماله وأفعاله قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ(٢) كَبُرَ مَقْتاً عِندَ الله أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ(٣)﴾ [الصف:٣] .

فقد تجد الرجل يحدث الحديث الكذب ليضحك الآخرين فتغدو في الآفاق وتنتشر ، ولقد حذر رسول الله من ذلك ، فَعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ**»[١] .

وللصدق فضائل كثيرة، منها:

أولاً: أنه سبب للطمأنينة ، فَعَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رضي الله عنهما قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ : «**دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ**»[٢] .

ثانياً: هو الفارق بين المؤمن والمنافق ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ:إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»[٣] .

ثالثاً: لا ينفع يوم القيامة إلا الصدق ، قال تعالى: ﴿قَالَ الله هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَّضِيَ الله عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [المائدة:١١٩] .

رابعاً: الصدق أصل كل بر ، ومجاهدة النفس على تحري الصدق توصلها إلى مرتبة الصديقية ، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ

---

(١) (حسن) أخرجه أبو داود ٤٩٩٠ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٧١٣٦ .
(٢) (صحيح) أخرجه أبو داود ٢٥١٨وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٣٧٨ .
(٣) (صحيح) أخرجه البخاري٣٣ ، ومسلم ٥٩ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا، وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا» [(١)] .

معاشر الإخوة ، هناك بعض الأمور التى يجب الاشارة إليها: فمن سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه ، والصدق في البيع والشراء سبب للبركة ، فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ: «**التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء**» [(٢)] .

والكذب له أضراره وعواقبه ، ولقد حارب النبي ﷺ الكذب محاربة شديدة ، فعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ:مَا كَانَ خُلُقٌ أَبْغَضَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْكَذِبِ ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يَكْذِبُ عِنْدَهُ الْكَذْبَةَ فَمَا تَزَالُ فِي نَفْسِهِ ، حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ أَحْدَثَ مِنْهَا تَوْبَةً [(٣)] .

فهؤلاء الذين يروجون الإشاعات ، ويختلقون الأخبار ، لا شك أن عذابهم في البرزخ أليم ، وعذابهم يوم القيامة أشد ألماً وأنكى وأخزى (٦٤) .

والكذب جائز في ثلاثة أمور ، فَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**لَا يَحِلُّ الْكَذِبُ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: يُحَدِّثُ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ لِيُرْضِيَهَا، وَالْكَذِبُ فِي الْحَرْبِ، وَالْكَذِبُ لِيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ**» [(٤)] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) **(صحيح)** أخرجه البخاري ٦٠٩٤ ، ومسلم ٢٦٠٧ .

(٢) **(حسن صحيح)** أخرجه الترمذي ١٢٠٩ وحسنه الألباني في السلسة الصحيحة ١٧٨٢ .

(٣) **(صحيح)** أخرجه ابن حبان ٥٧٣٦ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٢٩٤١ .

(٤) **(حسن)** أخرجه الترمذي ١٩٣٩ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٧٧٢٣ .

٤٥ - خلق التقوى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي لـه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع بنت بائعة اللبن مع عمر الخطاب ﵁ ، ففي جوف الليل ، وبينما عمر الخطاب ﵁ يسير في سكك المدينة يراقب أحوال الناس ، أصابه إعياء ، فاتكأ على جانب جدار ، فإذا بامرأة تقول لابنتها: يابنيتاه قومي إلى اللبن فأمزجيه بالماء قالت لها: يا أماه أما علمت أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ نهى عن ذلك؟ قالت الأم: يابنيتاه قومي إلى اللبن فامزجيه بالماء فإن عمر لا يرانا .

قالت الفتاة : ياأماه ، إن كان عمر لا يرانا ، فإن رب عمر يرانا .

أعجب عمر ﵁ بهذه الفتاة التقية ، فقال لغلامه أسلم الذي يسير معه: يا أسلم ، علم الباب واعرف الموضع ، ثم مضيا في سيرهما ، وفي الصباح قال عمر ﵁ : يا أسلم امض إلى الموضع فانظر القائلة ، ومن المقول لها ، وهل لهما رجل؟

عاد أسلم يخبر عمر ﵁ أن الفتاة بكر لم تتزوج ، وهذه أمها ، وليس لهما رجل . فدعا عمر أولاده وقص عليهم الأمر ثم قال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة فأزوجه؟ ولو كان بأبيكم قوة إلى النساء ماسبقه منكم أحد إلى هذه الفتاة . فقال عبد الله: لى زوجة . وقال عبد الرحمن: لى زوجة ، وقال عاصم: يا أبي لا زوجة لي فزوجنى . فبعث عمر ﵁ إلى الفتاة ، وزوجها من عاصم فولدت لعاصم بنتا ، فكانت أما لعمر بن عبد العزيز رحمه الله أعدل بني مروان وخامس الخلفاء الراشدين (٤٠) .

وهذا مصداقًا لقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

سَدِيداً (٧٠)﴾ [الأحزاب:٧٠] .

ويأمر الله تعالى عباده بتقواه فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ(١٠٢)﴾ [آل عمران:١٠٢] .

وأيضا فإن الله تعالى يأمر عباده المؤمنين بتقوى الله وأن يتقربوا إليه بالطاعات والأعمال الصالحة والجهاد في سبيل الله حتى يفوزوا بالجنة ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣٥)﴾ [المائدة:٣٥] .

إخوتي في الله ، وهناك أشياء تعين على تقوى الله نذكر منها :

١ - محبة الله عز وجل من أعظم أسباب التقوى .

٢ - أن يدرب العبد نفسه على المراقبة وأن يستشعر اطلاع الله عز وجل عليه فيستحى عند ذلك من المعصية ويجتهد في الطاعة . قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَالله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] .

٣ - معرفة ما في سبيل الحرام من المفاسد والآلام فليس في الدنيا والآخرة فما من شر وداء إلا وسببه الذنوب والمعاصى .

٤ - معرفة مكائد الشيطان ومصائده ، قال العلامة ابن مفلح المقدسى رحمه الله: اعلم أن الشيطان يقف للمؤمنين في سبع عقبات ، عقبة الكفر ، فإن سلم منه ففى عقبة البدعة ، ثم في عقبة فعل الكبائر ، ثم في عقبة فعل الصغائر ، فإن سلم منه ففى عقبة فعل المبيحات فيشغله بها عن الطاعات ، فإن غلبه شغله بالأعمال المفضولة عن الأعمال الفاضلة ، فإن سلم من ذلك سلط عليه الأعداء الفجرة بأنواع الأذى (١٦) .

معاشر الإخوة ، ومن صفات المتقين:

١ - **أنهم يؤمنون بالغيب**، ويقيمون الصلاة ، وينفقون مما آتاهم الله ، ويؤمنون بالكتب المنزلة ، ويؤمنون بالآخرة ، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٢ – ٤].

٢ – أنهم يعفون ويصفحون، كما قال تعالى: ﴿وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [البقرة: ٢٣٧].

٣ – أنهم يتحرون الصدق، فهم أصدق الناس إيماناً وأصدقهم أقوالاً وأعمالاً وهم الذين صدقوا المرسلين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

٤ – أنهم يعظمون شعائر الله، قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢]، قال القرطبى: الشعائر جمع شعيرة وهى كل شيء لله تعالى فيه أمر أشعر به وأعلم.

٥ – أنهم يتحرون العدل ويحكمون به ولا يحملهم بغض أحد على تركة، قال الله تعالى: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

٦ – أنهم يتبعون سبيل الصادقين من الأنبياء والمرسلين وصحابة سيد الأولين والآخرين ﷺ، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] (١٦).

إخوتي في الله، لقد ذكر الله تعالى في كتابه ثماراً مختلفة للتقوى نذكر منها:

١ – محبة الله تعالى، قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:٧٦].

٢– سبب لعون الله ونصره وتأييده، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل:١٢٨].

٣– حصن الخائف وأمانه في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [لأعراف:٣٥] .

٤- تبعث في القلب النور وتقوي بصيرته فيميز بين ما ينفعه وما يضره، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا الله يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَالله ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [لأنفال:٢٩] .

٥- تعطي العبد قوة لغلبة الشيطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [لأعراف:٢٠١] .

٦- توسيع الرزق وفتح مزيد من الخيرات، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [لأعراف:٩٦] .

٧- تفريج الكرب وتيسير الأمور، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ الله يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ [الطلاق: ٢] .

٨- أن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣] .

٩- أنها أفضل ما يتزود به العبد في طريقه إلى الله، قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ الله وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة:١٩٧] .

١٠- كل علاقات الأخلاء تنتهي يوم القيامة إلا علاقات المتقين، قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٤٦ - خلق اليقين والتوكل على الله

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة يرويها الداعية الإسلامي الأستاذ " عمرو خالد فيقول ": كان لي صديق يعمل في إحدى الفنادق الكبيرة بالقاهرة ، وكان من ضمن مهام مهنته أن يعد لحفلات يرتكب فيها محرمات ، وبينما هو يعد قائمة بالمطلوب لإحدى هذه الحفلات ، نظر أمامه فإذا بالشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله تعالى يتناول الطعام أمامه في المطعم ، فتيقظ ضميره وشعر أنه يأتي مُحرَّماً ، فما كان منه إلا أن ترك ما بيده وذهب إليه يسأله ، هل ما أفعله بوظيفتي حلال أم حرام؟ فقال له: "إنه حرام"،فقال له: "فماذا أفعل؟" فقال له: "اتركها"، فرد الشاب "إن لي زوجة وأولاداً ، فمن أين سنجد قوتنا؟ "، فرد عليه الشيخ الجليل: "يابني إنه ﴿وَمَن يَتَّقِ الله يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢ - ٣] ، قال له: "إذن أظل بوظيفتي حتى أجد غيرها ثم أتركها"، فرد الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى بحزم: "يا بني إنه يقول:من يتق الله (أولاً) يجعل له مخرجاً (بعد ذلك) . . . فكيف تريده أن يجعل لك مخرجاً وأنت لم تتقه؟".

فظل الشاب يفكر حتى هداه الله إلى كتابة الاستقالة والتوكل عليه سبحانه ، ولكنه قبل أن يتم كتابتها إذا بمدير سلسلة الفنادق التي ينتمي إليها هذا الفندق يتصل به ويقول: "أريد أن أخبرك بشيء ، فرد الشاب وأنا أيضاً أريد أن أخبرك بشيء - يعني الاستقالة - ولكن المدير قال له: "سأقول لك أنا أولاً: لدينا وظيفة شاغرة لمدير فرعنا بالمدينة المنورة وقد اخترتك لها ، فما رأيك؟!!!".

وهذه قصة واقعية أخرى لمسلم توكل على الله وافتخر بانتمائه للإسلام واعتز بتفضيل مراد الله على مراده: يقول الدكتور "عبد الله الخاطر" الذي كان يعيش في إنجلترا لدراسة الدكتوراه: "التقيت بشاب إنجليزي يعيش في جنوب لندن، وقد أسلم حديثاً، وبعد إسلامه بثلاثة أسابيع عثر على وظيفة، فحاول غيره من الشباب المسلمين أن يحذروه من أن يقول: إنه قد أسلم حين يذهب للمقابلة الشخصية، حتى لايكون ذلك سبباً في عدم قبوله، فيتأثر نفسياً فيرتد عن دينه، إلا أن هذا الشاب توكل على ربه ولم يخشهم، فذكر لأصحاب العمل أنه قد أسلم وكان اسمه "رود"، فأصبح "عمر"، وقال لهم أيضاً بفخر: "لقد غيرت ديني واسمي وأريد وظيفة تتيح لي وقتاً للصلاة، فما كان منهم إلا أن قبلوه في تلك الوظيفة!!! وكان الأمر أعجب عندما قالوا له: "إننا نريد في هذه الوظيفة رجلاً عنده القدرة على اتخاذ القرارات وأنت عندك قدرة عظيمة جداً في اتخاذها، فقد غيرت اسمك ودينك وهذا إنجاز كبير!!! (٢٠) .معاشر الإخوة، اليقين منزلة يحبها الله تبارك وتعالى، ويريد من عباده أن يبلغوها، ولهذا يقول الله ﷻ: ﴿كَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام:٧٥]، فإبراهيم عليه السلام كان مؤمناً بدليل أنه الله تعالى قال في الآية التي قبلها: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام:٧٤]، لكن الله أراد أن يزيده إيماناً بهذا، وأن يجعله من الموقنين، وهي درجة عليا ومرتبة عظمى، فجعل الله سبحانه وسيلة ذلك أن يريه ملكوت السماوات والأرض، فبعد أن أيقن واستيقن به، جزم جزماً قاطعاً أن قومه على ضلالة وتبرأ منهم، ورفع الله تبارك وتعالى حجته عليهم، ودحض شبهاتهم، وأيقن أن الأمن والاهتداء لا يكون إلا للمؤمنين، ولا حظَّ فيهما لأحد من المشركين.

وهذا يشابه أيضاً قول الخليل عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة:٢٦٠]،

فهي أيضاً زيادة في اليقين والاطمئنان ، ولعلنا نتساءل: كم كان مقدار اليقين الذي كان عند الخليل إبراهيم عليه السلام ، لقد أُمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بذبح ابنه ، بل ولم يأمره جبريل بقوله: إن الله يبلغك أن تذبح ابنك ، ولكن جاء أمره: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات١٠٢] ، مجرد رؤيا ، فلم يقل: لعلها من الشيطان أو كذا ، أو أنام الليلة فإن تكررت فعلت ، ولكن اليقين جعله يمتثل ، وجعل ابنه كذلك ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ [الصافات:١٠٢] ، فقد حصل اليقين عند الأب ، وكذلك حصل اليقين عند الابن ، وهذه هي الدرجة التي يريدها اللـه تبارك وتعالى ويحب أن يكون أنبياؤه وأولياؤه عليها (٥٦) .

ولقد عَلَّم رسول الله ﷺ صحابته الكرام كيفية التوكل على الله ﷻ في سائر الأمور ، ففي يوم الهجرة يستأجر مشركاً ليدله على الطريق ، وهو سيد المتوكلين ، لماذا لم يقل النبي ﷺ : معي ربي سيدلني على الطريق؟! لا .

بل يأخذ النبي ﷺ بالأسباب ، فيستأجر مشركاً ليدله على الطريق ، ويحمل الراحلة والزاد .

وفي يوم أحد يحارب النبي ﷺ بين درعين ، وكان يدخر لقومه ولأهله القوت في بيته وهو سيد المتوكلين ، هذا هو التوكل الحقيقي أن نأخذ بالأسباب ، أن نبذر الحب في الأرض ، وأن نتعاهد الزرع بالري والحرث والتنقية ، وأن تتعلق قلوبنا بعد ذلك بالله لا بالأسباب ، لأن الأسباب وحدها لا تضر ولا تنفع ، ولا ترزق ولا تمنع إلا بأمر مسبب الأسباب جل جلاله ، وهذا هو التوكل الذي أمر الله به نبيه فقال: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾ [الفرقان:٥٨] ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى الله﴾ [آل عمران:١٥٩] ﴿إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩] (٦٢) .

وَعَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَيْتِهِ فَقَالَ: بِسْمِ الله تَوَكَّلْتُ عَلَى الله لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله قَالَ: يُقَالُ حِينَئِذٍ: هُدِيتَ

وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ فَتَتَنَحَّى لَهُ الشَّيَاطِينُ، فَيَقُولُ لَهُ شَيْطَانٌ آخَرُ: كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟!» [(١)] .

وَعَنْ أَنَس ﷺ يَقُولُ: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ الله أَعْقِلُهَا - أي أربط الناقة - وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أُطْلِقُهَا - أي أتركها حرة - وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: «**اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ**»[(٢)] .

ولقد كان الرسول ﷺ يحرص على تعليم الغلمان من أولاد الصحابة كيف يتوكلون على الله حق التوكل ، فقد كان يركب وراءه ذات مرة ابن عباس ، فقال له: «**يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ الله؛ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ الله؛ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ الله وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الأَقْلاَمُ، وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**»[(٣)] فما أعظمه من حديث ، لذا ينبغي أن يعلم كل واحد أهل بيته الرضا بقضاء الله ، والشجاعة والإقدام وحسن التوكل على الله تعالى ، مع أهمية أن يشرح لهم أن التوكل يعني الأخذ بالأسباب بالجوارح مع التوكل على الله بالقلب ، أي التيقن من أن تحقيق الغاية لن يتم إلا بأمر الله ؛ فإذا لم يكن هناك أسباب يمكن اتخاذها فالأمر لله ، وهنا ينبغي التضرع والدعاء له تعالى لتحقيق تلك الغاية ، مع الثقة في حكمته وأن كل ما يأتي به الله خير .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

---

(١) (صحيح) أخرجه أبو داود ٥٠٩٥وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤٩٩ .
(٢) (حسن) أخرجه الترمذي ٢٥١٧ وحسنه الألباني صحيح الجامع ١٠٦٨ .
(٣) (صحيح) ، أخرجه الترمذي ٢٥١٦ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٩٥٧ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٤٧ - خلق العدل

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع أهل سمرقند لما وصل خبر تولية عمر بن عبد العزيز الخلافة إلى سكان ما وراء النهر ، اجتمع أهل سمرقند وقالوا لسليمان بن أبي السرّي: إن قتيبة غدر بنا ، وظلمنا وأخذ بلادنا ، وقد أظهر الله العدل والإنصاف ، فأذن لنا فليفد منا وفد إلى أمير المؤمنين ، يشكو ظلامتنا ، فإن كان لنا حق أعطيناه ، فإن بنا إلى ذلك حاجة . فأذن لهم سليمان ، فوجهوا منهم قوماً فقدموا على عمر ، فكتب لهم عمر إلى سليمان ابن السري: إن أهل سمرقند قد شكوا إليَّ ظلماً أصابهم ، وتحاملاً من قتيبة عليهم أخرجهم من أرضهم ، فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم ، فإن قضى لهم فأخرجهم – المسلمين الغزاة – إلى معسكرهم كما كانوا وكنتم قبل أن ظهر عليهم قتيبة ، فأجلس سليمان جُمَيْعَ بن حاضر القاضي فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابذوهم على سواء فيكون صلحاً جديداً أو ظفراً عنوة ، فقال أهل الصُّغد – أي قوم يسكنون بلاد ماوراء النهر -: بل نرضى بما كان ولا نجدِّد حرباً ، وتراضوا بذلك ، فقال أهل الرأي: قد خالطنا هؤلاء القوم وأقمنا معهم ، وأمنونا وأمنّاهم ، فإن حكم لنا عدْنا إلى الحرب ولا ندري لمن يكون الظفر ، وإن لم يكن لنا اجتلبنا عداوة في المنازعة ، فتركوا الأمر على ما كان ورضوا ولم ينازعوا (١٢) .

معاشر الإخوة ، هل هناك دولة في القرن الحادي والعشرين تحني رأسها هكذا للعدل كي يأخذ مجراه وللحق كي يعود إلى أصحابه؟

وأي حاكم في تاريخ الشعوب التي لم تعرف الله ، استجاب ، هكذا ،

لنداءات المظلومين الذين سلبت حقوقهم ، كهذه الاستجابة السريعة الحاسمة من عمر ابن عبد العزيز؟ فهذا مثل رفيع من عدل عمر (٤١) .

ويصدق ذلك قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لله وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ [النساء:١٣٥] .

فيوجب الله تعالى في هذا النداء الإلهي العدل في القضاء ، والشهادة ، والقول ، والعمل ، والاعتقاد ، فعلى من قضى بين اثنين أن يعدل في حكمه ، وأن من شهد أن يعدل في شهادته ، وأن من قال مخبرا أو آمرا ، أن يعدل في قوله وفي أمره ، إذ على العدل قامت السماوات والأرض ، وقد طبق رسول الله ﷺ مضمون هذه الآية ، حتى يستتب العدل ، كما كان الحال مع المرأة المخزومية القرشية التي سرقت ، وقرر رسول الله ﷺ تنفيذ الحد عليها ، فعن عائشة رضي الله عنها : أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ ، فَقَالَ: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِى عَلَيْهِ إِلاَّ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ رضي الله عنه ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ؛ وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ، لَقَطَعْتُ يَدَهَا» [١] .

الإخوة الفضلاء ، إن العدل صفة خلقية كريمة تعني التزام الحق والإنصاف في كل أمر من أمور الحياة ، والبعد عن الظلم والبغي والعدوان قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ ، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ وقد ورد في الحديث الشريف قوله ﷺ : «تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ»، والإسلام يربأ بالمسلم عن الوقوع في أي لون من ألوان الظلم ، فالظالم مطرود من رحمة الله ، ولقد أوعد الله

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٤٧٥، ومسلم ١٦٨٨ .

سبحانه وتعالى الظالمين بأشد العقوبات . قال تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الله غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ كما تضمنت السنة النبوية الشريفة مجموعة من الأحاديث التي تقر العدل وتُحَرِّمُ الظلم ، منها:

عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ : «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ الله عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا» [١] .

قال النووي: قول رسول الله ﷺ : الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وَلّوا فمعناه أنَّ هذا الفضل إنما هو لمن عَدَل فيما تقلده من خلافة أو إمارة أو قضاء أو حسبة أو نظر على يتيم . . ونحو ذلك والله أعلم" .

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنْ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا» [٢] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله تَعَالَى فِيْ ظِلِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَة يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَادِلٌ..» [٣].

قال ابن حجر: "وأحسن ما فسر به العادل أنه الذي يتبع أمر الله بوضع كل شيء في موضعه من غير إفراط ولا تفريط" .

وللظلم عواقب وخيمة ، وما تزول الدول ولا يضطرب الحال إلا بسبب الظلم والتعسف والجور: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً﴾ [الكهف:٥٩] .

عباد الله: العدل والإنصاف حتى مع الكفار: قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ١٨٢٧ .

(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٥٧٧ .

(٣) (صحيح) أخرجه البخاري ١٤٢٣.

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لله شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨] .

أي: لا يحملنكم بغض الكفار ﴿عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة:٨] هذا إذا كان مع الكفار ، فكيف إذا كان مع المسلمين من أهل البدع؟! بل كيف إذا كان مع المسلمين من أهل السنة؟!

وللعدل ثمار كثيرة نذكر منها:

١ – **إنه سبب للبركة في الأرزاق**، ولقد وُجد في خزائن بعض بني أمية صرةُ حنطة أمثال نوى التمر مكتوبٌ عليها: هذا كان ينبت أيام العدل .

٢ – **إنه موصل إلى محبة الله سبحانه وتعالى**، قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُواْ إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات:٩] ، فهو سبحانه عدل ويحب أهل العدل .

٣ – **إنه قرين التوحيد**، وذلك لأن التوحيد أعظم العدل ، كما أن الشرك أعظم الظلم ، قال تعالى: ﴿شَهِدَ الله أَنَّهُ لا اله إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ اله إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨] .

٤ – **أنه سبب لقيام الدول وسرّ استقرارها**، قال ابن تيمية: "قيل: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة ، ويقال: الدنيا تدوم مع العدل والكفر ، ولا تدوم مع الظلم والإسلام" (٥٢) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٤٨ - خلق الوفاء بالعهود

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، موعدنا مع صورة مشرقة في حرص النبي ﷺ على حفظ العهود ، وذلك حينما كان يفاوض سهيل بن عمرو في الحديبية ، حيث جاءه ابن سهيل يرسف في الأغلال ، وقد فر من مشركي مكة ، وكان أبوه يتفاوض مع الرسول ﷺ ، وكان هذا الابن ممن دخلوا الإسلام جاء مستصرخًا بالمسلمين ، وقد انفلت من أيدي المشركين ، فلما رأى سهيل ابنه قام إليه وأخذ بتلابيبه ، وقال: يا محمد لقد لجت القضية بيني وبينك ، أي فرغنا من المناقشة قبل أن يأتيك هذا ، فقال رسول الله ﷺ : صدقت ، فقال أبو جندل: يا معشر المسلمين أَأُرَد إلى المشركين يفتنوني في ديني؟! فلم يغن عنه ذلك شيئًا ، ورده رسول الله ﷺ وقال لأبي جندل: إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهدًا ، وإنا لا نغدر بهم ، غير أن النبي ﷺ إزاء هذه المأساة التي حالت بنود معاهدة الصلح بينه وبين أن يجد مخرجًا منها لأبي جندل المسلم ، طمأن أبا جندل وبشره بقرب الفرج له ولمن على شاكلته من المسلمين ، وقال له وهو يواسيه: يا أبا جندل ، اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا ومخرجًا ، لقد كان درس أبي جندل امتحانًا قاسيًا ورهيبًا لهذا الوفاء بالعهد أثبت فيه الرسول ﷺ والمسلمون نجاحًا عظيمًا في كبت عواطفهم وحبس مشاعرهم ، وقد صبروا لمنظر أخيهم أبي جندل وتأثروا من ذلك المشهد عندما كان أبوه يجتذبه من تلابيبه ، والدماء تنزف منه ، مما زاد في إيلامهم حتى أن الكثيرين منهم أخذوا يبكون بمرارة إشفاقًا منهم على أخيهم في العقيدة ، وهم ينظرون إلى أبيه المشرك وهو يسحبه بفظاظة الوثني الجلف ليعود به مرة أخرى إلى سجنه الرهيب في مكة (٣٢) .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

وصورة أخرى مشرقة على الوفاء بالعهود فيما حدث بين حذيفة ابن اليمان ﷺ وأبيه وكفار قريش ، قال حذيفة: ما منعنا أن نشهد بدرًا إلا أني وأبي أقبلنا نريد رسول الله ﷺ ، فأخذنا كفار قريش فقالوا: إنكم تريدون محمدًا ، فقلنا: ما نريده إنما نريد المدينة ، فأخذوا علينا عهد الله وميثاقه لتصيرن إلى المدينة ولا تقاتلوا مع محمد ﷺ ، لما جاوزناهم أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا له ما قالوا وما قلنا لهم فيما ترى؟ قال: نستعين الله عليهم ونفي بعهدهم ، فانطلقنا إلى المدينة ، فذاك الذي منعنا أن نشهد بدرًا مكة (٣٢) .

قال أئمة التفسير: إن الله جل وعلا أثنى بهذا على إسماعيل عليه الصلاة والسلام ؛ لأنه ما من عهد عاهد به ربه إلا وصدق في عهده ووعده لربه جل وعلا ، فهو الذي وعد الخليل عليه الصلاة والسلام أن يجده صابراً إذا ما جاء لينفذ فيه أمر الله بالذبح ، كما قال الله عز وجل عنه: ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ الله مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢] ، والدليل على أنه وفى بوعده قول ربه جل وعلا: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات:١٠٣] ، عاهد ربه فوفى بعهده ووعده لله عز وجل ، لذا أثنى الله عليه بقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ [مريم:٥٤] .

معاشر الإخوة، الأمانةُ ما يُؤتَمَنُ عليه مِنْ قول أو فعلٍ أو عين ، فمن حدَّثَك بِسِرٍّ فقد ائتمنَكَ ، ومنْ فعَل عندَك مَا لاَ يُحِبُّ الاطلاع عليه فقد ائتمنك ، ومن سلَّمكَ شيئاً من مالِه لِحِفْظِه فقد ائتمنك ، والْعَهْدُ ما يلتزمُ به الإِنسانُ لغيرِه كالنذرِ لله والعهودِ الجارِيَةِ بينَ الناس .

وسواء كان عهدا مع الله ﷻ أو مع رسوله ﷺ أو مع أي أحد فالوفاء بكل ذلك من لوازم الصدق ، كما أن إخلاف أي منها من لوازم الكذب والنفاق ، ويجب الوفاء بالشروط أياً كانت هذه الشروط ، ما دامت لا تحل حراماً ولا تحرم حلالاً ، ولذلك يقول رسول الله ﷺ : «الْمُسْلِمُونَ عِنْدَ شُرُوطِهِمْ فِيمَا أُحِلَّ-

أي: فلا يجوز شرطًا أحل حرامًا أو حرم حلالا- »[١] ، أما الشروط التي لا تحل حراماً ولا تحرم حلالاً ؛ فإنه يجب الوفاء بها أياً كانت هذه الشروط ، سواء كانت بين الزوجين ، أو بين الأجيرين ، أو بين أي اثنين من الناس ؛ لأن الله تعالى قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة:١] ، فالوفاء بعهد الله ﷻ يقتضي توحيده وإفراده بالعبادة ، كما يقتضي التحاكم إلى شرعه وحده والكفر بالطاغوت ، ولقد أخذ الله تعالى العهد على بني آدم ألا يعبدوا الشيطان ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٦٠)﴾ [يس:٦٠] .

إن الوفاء بعهد رسول الله ﷺ يقتضي إحياء سنته والذب عنها وتقديم قوله على قول كل أحد ، وهذا مقتضى شهادة أن محمدا رسول الله ، فمن أخل بشيء من ذلك المقتضى فهو كاذب في هذه الشهادة ، وأما الوفاء بعهد الناس فقد جعل الشرع خلف الوعد والغدر فيه من أشد أنواع الكذب بل جعله من أركان النفاق وآيات المنافقين كما قال رَسُولَ الله ﷺ : «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[٢] .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَالْكُفْرُ فِي قَلْبِ امْرِئٍ، وَلَا يَجْتَمِعُ الصِّدْقُ وَالْكَذِبُ جَمِيعًا،وَلَا تَجْتَمِعُ الْخِيَانَةُ وَالْأَمَانَةُ جَمِيعًا»[٣] ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «خَمْسٌ بِخَمْسٍ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله وَمَا خَمْسٌ بِخَمْسٍ؟ قَالَ:مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ إِلا سُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ، وَمَا حَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ الله إِلا فَشَا فِيهِمُ الْفَقْرُ، وَلا ظَهَرَتْ فِيهِمُ الْفَاحِشَةُ إِلا فَشَا

---

(١) (صحيح) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٤٤٠٤ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٧١٥ .

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٤ ، ومسلم ٥٨ واللفظ للبخاري .

(٣) (حسن) أخرجه أحمد ٨٥٩٣ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ١٠٥٠ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

فِيهِمُ الْمَوْتُ، وَلا طفَّفُوا الْمِكْيَالَ إِلا مُنِعُوا النَّبَاتَ وَأُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَلا مَنَعُوا الزَّكَاةَ إِلا حُبِسَ عَنْهُمُ الْقَطْرُ»[1] .

والوفاء بالعهود الداخلية والخارجية من الخصائص اللازمة والضرورية للدولة الإسلامية ، لإقرار الأمن وتحقيق السلام والاستقرار ، قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ الله إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ الله عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ الله يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ(٩١)﴾ [النحل:٩١] .

وهذا فرض ومنهج حياة لا تجوز مخالفته ، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٤] ، وذلك لنشر السلام في كل أنحاء الديار الإسلامية ، ولقول رسول الله ﷺ : «أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[2] ، ولا فرق في ذلك بين مسلم وذِمِّي من رعايا الدولة الإسلامية ، وفي العلاقات الخارجية فالدولة الإسلامية تدعو إلى السلام ، ما لم تُنْتهك حرمات الله أو يُعتدى على أرض المسلمين ، قال تعالى ﴿لَا يَنْهَاكُمُ الله عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ الله يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ الله عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ(٩)﴾ [الممتحنة: ٨ - ٩] (٢٠) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) (حسن) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٠٩٩٢وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٣٢٤٠ .

(٢) (صحيح) مسلم ٥٤ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٤٩- حسن الخلق

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع حلم عمر بن الخطاب ﷺ مع عيينة ابن حصن ، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَبَّاس ﷺ قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسٍ وَكَانَ مِنْ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ – أي العلماء والعباد – أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ كُهُولاً كَانُوا أَوْ شُبَّانًا ، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْه؟ قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ . قَالَ ابْنُ عَبَّاس ﷺ : فَاسْتَأْذَنَ الْحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا بْنَ الْخَطَّابِ فَوَاللهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْل ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الله تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ ﴿خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] ، وَإِنَّ هَذَا مِنْ الْجَاهِلِينَ وَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ الله [(١)] .

إخوتي في الله ، عليكم بحسن الخلق فإن كثيراً من العصاة والفجار والفساق كانت يرون من حسن خلق الصحابة والتابعين ما يجعل قلوبهم ترق وتلين ويتركون ما كانوا عليه من الفسق والفجور .

كما أن حسن الخلق يقرب العبد إلى الله جل وعلا ويرفع درجته في الجنة ، ولقد كان النبي ﷺ يدعو إلى مكارم الأخلاق .

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ الله عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٦٤٢ .

مُّبِينٍ (١٦٤)﴾ [آل عمران:١٦٤] .

فالعبادات من مقاصدها حسن الخلق فمثلا الصلاة ثمرتها تجنب الفحشاء والمنكر ، والصدقات ثمرتها تزكية النفس من رذائل الأخلاق ، والصيام ثمرته التقوى وهو الإتيان بالأوامر وتجنب النواهى وكل الأوامر والنواهي مفضية لحسن الخلق والحج ثمرته حسن الخلق وذلك بتجنب الرفث والفسوق والعصيان .

فلا ينبغي أن يكون الدين في المسجد فقط يصلى الرجل مع المصلين وخارج المسجد يتكبر ويلعن ويؤذى ويسخر ويضرب ولا يعطى الناس حقوقهم ويخلف المواعيد ويكذب فهذا كله من مساوئ الأخلاق .

معاشر الإخوة ، هناك فضائل كثيرة لحسن الخلق ، من أعظمها أنه سبب في مرافقة النبيين وجوار الصالحين مع الذين أنعم عليهم رب العالمين ، نسأل الله العظيم أن يبلغنا الجنة بمنّه ورحمته وهو أرحم الراحمين ، فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ الله لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ**»[(١)] .

وَعَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ، قَائِمِ اللَّيْلِ صَائِمِ النَّهَارِ**»[(٢)] .

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ**» ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ فَمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «**المُتَكَبِّرُونَ** »[(٣)] . وروى الترمذي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ الْمُبَارَكِ ، أَنَّهُ وَصَفَ حُسْنَ الْخُلُقِ فَقَالَ: هُوَ بَسْطُ الْوَجْهِ وَبَذْلُ

---

(١) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٠٠٢وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٦٣٢ .
(٢) (صحيح) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٩٩ وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٦٢٠ .
(٣) (حسن) أخرجه الترمذي ٢٠١٨ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٢٠١ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

الْمَعْرُوفِ وَكَفُّ الأَذَى .

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ : «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنْ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**» (١) .

فطلاقة الوجه تدخل السرور على من قابلك ، وعلى من اتجه لك ، وتجلب المودة والمحبة ، وتوجب انشراح القلب ، بل توجب انشراح الصدر منك وممن يقابلك ، وجرب تجد ، لكن إذا كنت عبوساً فإن الناس ينفرون منك ، ولا ينشرحون بالجلوس إليك ، ولا بالتحدث معك ، كما أن مساعدة الناس وكفَّ الأذى عنهم من حسن الخلق . هذه الأصول الثلاثة التي يدور عليها حسن الخلق في معاملة الخلق .

والأخلاق منحة من الله جل جلاله ، ألا وإن أحق الناس بأخلاقك وأحق الناس بعطفك وحنانك وبرك وإحسانك ومن تظهر له الخلق الحسن والداك ثم أهل بيتك: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ﴾ [الإسراء:٢٣] .

وَعَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**»(٢) .

إخوتي في الله ، هناك وسائل مفيدة لتحسين الخلق نذكر منها:

١ - **المجاهدة**، فالمجاهدة تنفع كثيراً في ذلك لأن الخلق الحسن نوع من الهداية يحصل عليه المرء بالمجاهدة ، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩] .

٢ - **مراقبة النفس ومحاسبتها**، وذلك بنقد النفس إذا ارتكبت أخلاقاً ذميمة ، وحَمْلِها على ألا تعود إلى تلك الأخلاق مرة أخرى ، مع أخذها بمبدأ الثواب

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٦٢٦ .

(٢) (صحيح) أخرجه الترمذي ٣٨٩٥ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣٣١٤

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

إذا أحسنت ، وأخذها بمبدأ العقاب إذا توانت وقَصَّرَتْ .

٣ – **التفكر في الآثار المترتبة على حسن الخلق،** فإن معرفة ثمرات الأشياء ، واستحضار حسن عواقبها من أكبر الدواعي إلى فعلها .

٤ – **النظر في عواقب سوء الخلق،** وذلك بتأمل ما يجلبه سوء الخلق من الأسف الدائم ، والهم الملازم ، والحسرة والندامة ، والبغضة في قلوب الخلق .

٥ – **الدعاء،** فالدعاء باب عظيم ولهذا كان النبي يقول في دعاء الاستفتاح: **اللهُم اهدِني لأحسَنِ الأخلاقِ، لا يَهدي لأحسنِها إلاّ أنت، واصرف عني سيِّئَها لا يصرف سيِّئَها إلاّ أنت .**

٦ – **الصبر من الأسس الأخلاقية التي يقوم عليها الخلق الحسن** ؛ فالصبر يحمل على الاحتمال ، وكظم الغيظ ، وكف الأذى ، والحلم ، والأناة ، والرفق ، وترك الطيش والعجلة .

٧ – **تكلّفُ البِشْر والطلاقة، وتُجنّبُ العبوس والتقطيب .**

٨ – **التغاضي والتغافل والحلم،** قال ابن الأثير عن صلاح الدين الأيوبي: كان حليماً حسنَ الأخلاق ، متواضعاً ، صبوراً على ما يكره ، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه ، يسمع من أحدهم مايكره ، ولا يُعلمه ولا يتغير عليه .

٩ – **الإعراض عن الجاهلين والعفو والصفح،** قال تعالى: ﴿ خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩] .

١٠ – **تجنّبُ الغضب؛ لأن الغضب جمرة تتقد في القلب،** واحتسب الأجر عند الله فهذا الأمر من أعظم ما يعين على اكتساب الأخلاق الفاضلة (٤) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٥٠ - خلق الحياء

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة رائعة للسلف الصالح ، حيث جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم ، فقال: يا إمام أريد أن أتوب وأن أترك الذنوب ، وإذا بي أعود إليها ، دلني على أشياء تعصمني فلا أعصي الله .

فقال له إبراهيم بن أدهم: إن أردت أن تعصي الله فلا تعصه على أرضه! فقال الرجل: فأين أعصيه؟ قال إبراهيم: خارج أرضه!! فقال الرجل: كيف يا إمام والأرض كلها لله؟ فقال إبراهيم: أما تستحي أن تكون الأرض كلها لله وتعصيه على أرضه؟

ثم قال إبراهيم: وإن أردت أن تعصيه فلا تأكل من رزقه! قال الرجل: فكيف أحيا؟ فقال إبراهيم: أما تستحي أن تأكل من رزقه ثم تعصيه؟

ثم قال إبراهيم: فإن أبيت إلا أن تعصي الله فاعصه في مكان لا يراك فيه!

فقال الرجل: وكيف ذلك وهو معنا أينما كنا؟ فقال إبراهيم: أما تستحي أن تعصيه وهو معك قريب منك؟

ثم قال إبراهيم: فإن أبيت إلا أن تعصي الله ، فان جاءك ملك الموت ليأخذ روحك فقل له: أنظرني حتى أتوب!! فقال الرجل: ومن يملك ذلك!؟

فقال إبراهيم: أما تستحي أن يأتي ملك الموت ويأخذ روحك وأنت على المعصية؟ ثم قال إبراهيم: فإن أبيت إلا أن تعصي الله ، فإذا جاءتك زبانية جهنم يأخذونك إلى النار فقل لهم: لن أذهب معكم . فقال الرجل: وكيف ذلك يا إمام!؟

فقال إبراهيم: أما تستحي من الله بعد كل هذا!!؟ (٤٨) .

أخي الحبيب ، الحياء خلق نبيل يحول بين من يتمتع به وبين فعل المحرمات وإتيان المنكرات ، فَعَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ فَقَالَ: «**الْحَيَاءُ مِنْ الْإِيمَانِ**»[(١)] .

ولقد حثت الشريعة الإسلامية المسلمين على التحلي بفضيلة الحياء وبيَّنَ النبي ﷺ أن هذا الخلق الشريف هو أبرز ما يتميز به الإسلام فَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإسلام الْحَيَاءُ**»[(٢)] .

وإذا استحكم خلق الحياء في نفس المسلم ، صده عن كل قبيح وقاده إلى كل أمر حسن طيب ، والحياء لا يأتي إلا بخير ، أما إذا ضعف هذا الخلق فلن يحل محله إلا السفه والوقاحة والفحش ، ويجد الإنسان نفسه أمام أبواب مفتوحة من السوء والمنكر فينزلق إليها .

وإذا كان الحياء من الناس حسنا ، فإن الأحسن منه كثيرا أن يكون الحياء من الله تعالى لأنه يمنع الإنسان من المعاصي دائما ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**اسْتَحْيُوا مِنْ الله حَقَّ الْحَيَاءِ، قَالَ: قُلْنَا يَا رَسُولَ الله إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لله، قَالَ: لَيْسَ ذَاكَ وَلَكِنَّ الِاسْتِحْيَاءَ مِنْ الله حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْتَذْكُرْ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ اسْتَحْيَا مِنْ الله حَقَّ الْحَيَاءِ**»[(٣)] (٤٨) .

يقول فضيلة الدكتور عبد العظيم بدوي : هكذا بيّن رسول الله ﷺ أن حقيقة الحياء من الله تكون بمجموع هذه الأمور التي ذكرت في الحديث ، وأن من ترك منها شيئا نقص حياؤه على قدر ما ترك منها .

وأول هذه الأمور: حفظ الرأس مجملا بالتنزه عن الشرك ، فلا يضع رأسه لغير الله ساجدا ، ولا يرفعه على عباد الله تكبرا ، وتفصيلا: فحفظ الرأس

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٤ ومسلم ٣٦ .
(٢) (حسن) أخرجه ابن ماجه ٤١٨١ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٢١٤٩ .
(٣) (حسن لغيره) أخرجه الترمذي٢٤٥٨ وحسنه الألباني صحيح الترغيب ٢٦٣٨ .

معناه: أن يحفظ رأسه وما وعاه من الحواس كالفم واللسان ، والعين والأذن . فحفظه الفم يكون باجتناب أكل الحرام وما فيه شبهة ، وأكل الحرام يمنع قبول الدعاء ، وأما اللسان فإمساكه عن الحرام والشر واجب ، فيتجنبه الكذب ، والغيبة ، والنميمة ، وشهادة الزور ، وبه يكون القول على الله بغير علم ، وكل ذلك من الموبقات ، وأما العين فبحفظها عن النظر لما لا يجوز له النظر إليه ، أما الأذن: فحفظها يكون بترك الاستماع إلى الخنا والفجور ، وبترك الاستماع إلى القينات والمعازف ، وبترك الاستماع إلى كل ما حرم الله الاستماع إليه ، فإن المسلم مخاطب بتغيير المنكر إذا رآه أو سمعه ، فإذا استمع الإنسان للمنكر ألفه قلبه ، حتى لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا .

ويدخل في حفظ الرأس حفظه عن نظر من لا يجوز له النظر إليه ، وأما حفظ الفم ، فلا يدخل فيه حرام وما فيه شبهة .

وأما ما حواه البطن فالمراد به الفرج ، وحفظ الفرج قد أمر الله به فقال: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور:٣٠ – ٣١] .

ومما يحزن القلب تساهل المؤمنات في الذهاب إلى الأطباء الرجال لأتفه الأسباب ، وتمكينهم من الكشف على العورة المغلظة والنظر إليها ولمسها من غير ضرورة . فاتقين الله معشر المسلمات ، واحفظن فروجكن ، واعلمن أن الحياء والإيمان قرناء ، إذا رفع أحدهما رفع الآخر! .

ومن حقيقة الاستحياء من الرب: ذكر الموت ، لأن من ذكر أن مآله للموت والفناء ، هان عليه ما فاته من اللذات العاجلة ، وأهمه ما يلزم من طلب الآجلة ، ومن أراد الآخرة أي الفوز بنعيمها ترك زينة الدنيا ، ومدح الحافظين فروجهم فقال: ﴿ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ الله كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ الله لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ [الأحزاب:٣٥] .

إخوتي في الله ، هناك فرق كبير بين الخجل والحياء ، فالخجل يعرّفه علماء النفس بأنه: ارتباك نتيجة موقف ، كسؤال المعلم للطالب . . فتجد الطالب يخجل ولا يستطيع عرض رأيه بوضوح ، فالخجل ناتج عن جبن ، عن خوف . . فالشخصية الخجولة شخصية ضعيفة . . يرى حقه مهضوما ولا يطالب به ، ولكن الحياء عكس ذلك تماما . . فإن الحياء ناتج عن شخصية قوية ، شخصية تستشعر قيمتها فهي كريمة . . تستعلي أن تفعل القبائح (٤٨) .

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**الْإِيـمَانُ بِضْـعٌ وَسَـبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ**»[1] .

أي أن الإيمان يتكون من بضع وستين شعبة من تجمعت فيه صار مؤمنا ، ونلاحظ أن النبي ﷺ لم يذكر هذه الشعب ولكنه ذكر الحياء فقط .

سبحان الله!!! انها لدلالة صريحة على أن الحياء سيأخذ بيدك للبضع والستين شعبة ، فإن كنت حييا انضبطت معك بقية الشعب (٤٨) .

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**الحَياءُ والإيمان قُرناءُ جَمِيعًا فَإِذَا رُفِعَ أَحَدِهِمَا رُفِعَ الآخَرُ**»[2]

سبحان الله!!! إنها دلالة صريحة على أن الحياء جزء أساسي من مكونات الإيمان ، كما أنه قرين للإيمان إذا رفع أحدهما رفع الآخر .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٩ ، ومسلم ٣٥ واللفظ لمسلم .
(٢) (صحيح) أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٨ وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٦٠٣ .

٥١- الزهد في الدنيا والإقبال على الآخرة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع زهد العابد سالم بن عبد الله بن عمر ، يذكر أن أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك دخل الحرم ليطوف ، فوجد سالم ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب يطوف بالبيت وحذاؤه بيده - وهو زاهدٌ عابد يقولون عنه: ثَمَّنَّا ما عليه فوجدناها بثلاثة عشر درهماً - فمر سليمان بالموكب ومعه الوزراء والأمراء ، فلما رأى سالماً توقف واقترب منه لِيُقَبِّل يده لأنه عالم الأمة ، فسحبها ، فقال له سليمان: يا سالم! أَلَكَ إليَّ حاجة؟ قال سالم: يا سليمان! أما تستحي من الله؟ أتعرض عليَّ المسائل في بيت الله؟ فتركه ، فلما خرج عرض عليه السؤال ، قال: أَلَكَ إليَّ حاجة؟ قال: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ قال: بل من حوائج الدنيا ، أما الآخرة فلا يملكها إلا الله ، قال: والله الذي لا إله إلا هو ، ما سألت حوائج الدنيا من الذي يملكها وهو الله ، فكيف أسألها منك؟ (٥٧) .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ في معلقات صحيح البخاري كلمة تُسَجَّل بماء الذهب: ارْتَحَلَتْ الدُّنْيَا مُدْبِرَةً وَارْتَحَلَتْ الآخِرَةُ مُقْبِلَةً وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ ، وَلاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلاَ حِسَابَ ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلاَ عَمَلٌ .

وهذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾ [النساء:٧٧] .

أخي الحبيب ، ذكر الإمام أحمد رحمه الله تعالى أيضًا في كتابه الزهد قال: الزهد على ثلاثة أنواع:

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

الأول: ترك الحرام: وهو زهد العوام .

الثاني: ترك الفضول من الحلال: وهو زهد الخواص .

الثالث: ترك ما يُشغل عن الله: وهو زهد أولياء الله العارفين بالله تعالى .

وقال أيضاً: الزاهد لا يفرح من الدنيا بموجود ولا يأسف منها على مفقود ، و لكن إلى أي درجة يكون الفرح بالمال؟ وإلى أي درجة يكون التأسف على فقده؟ فبعض الناس سروره بالمال طبيعي عادي حسب الفطرة التي في النفس ، فالنفس مجبولة على حب المال والسرور بكسبه ، فالإنسان إذا ذهب يقبض الراتب يكون مسروراً في قبض الراتب ، فإذا فلس في آخر الشهر صار فيه نوع من الغم طبيعي ، لكن إلى أي وضع هو يكون مسروراً بالمال؟ كأنه يريد أن يأكله أكلاً ، كما فعل ذلك البخيل لما أقبل على الموت أكل المال حتى لا ينتفع به غيره ، هذا غير طبيعي .

وقيل للإمام أحمد رحمه الله تعالى : أيكون الرجل زاهداً ومعه ألف دينار؟ قال: نعم ، شريطة ألا يفرح إذا زادت ولا يحزن إذا نقصت ، بمعنى: أن قلبه غير متعلق بالمال ، فإذا زادت لا يشعر كأنه صلى ألف ركعة ، وإذا نقصت يغتم كأنه وقع في المعاصي ، وإلا صار عنده المال أهم من الدين .

فمثلا: شخص عنده تجارة ، كيف يعرف أنه زاهد أم لا؟

إذا رأى أن التجارة تشغله عن طاعة الله ، ويؤخر صلوات ، ويتأخر عن المساجد ، وعن دروس العلم والحلق والإخوة في الله ، وصار إنساناً دنيوياً ، فهو ليس بزاهد .

وإذا رأى أن التجارة لم تقطعه عن العبادة ، ولا عن المسجد ، والإخوة في الله ، وحلق العلم ، ويعطي الزكاة والصدقات ويتصدق ، وكلما جاءه فقير أعطاه ، ويعطي للمجاهدين ولبناء المساجد . .الخ ، فهو زاهد .

فالزهد ألا يفرح من الدنيا بموجود ، ولا يأسف منها على مفقود ، كما قال

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

تعالى: ﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد:٢٣] أي: أن الله عز وجل كتب كل المصائب في اللوح المحفوظ: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ [الحديد:٢٢ - ٢٣] أي: من قبل أن نخلقها في الأرض ، لماذا؟ ما هو السبب والحكمة؟ لأنك لو كنت مؤمناً وموقناً بأن هذا مكتوب عند الله قبل أن يحدث لك ، سواء جاءك لا تطير به فرحاً ، كأنه هو كل شيء ، ولو فقدته فلا تنزل فيه غمرات اليأس ، لأنه ليس كل شيء ، وهو أمر مكتوب ومقدر ومقضي ، انتهى وقضي الذي في الكتاب ، شيء قد قضاه الله عز وجل ، فلا تفرح به أكثر مما يجب شرعاً ، ولا تغتم لفقده أكثر مما يصلح شرعاً (٦٤) .

والأحاديث في ذم الدنيا وفضل الزهد كثيرة جداً ، ومن أروع أحاديث الزهد الحديث الذي أخرجه البخاري وغيره عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِمَنْكِبِي: «فَقَالَ كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» ، وَكَانَ بْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرْ الصَّبَاحَ ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرْ الْمَسَاءَ ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ[(١)] .

وَعَنْ عَبْدِ الله بِنْ مَسعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: نَامَ رَسُولُ الله ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ فَقُلْنَا يَا رَسُولَ الله: لَوْ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً - أي غطاء -؟

فَقَالَ: «مَا لِي وَمَا لِلدُّنْيَا؟! مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»[(٢)] .

وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله ، دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي الله وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٤١٦ .

(٢) (صحيح لغيره) أخرجه الترمذي ٢٣٧٧ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٦٦٨ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

رَسُولُ الله ﷺ : «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ الله وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّوكَ»(١) .

معاشر الإخوة ، الزهد أقسام:

الأول: زهد في الحرام ، وهو فرض عين .

الثاني: زهد في الشبهات ، وهو بحسب مراتب الشبهة ، فإن قويت ألحقت بالقسم الواجب ، وإن ضعفت كان تركها مستحباً ، والزهد فيها أولى .

الثالث: الزهد في الفضول: يعني في المباحات ، الأشياء الزائدة عن الإنسان أي: الترفيهيات والكماليات .

الرابع: زهد فيما لا يعني من الكلام . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ:قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ»(٢) .

الخامس: الزهد في التطفل ، فيقول من أين جئت؟ وإلى أين سوف تذهب؟ ومن كان معك؟ ومن كنت تكلم قبل قليل؟ ومن ومن؟ فَعَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِنَّ الله حَرَّمَ عَلَيْكُمْ: عُقُوقَ الْأُمَّهَاتِ، وَوَأْدَ الْبَنَاتِ، وَمَنَعَ وَهَاتِ وَكَرِهَ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»(٣) .

السادس: الزهد في المدح والثناء ، فلا يطلب المدح والثناء ، بل يزهده .

السابع: الزهد بالنفس في المعركة وفي قتال المشركين مثلاً .

الثامن: وهو أفضلها وأهمها: إخفاء الزهد (٦٤) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) (صحيح) أخرجه ابن ماجه ٤٠١٢ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٩٢٢ .
(٢) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٣١٧ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٩١١ .
(٣) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٤٠٨ ، ومسلم ٥٩٣ واللفظ للبخاري .

٥٢- طلب العلم الشرعي

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة رجل من بني إسرائيل قتل تسعة وتسعين نفسا وأراد أن يتوب ، أخرج مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه أَنَّ نَبِيَّ الله ﷺقَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ: لَا فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ، انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ الله فَاعْبُدْ الله مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ: مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى الله ، وَقَالَتْ: مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى، فَهُوَ لَهُ فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ قَالَ قَتَادَةُ فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ» (١) ، من هذه القصة يتضح لنا فضل العلماء على العُبَّاد ، فالعابد قال لهذا الرجل الذى قتل تسعا وتسعين نفسا: ليس لك توبة فآيسه من رحمة الله جل وعلا ، والعالم قال له: ومن يحول بينك وبين التوبة؟ فكان سببا في مغفرة الذنوب لهذا القاتل ، وهذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ (٩)﴾ [الزمر:٩] .

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٧٦٦ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

معاشر الإخوة ، كثير ممن يرتكبون الكبائر ، ويسرفون على أنفسهم بالمعاصي ، أو يتساهلون بظلم العباد وبخسهم حقوقهم ، لا يعلمون أن فعلهم هذا من الكبائر ، ولا يدركون العواقب السيئة في الدنيا وفي الآخرة ، فيتساهلون في فعله ، ولو علموا ما ورد في هذا المنكر من الوعيد والعذاب الشديد ، لما ارتكبوه أو أصروا عليه ، لذلك قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**»[١] ، وهذا يشمل كل علم يتوقف عليه القيام بالواجب أو ترك المحرم ، فتعلمه فرض عين على كل مسلم مكلف ، أما ما زاد على ذلك من العلوم الشرعية أو الدنيوية التي تحتاجها الأمة ، فتعلمها فرض كفاية إذا قام بها البعض سقط عن الباقين .

وبين رسول الله ﷺ أن الاشتغال بالعلم تعلمًا وتعليمًا أفضل من الاشتغال بنوافل العبادات التي يقتصر نفعها على صاحبها ، فقال: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»[٢] .

ثانيا: وجوب الحذر من الأئمة المضلين ، والمتصدرين للفتوى وليسوا من أهلها ، ولهذا أمرنا الله تعالى بسؤال أهل الذكر فقال: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [الأنبياء: ٧] .

وأهل الذكر هم العلماء الراسخون ، الذين شهدت لهم الأمة بالعلم والإمامة في الدين ، أما أدعياء العلم ، والمتطفلون على موائد العلماء ، فليسوا أهلاً لأن يستفتوا ويصدر عن رأيهم ، وخصوصًا في الأمور العامة التي تمس

---

(١) (صحيح) أخرجه ابن ماجه ٢٢٤ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٧٢ .

(٢) (صحيح) أخرجه أبو داود ٣٦٤١ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٢٩٧ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

مصالح الأمة .

إخوتي في الله ، هناك أسباب متعددة لتفضيل العالم البصير على العابد الجاهل ، نذكر منها:

١ – **أن العالم أعرف بالله ﷻ وحقوقه**، وأكثر محبةً له وتعظيمًا لجنابه ، ورجاء لثوابه ، وخوفًا من عقابه ، فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف ، ولهذا قال ربنا سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] .

٢ – **أن العلم النافع يعصم صاحبه بتوفيق الله من الانحراف والضلال**، ويحميه من الوقوع في البدع والمحدثات ، بخلاف العابد الجاهل ، فإنه قد يقع في شيء من هذه المخالفات بسبب جهله ، وربما يتقرب إلى الله بما لم يأذن به الله ، ويشركون بالله تعالى ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا .

٣ – **أن العلم نور يهدي إلى الحق**، وينير الطريق للسالكين ، وبه يُميَّز بين الإيمان والكفر ، والمصلحة والمفسدة ، والخير والشر ، ولهذا أمرنا ربنا ﷻ بالرجوع إلى العلماء الربانيين في الأمور التي تهم الأمة .

٤ – **أن عمل العابد نفعه قاصر على نفسه** ، بخلاف العالم فنفعه متعدٍ إلى غيره (٣) .

معاشر الإخوة ، إن تاريخنا مليء بالنماذج المشرفة لأهل التربية والهمم العالية ، فهذا سفيان بن سعيد الثوري رحمه الله تعالى يقول: دعتني أمي ، وكانت ذات همة وحرص على العلم ، فقالت: يا بني! إن لدي همة لجمع العلم ، وإني امرأة لا أستطيع أن أغشى مجالس الرجال ، ولكني سأكفيك أمر الدنيا بمغزلي ، وتكفيني أنت أمر العلم ، فكانت تلك المرأة ذات مغزل فتبيع ما غزلته من الصوف ، وتنفق به على ولدها ، وتغدق عليه الأموال التي يتزود به لأسفاره ، ويجمع بها الكتب ، ويستطيع بها التفرغ لطلب العلم ، فاشتركا في الأجر: فالمرأة تغزل الصوف وتبيعه ، والرجل تفرغ لطلب العلم حتى أصبح

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

إماماً من أئمة المسلمين .

وكذلك مالك بن أنس رحمه الله تعالى يقول: دعتني أمي ، وكنت أشتغل بضرب العود ، أي بتعلم الغناء في ذلك الوقت وهو صغير ، فقالت: يا بني! إنها حرفة لا تصلح لك ، فعممتني بعمامة ، وكستني ثوباً أبيض ، وأعطتني صرة من الدراهم ، وقالت: اذهب إلى المسجد فلا ترجع إليَّ حتى تكون رأس الحلقة . وهذا ربيعة بن فروخ وهو ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ الإمام مالك ، الذي اشتهر بـ ربيعة الرأي ، ما رباه إلا أمه ، فإن أباه خرج في الغزوة فمكث أربعاً وعشرين سنة في غزوة من الغزوات ، وقد ترك ولده حملاً ، فلما رجع وقفل من غزوته جاء إلى بيته فاستقبله رجل ، فدخلا في عراك حتى عرف أنه ولده الذي تركه حملاً ، وإذا هو عالم المدينة إذ ذاك دون منافس ، فسأل امرأته عن المال الذي تركه عندها ، قالت: أنفقته على ولدك حتى أصبح عالم المدينة .

وهذا أبو يوسف القاضي كان ذكياً وكان أبوه يحرص على تعليمه بعض المهن الدنيوية ، يريد أن ينال من ورائه كسبا مادياً ، فكان يمر على حلقة أبي حنيفة فيسمعه يناظر في الفقه فتعجبه المناظرة ، فيجلس إليه ، فرآه أبو حنيفة فأعجب به ، فامتحنه ، فأعجب بذكائه ، فقال: اجلس إليّ حتى تحمل عني بعض هذا العلم الذي لديَّ فقال: إن أبي يمنعني ذلك ، فقال: وما حاجة أبيك إليك ، قال: يريد مالاً ، فقال أبو حنيفة: أنا أكفيك ذلك ، فكان أبو حنيفة يعطيه مالاً يقدمه لأبيه كل شهر ، ويجلسه هو في مجلسه يتعلم ، حتى أصبح الناس يقولون عن أبي يوسف: صورة طبق الأصل من أبي حنيفة (٦١) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٥٣ - التجارة الرابحة ذكر الله تعالى

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة لسليمان بن داود عليهما السلام في (حلية الأولياء) ، فعن وهب بن منبه قال: كان لسليمان بن داود عليهما السلام ألف بيت أعلاه قوارير ، وأسفله حديد ، فركب الريح يوما فمر بحراث ، يحرث فنظر إليه الحراث - أي الفلاح - فقال: لقد أوتى آل داود ملكا عظيما ، فحملت الريح كلامه فألقته في أذن سليمان عليه السلام قال: فنزل حتى أتى الحراث وقال: إني سمعت قولك وإنما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ، لتسبيحة واحدة يتقبلها الله تعالى منك خير مما أوتى آل داود ، فقال الحراث: أذهب الله همك كما أذهبت همي (٢٤) .

لقد أمرنا الله ﷻ بذكره كثيرا بكرة وعشيا عند الصباح والمساء ، وأدبار الصلوات المفروضات ، وعند العوارض والأسباب قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا الله ذِكْراً كَثِيراً (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً(٤٢)﴾ [الأحزاب: ٤١ - ٤٢] .

إخوتي في الله ، اذكروا الله ذكرًا كثيرًا وسبحوه بكرة وأصيلاً ، كونوا من أولي الألباب الذين يذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم ، كونوا من الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب وتنفرج الكروب ، بذكر الله يحصل النصر ويثبت القلب في مواطن الفزع ، ولذلك أمر الله تعالى بذكره عند مقابلة الأعداء في الحرب فقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا الله كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال: ٤٥] ، ويقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:

١٥٢] .

ويقول الله تعالى في الحديث القدسي الذي رواه النبي ﷺ عنه: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**» [(١)] ، وقال النبي ﷺ : «**سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ» قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ**» [(٢)] ، وقال النبي ﷺ : «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لاَ يَذْكُرُ رَبَّهُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ**» [(٣)] .

أخي المسلم ، لا يشغلنك عن ذكر الله مال ولا بنون فإنما: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾ [الكهف:٤٦] ، والباقيات الصالحات كل عمل صالح وعلى رأسها قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وذكر الله تعالى غنيمة وربح ، وإن الغفلة عن ذكره غرم وخسارة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً** - أي النقص والحرمان - ؛ **فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ**» [(٤)] .

وللذكر فوائد كثيرة نذكر منها ما يلي:

١ - **ذكر الله يرضي الرحمن ويطرد الشيطان،** فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما يَقُولُ إِنَّهُ: سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ، وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ، فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ: أَدْرَكْتُمُ**

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٧٤٠٥ ، ومسلم ٢٦٧٥ واللفظ للبخاري .
(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٦٧٦ .
(٣) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٤٠٧ .
(٤) (صحيح لغيره) أخرجه الترمذي ٣٣٨٠ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١٥١٢ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ »[١] .

٢ – **الذِّكر يرفع ميزان العبد يوم القيامة،** فعَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لله تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ لله تَمْلَآنِ أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**»[٢] .

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ:قَالَ النبي ﷺ : «**لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ الله، وَالْحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**»[٣] .

٣ – **ذكر الله يحفظ الأوقات ويجمع الشتات.**

٤ – **ذِكْر الله يجلب أعظم الفوائد ويعين على الشدائد،** فعند المصيبة تقول: إنا لله وإنا إليه راجعون! هذه تعينك على الشدائد وتجمع لك أعظم الفوائد .

٥ – **الذِّكر أسهل الأعمال وأشرف الخصال،** ما أسهل الذكر! وأنت على فراشك يمكن أن تسبق الصائم المنفق والمصلي ؛ فاذكر الله بحضور قلب .

٦ – **الدوام على ذكر الله حصن وحبل من الحق متين فلا تأتيك الوساوس،** وما ظهرت الأمراض النفسية وفتحت المستشفيات إلا من قلة ذكر الذاكرين وإعراضهم عن الوضوء والصلاة ، وقراءة القرآن وأذكار الصباح والمساء .

٧ – **التعود على الذِّكر يكسو الوجه الاطمئنان والوقار،** قال تعالى:

﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ الله أَلاَ بِذِكْرِ الله تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد:٢٨] .

ومن علامات الإيمان كثرة ذكر الله تعالى ، جاء رجل إلى الحسن البصري رحمه الله تعالى ، فقال له: إني تاجرت فخسرت ، قال: عليك بالاستغفار! ثم جاءه آخر ، فقال له: إني عقيم لا يولد لي ، فقال له: عليك بالاستغفار! ثم

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٠١٨ .
(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٢٣ .
(٣) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٦٩٥ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

جاءه ثالث ، فقال: إن بلادنا قد وقف عنها المطر وقحطت وأجدبت الأرض ، قال: عليكم بالاستغفار! فقال له رجل: يا أبا سعيد: شكوا إليك أمراضاً شتى ، وذكرت لهم دواءً واحداً! قال: إن الله تعالى يقول: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً(١٢)﴾ [نوح:١٠ - ١٢]. وعَنْ زَيْدٍ مَوْلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ الله الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ كَانَ فَرَّ مِنْ الزَّحْفِ»[1] .

وكذلك فإن للصلاة على رسول الله ﷺ فضلاً عظيماً فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ»[2] . وأفضل صيغة للصلاة على رسول الله ﷺ هي الصلاة الإبراهيمية في التشهد الأخير ، ويستحب الصلاة على رسول الله ﷺ عقب الآذان ، وأول الدعاء وأوسطه وآخره ، وفي صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية ، وعند ذكررسول الله ﷺ ، وعند الدخول والخروج من المسجد ، ويوم الجمعة وليلتها ، وعند القيام من المجلس ، وفي خطبة النكاح ، وفي خطبة الجمعة والعيدين والاستسقاء ، وعند الكرب والهم ، وعند ختم الكلام . . .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

---

(١) (صحيح) أخرجه الترمذي ٣٥٧٧ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١٦٢٢ .
(٢) (صحيح) أخرجه النسائي ١٢٩٧ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٣٥٩ .

٥٤ - سلاح غفل عنه المؤمنون ألا وهو الدعاء

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة ذكرها ابن كثير في تفسيره ذكر فيها: أن رجلاً حكى عنه أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالدقي الصوفي قال هذا الرجل: كنت أكاري - أحمل الناس بالأجرة - على بغل لي من دمشق إلى بلد الزبداني ، فركب معي ذات مرة رجل فمررنا على بعض الطريق على طريق غير مسلوكة فقال لي: خذ في هذه - أي اسلك هذه الطريق - فإنها أقرب ، فقلت: لا خبرة لي فيها ، فقال: بل هي أقرب ، فسلكناها فانتهينا إلى مكان وعر وواد عميق وفيه قتلى كثيرة فقال لي: أمسك رأس البغل حتى أنزل ، فنزل وتشمر وجمع عليه ثيابه وسل سكيناً معه وقصدني ، ففررت من بين يديه وتبعني ، فناشدته الله وقلت: خذ البغل بما عليه ، فقال هو لي: وإنما أريد قتلك ، فخوفته الله والعقوبة فلم يقبل ، فاستسلمت بين يديه وقلت: إن رأيت أن تتركني حتى أصلي ركعتين فقال: عجل ، فقمت أصلي فأرتج عليَّ القرآن فلم يحضرني منه حرف واحد ، فبقيت واقفاً متحيراً وهو يقول: هيه افرغ ، فأجرى الله على لساني قوله تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل:٦٢] ، فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم الوادي وبيده حربة فرمى بها الرجل فما أخطأت فؤاده فخر صريعاً ، فتعلقت بالفارس وقلت: بالله من أنت؟ فقال: أنا رسول الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ، قال: فأخذت البغل والحمل ورجعت سالماً . ولا عجب فمن توكل على الله ومن التجأ إلى الله أجاب دعاءه وحفظه ولو كادته السماوات والأرض لجعل الله له من ذلك فرجا ومخرجا .

معاشر الإخوة ، الدعاء سلاح عظيم غفل عنه المؤمنون ، ولن يهلك معه أحد بإذن الله ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ(١٨٦)﴾ [البقرة: ١٨٦] ، قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: إن أعرابيًا قال: يا رسول الله ، أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت النبي ﷺ ، فنزلت الآية ، وقال ابن جُرَيج عن عطاء: أنه بلغه لما نزلت: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ، قال الناس: لو نعلم أي ساعة ندعو؟ فنزلت: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] ، وعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزَاةٍ فَجَعَلْنَا لاَ نَصْعَدُ شَرَفًا - أي موضعا مرتفعا يشرف على ما حوله - وَلاَ نَعْلُو شَرَفًا وَلاَ نَهْبِطُ فِي وَادٍ إِلاَّ رَفَعْنَا أَصْوَاتَنَا بِالتَّكْبِيرِ قَالَ: فَدَنَا مِنَّا رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَرْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلاَ غَائِبًا إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا**» [(١)] .

وللدعاء فضائل جمة نذكر منها :

١ - **الدعاء سبب لدفع غضب الله**، فَعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلْ الله يَغْضَبْ عَلَيْهِ**» [(٢)] .

٢ - **الدعاء سبب لرفع البلاء بعد نزوله**، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ الْبَلَاءَ لَيَنْزِلُ فَيَتَلَقَّاهُ الدُّعَاءُ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» [(٣)] .

ولقبول الدعاء عدة شروط نذكر منها:

١ - **الإخلاص** قال تعالى: ﴿فَادْعُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٩٩٢ .
(٢) (صحيح) أخرجه الترمذي ٣٣٧٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٤١٨ .
(٣) (حسن) أخرجه الحاكم في المستدرك ١٨١٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٧٣٩ .

(١٤)﴾﴿ [غافر:١٤] .

٢ – **تحري الحلال في المطعم والمشرب والملبس** ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الله طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ الله أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ** فَقَالَ: ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾ وَقَالَ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**﴾ **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ**» [١] .

٣ – **عدم الاستعجال** ، فكثير من الناس يتوقع أن الله سوف يستجيب الدعاء في التو واللحظة ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ : عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ**» قِيلَ: يَا رَسُولَ الله مَا الِاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: «**يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي؛ فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ**» [٢] .

٤ – **الدعاء بالمباح**، فَعن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**مَا عَلَى الْأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو الله بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ الله إِيَّاهَا أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنْ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْقَوْمِ: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: «**الله أَكْثَرُ**» [٣] .

٥ – **الإكثار من دعاء الله تعالى في الرخاء** . فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْتَجِيبَ الله لَهُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَالْكَرْبِ فَلْيُكْثِرْ الدُّعَاءَ فِي الرَّخَاءِ**» [٤] .

إخوتي في الله ، للدعاء آداب نذكر منها:

١ – **دعاء الله بأسمائه الحسنى**، قال تعالى: ﴿**وَلله الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ١٠١٥ .
(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٧٣٥ .
(٣) (حسن) أخرجه الترمذي ٣٥٧٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٦٣٧ .
(٤) (حسن) أخرجه الترمذي ٣٣٨٢ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٦٢٩٠ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف:١٨٠] .

٢ – **الإلحاح في الدعاء والعزم في المسألة،** فَعَنْ أَنَس ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمْ المَسْأَلَةَ، وَلَا يَقُولَنَّ: اللهمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ**»[1] .

٣ – **عدم التعدي في الدعاء:** قال الله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ المُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥] ، والتعدي شيء يخالف الشرع مثل: أن يدعو العبد أن يكون نبياً من الأنبياء ، أو يدعو الله أن يرزقه الله الولد وهو ليس بمتزوج .

٤ – **توخي الأوقات الفاضلة،** مثل الدعاء في ليلة القدر ، وجَوْفِ الليلِ الآخِرِ ، ودُبُرَ الصلاةِ المكتوبةِ ، وبين الأذان والإقامة ، وعِندَ نُزُول الغيثِ ، وساعة من يوم الجُمْعَة ، وعند شُرب ماءِ زمزم مع النيِّةِ الصادقةِ ، وعند السجودِ ، والدُّعاءِ بعد الثناء على الله والصلاة على النبي في التشهُّد الأخير ، والدُعاءِ يوم عَرَفَةَ في عَرَفَة ، دُعاءِ المظلوم على من ظلمهُ ، ودعاءِ المسافِر ، ودُعاءِ الصائمِ حتَّى يُفْطِرَ وعِنْدَ فِطْرِهِ ، ودعاءِ المُضطرِّ .

٥ – **ترك السجع والتكلف،** وتجنب ما يفعل البعض في دعاء القنوت .

٦ – **الدعاء بجوامع الأدعية:** ومن الأدعية الجوامع: رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ، اللهم إني أسألك العفو والعافية ، اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى .

٧ – **الإسرار في الدعاء وعدم رفع الصوت،** يقول عز من قائل في الذكر: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾ [الأعراف:٢٠٥] (٥٧) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٦٣٣٨ ، ومسلم ٢٦٧٨ واللفظ للبخاري .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٥٥ - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع الشيخ العز بن عبد السلام وسلطان مصر ، قال التاج السبكي: سمعت الشيخ الإمام يقول: سمعت شيخنا الباجي يقول: طلع شيخنا عز الدين مرة إلى السلطان في يوم عيد إلى القلعة . فشاهد العساكر مصطفين بين يديه ، ومجلس المملكة ، وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة ، وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصرية ، وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يدي السلطان ، فالتفت الشيخ إلى السلطان وناداه ، يا أيوب ، ما حجتك عند الله إذا قال لك: ألم أبوئ لك ملك مصر ثم تبيح الخمور؟ فقال: هل جرى هذا؟ فقال: نعم ، الحانة الفلانية يباع فيها الخمور ، وغيرها من المنكرات ، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة – كان يناديه بأعلى صوته ، والعساكر واقفون – فقال: ياسيدى هذا أنا ما عملته ، هذا من زمان أبي ، فقال أنت من الذين يقولون ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ (٢٢)﴾ [الزخرف: ٢٢] ، فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة (٣٩) .

وقد بين الله تعالى عظم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواطن كثيرة في كتابه ، فقال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ(٧٩)﴾ [المائدة ٧٨ – ٧٩] .

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق ﵁ أَنَّهُ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَؤُونَ هَذِهِ الآيَةَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾

[المائدة:١٠٥] ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمْ الله بِعِقَابٍ مِنْهُ» [1] .

و معنى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة:١٠٥] أي: إذا أمرتم بالمعروف ، ونهيتم عن المنكر ، فلا يأتيكم ضرر إذا وقع العذاب ﴿لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٥] ، أي: بعد أن تأمروا وتنهوا .

وهذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ(١٦٥)﴾ [الأعراف١٦٤ - ١٦٥]

وهاتان الآيتان نزلتا في جماعتين من بني إسرائيل يقول الله تعالى: واذكر - أيها الرسول - إذ قالت جماعة منهم - أي من بني إسرائيل - لجماعة أخرى كانت تعظ المعتدين في يوم السبت ، وتنهاهم عن معصية الله فيه: لِمَ تعظون قومًا الله مهلكهم في الدنيا بمعصيتهم إياه أو معذبهم عذابا شديدًا في الآخرة؟ قال الذين كانوا ينهَوْنهم عن معصية الله: نَعِظهم وننهاهم لِنُعْذَر فيهم ، ونؤدي فرض الله علينا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورجاء أن يتقوا الله ، فيخافوه ، ويتوبوا من معصيتهم ربهم وتعدِّيهم على ما حرَّم عليهم . فلما تركت الطائفة التي اعتدت في يوم السبت ما ذُكِّرت به ، واستمرت على غيِّها واعتدائها فيه ، ولم تستجب لما وَعَظَتْها به الطائفة الواعظة ، أنجى الله الذين ينهون عن معصيته ، وأخذ الذين اعتدَوْا في يوم السبت بعذاب أليم شديد ؛ بسبب مخالفتهم أمر الله وخروجهم عن طاعته .

وقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِالله﴾ [آل عمران:١١٠] ، فهذه الآية الكريمة أفادت معنيين:

---

(١) (صحيح) الترمذي ٢١٦٨ وصححه الألباني في صحيح الجامع ١٩٧٣ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

الأول خيرية أمة الإسلام – ، والثاني: أنها حازت هذه الخيرية لقيامها بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي وظيفة رسول الله ﷺ ورسل الله جميعاً ، وأول ما يدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الدعوة الى الله وحده والبراءة من الشرك بأنواعه ، بل إن القرآن الكريم جعل من صفات المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بخلاف المنافقين الذين يصدون عن سبيل الله ويدعون إلى غيره ، وقال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧] ، ثم قال بعد ذلك: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة:٧١] ، قال القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية الكريمة: فجعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فارقا بين المؤمنين والمنافقين ، فدل على أن أخص أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورأسها الدعوة إلى الإسلام (٢٨) .

وأخرج الترمذي عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَان رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنْ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُم**»[(١)] ، وَعَنْ طَارِق بْنِ شِهَابٍ قَالَ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ رضي الله عنه : سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»[(٢)] .

ويختلف تطبيق هذا الحديث مع أصناف الناس المختلفة ، فمن رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، هذا لأهل السلطة التنفيذية ، للقضاة والأمراء ، فإن لم يستطع فبلسانه وهذا للدعاة وللعلماء وطلبة العلم ، فمن لم يستطع فبقلبه وهذا للذي لا يملكون حجة وبياناً ولا سيفاً ولا سناناً ، فهم: ليسوا من العلماء والدعاة ، ولا من الأمراء والقضاة ، فعلى هؤلاء أن ينكروا بقلوبهم .

---

(١) (حسن) أخرجه الترمذي ٢١٦٩ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٧٠٧٠ .
(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ٤٩ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

أخي الحبيب ، يلزم للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر توافر عدة أمور منها:

الأول: العلم بالكتاب والسنة .

الثاني: الحكمة في الأمر والحكمة في النهي ، وتحصيل المصلحة من الأمر والمصلحة من النهي ، ولا تكون المصلحة أقل بل تكون أعظم ، فإذا علمت أن هؤلاء يعودون من الضلالة إلى الهدى ، ويصلح حالهم فلك أن تأمرهم ، أما إذا علمت أن هؤلاء سوف يزدادون ضلالة وشراً فالمصلحة ألا تأمر ولا تنهى .

الثالث: التدرج في المأمورات والمنهيات ، فمثلاً عند أَمْرِك بالمعروف ونهيك عن المنكر تبدأ أولاً بالعقيدة ، وبالفرائض ، لا يصح أن نأتي إلى مجتمع لا يقيم الصلوات ، فندعوه إلى تربية اللحى .

الرابع: ألا يخالف الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر قوله فعله يقول سُبحَانَهُ وَتَعَالَى عن شعيب عليه السلام: ﴿**وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْأِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾ [هود:٨٨] ، لكن لِيُعلم أن هذا يحتاج إلى شيء من التفصيل: وهي قضية أنه لا يلزمك أن تفعل النوافل التي تقولها ، ويلزمك أن تفعل الفرائض التي تقولها للناس ، فلا يلزم الداعية النوافل التي يقولها للناس أن يفعلها جميعاً لأنه قد لا يستطيع ، مثل أن تأمر الناس بالصدقة قد لا يكون عندك عشاء ليلة ، فمن أين تتصدق؟ وهذا لا يمنعك عن دعوتهم إلى الصدقة ، أما الفرائض فلا ، قال تعالى: ﴿**أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة:٤٤] (٥٧) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٥٦ – الدعوة إلى الله

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة الشيخ عبد الحميد الجزائري رحمه الله كما ورد في (تاريخ الجزائر): أن المندوب الفرنسي أيام الاستعمار كان يقول بكل صراحة: جئنا لطمس معالم الإسلام ، واستدعى الشيخ عبد الحميد وقال له: إما أن تقلع عن تلقين تلاميذك هذه الأفكار ، وإلا أرسلت الجنود لقفل المسجد وإخماد أصواتكم المنكرة ، فقال الشيخ بثبات المؤمن: إنك لن تستطيع فاستشاط غضبا وأرغى وأزبد وقال: كيف؟!

قال: إن كنت في حفل عرس علمت المحتفلين ، وإن كنت في اجتماع علمت المجتمعين ، وإن ركبت سيارة علمت الراكبين ، وإن ركبت قطارا علمت المسافرين ، وإن دخلت السجن أرشدت المسجونين ، وإن قتلتموني ألهبتم مشاعر المسلمين ، وخير لكم ، ثم خير لكم ألا تتعرضوا للأمة في دينها ، فوالله لا نقاتلكم إلا بهذا الدين ، ووالله لا نقاتلكم إلا لهذا الدين .

أخي الحبيب ، الداعي الأول إلى الله تعالى ، هو رسولنا الكريم محمد ﷺ ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٤٥) وَدَاعِياً إِلَى الله بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً(٤٦)﴾ [الأحزاب ٤٥ – ٤٦] (٦) .

كما أن المكلف بالدعوة إلى الله هو كل مسلم ومسلمة ، لأن الأمة الإسلامية تتكون منهم ، فكل بالغ عاقل من الأمة الإسلامية ، ذكراً كان أو أنثى ، فلا يخص هذا الأمر العلماء وفقط ، أو كما يسميهم بعضهم أو بعض الناس رجال الدين ، لأنه واجب على الجميع ، وإنما يختصون بتبليغ تفاصيله وأحكامه ومعانيه نظراً لسعة علمهم به ومعرفتهم بجزئياته . ويزيد الأمر

وضوحاً وهو أن المكلف بالدعوة إلى الله تعالى هو كل مسلم ومسلمة ، والدليل على ذلك قول ربنا جل جلاله: ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى الله عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ الله وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(١٠٨) ﴾ [يوسف:١٠٨] ، فأتباع الرسول ﷺ المؤمنون به ، يدعون الى الله على بصيرة أي علم ويقين ، كما كان رسولهم ﷺ يدعو إلى الله على بصيرة ويقين ، فالعلم شرط من شروط الدعوة إلى الله ، ولكن العلم ليس شيئاً واحداً لا يتجزأ ولا يتبعض وإنما هو بطبيعته يتجزأ ، فمن علم مسألة وجهل أخرى فهو عالم بالأولى جاهل بالثانية ، ومعنى ذلك أن يعد من جملة العلماء بالمسألة الأولى ، وبالتالي يتوفر فيه شرط وجوب الدعوة الى ما علم دون ما جهل ، ولا خلاف بين الفقهاء ، أن من جهل شيئاً أو جهل حكمه أنه لا يدعو اليه (١٠) .

وللدعوة إلى الله فضائل عظيمة بينها رسول الله ﷺ في سنته المشرفة ، فقَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنْ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنْ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا» [١] ، وقَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه : ««انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ» [٢] .

معاشر الإخوة ، ينبغي على الدعاة البدء بترسيخ أمور العقيدة عند الناس تأسيا بسنة الحبيب ، فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا رضي الله عنه إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: «ادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رَسُولُ الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٦٧٤ .

(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٠٠٩ .

وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ» (١) .

وللدعوة إلى الله آداب كثيرة نذكر منها:

١ – الإخلاص في الدعوة ، فتكون دعوتهم من أجل مرضاة الله ﷻ .

٢ – يلزم الداعية أن يدعو على بصيرة بالعلم النافع من الكتاب والسنة .

٣ – لا يعجب بعمله بل يعلم أنه مقصر ، وأن الناس مقصرون .

٤ – يجب على الداعية ألا يهون على الناس المعاصي ، بل يخوفهم من الواحد الأحد ، فيكون في دعوته وسطاً بين الخوف والرجاء .

٥ – عدم الهجوم على الأشخاص بأسمائهم: بل يفعل كما فعل النبي ﷺ ويقول: **ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا** ، فيعرف المخطأ خطأه بدون التشهير به

٦ – عدم الإحباط من كثرة الفساد والمفسدين ، فهذه سنة الله في خلقه ﴿**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ** الله **تَبْدِيلاً**﴾ [الأحزاب:٦٢] .

٧ – عدم الاستدلال بالأحاديث الموضوعة بل دائما يتأكد من صحة أقواله .

٨ – على الداعية أن يكون ليِّنا في الخطاب ، فقد كان رسول الله ﷺ لين الكلام بشوش الوجه متواضعاً محبباً إلى الكبير والصغير .

٩ – على الداعية أن يعلن الدعو ة للمصلحة ، كالموعظة العامة في قرية أو بلدة أو في مدينة ، ولكنه إذا أتى ينصح شخصاً بعينه فعليه أن يسر الدعوة ، فيأخذه على حدة ، ويتلطف له في العبارة .

١٠ – مخاطبة الناس على قدر عقولهم وينزل الناس منازلهم .

١١ – على الداعي أن يتآلف مع الناس مرة بالهدية ومرة بالزيارة ، فيجب أن يكون الداعية اجتماعياً ، وأن يشارك الناس أحزانهم وأفراحهم .

---

(١) **(صحيح)** أخرجه البخاري ١٣٩٥ ، ومسلم ١٩ .

١٢ – ألا يخالف عمله قوله قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٤٤] .

١٣ – أن يتقلل من الدنيا ويستعد للموت (٥٧) .

الإخوة الدعاة ، نصيحتي لكم أن توجهوا الشباب حديثي العهد بالالتزام برفق فيعطى هذا الشاب الإيمان والهدى على جرعات ؛ حتى يستقيم على هدى الله تعالى ، فيبدأ معه بالأساسيات ويعالج الأمور بحكمة مع من حوله ، وبالنسبة للعلاقة بالوالدين تقدم لهما الخير والحق والهدى ، على طبق من المحبة ولو أننا استطعنا أن ننقل أسرنا ومجتمعنا إلى درجة عالية من العلم ؛ لفرقوا بين البدعة وبين السنة (٦٧) .

ولعل من المفيد في أمر الدعوة إلى الله تعالى التحرك إلى من تريد دعوته ، وذلك بعمل زيارات له ، وقد تكون هذه الزيارات في المنازل ، أو في الأسواق . . . إلخ ، وللزيارة في الله تعالى فضائل عظيمة نذكر منها ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي الله نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا**»[1]، ومن المفيد أيضا في أمر الدعوة استخدام الهدية فقد تهديه سواكا أو قطعة حلوى ، أو عطراً ، أو تعطره . . .الخ ، وينبغي أن تختلف طريقة الدعوة تبعا لثقافة المدعو ، وعند الدعوة إلى الله نبدأ بالتحدث عن نعم الله تعالى ، ومقدار محبتنا لله تعالى باتباعنا لرسول الله لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ الله وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَالله غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١] ، ثم ترغيب المدعو إلى الله للبذل لدين الله تعالى بحمل هم الدين بتعلم العلم الشرعي والعمل به والدعوة إليه .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

---

(١) (حسن) أخرجه الترمذي ٢٠٠٨ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ٦٣٨٧ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٥٧ - خلق الصبر

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة أشهر المعوقين في تاريخ الإسلام رواها الإمام ابن حبان رحمه الله في كتاب (الثقات) لمعوق من أشهر المعوقين في تاريخ المسلمين وهو الإمام الكبير العلم أبو قلابة الجرمي عبد الله بن يزيد ، وكان من الرواة عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، ويروي هذه القصة عبد الله بن محمد ، قال: خرجت الى ساحل البحر مرابطا ، وكان رباطنا يومئذ في عريش مصر قال: فلما انتهيت إلى الساحل فإذا أنا ببطيحة وفى البطيحة خيمة فيها رجل قد ذهب يداه ورجلاه وثقل سمعه وبصره وما له من جارحة تنفعه إلا لسانه وهو يقول: اللهم أوزعنى أن أحمدك حمدا أكافيء به شكر نعمتك التي أنعمت بها عليَّ وفضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلا ، قال الأوزاعي: قال عبد الله قلت: والله لآتين هذا الرجل ولأسألنه أنى له هذا الكلام؟ . . فأتيت الرجل فسلمت عليه فقلت: سمعتك وأنت تقول: اللهم أوزعنى أن أحمدك حمدا أكافئ به شكر نعمتك التي أنعمت بها علىَّ وفضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلا ، فأي نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها؟ وأي فضيلة تفضل بها عليك تشكره عليها؟ قال: وما ترى ما صنع ربي والله لو أرسل السماء عليَّ نارا فأحرقتنى ، وأمر الجبال فدمَّرتنى ، وأمر البحار فغرقتنى ، وأمر الأرض فبلعتنى ، ما ازددت لربى إلا شكرا لما أنعم عليَّ من لساني هذا ، ولكن يا عبد الله إذ أتيتني ، لي إليك حاجة ، قد تراني على أي حالة أنا ، أنا لست أقدر لنفسى على ضر ولا نفع ، ولقد كان معي بني لي يتعاهدني في وقت صلاتي فيوضيني ، وإذا جعت أطعمني ، وإذا عطشت سقاني ، ولقد فقدته منذ ثلاثة أيام فتحسسه لي رحمك الله ، فقلت: والله ما مشي خلق في حاجة خلق كان

أعظم عند الله أجرا ممن يمشي في حاجة مثلك ، فمضيت في طلب الغلام فما مضيت غير بعيد حتى صرت بين كثبان من الرمل ، فإذا أنا بالغلام قد افترسه سبع وأكل لحمه فاسترجعت ، . . فبينما أنا مقبل نحوه إذ خطر على قلبي ذكر أيوب النبي ﷺ ، فلما أتيته سلمت عليه فرد عليَّ السلام فقال: ألست بصاحبي؟ قلت: بلى قال: ما فعلت في حاجتي؟ فقلت: أنت أكرم على الله أم أيوب النبي؟ قال: بل أيوب النبي . قلت: هل علمت ما صنع به ربه أليس قد ابتلاه بماله وآله وولده؟ قال: بلى . قلت: فكيف وجده؟ قال: وجده صابرا شاكرا حامدا . قلت: لم يرض منه ذلك حتى أوحش من أقربائه وأحبائه؟ قال: نعم . قلت: فكيف وجده ربه؟ قال: وجده صابرا شاكرا حامدا . قلت: فلم يرض منه بذلك حتى صيره عرضا لمار الطريق هل علمت؟ قال: نعم قلت: فكيف وجده ربه؟ قال: صابرا شاكرا حامدا ، أوجز رحمك الله . قلت له: إن الغلام الذي أرسلتني في طلبه وجدته بين كثبان الرمل وقد افترسه سبع فأكل لحمه فأعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر ، فقال المبتلى: الحمد لله الذي لم يخلق من ذريتي خلقا يعصيه فيعذبه بالنار ، ثم استرجع وشهق شهقة فمات فقلت: إنا لله وإنا اليه راجعون عظمت مصيبتي رجل مثل هذا ، إن تركته أكلته السباع ، وإن قعدت لم أقدر على ضر ولا نفع ، فَسَجَّيْتُهُ - أي غطيته - بشملة كانت عليه وقعدت عند رأسه باكيا ، فبينما أنا قاعد إذ تهجم عليَّ - أي دخل عليَّ - أربعة رجال ، فقالوا: يا عبد الله ما حالك ، وما قصتك؟ فقصصت عليهم قصتي وقصته فقالوا لي: اكشف لنا عن وجهه فعسى أن نعرفه فكشفت عن وجهه فانكب القوم عليه يقبلون عينيه مرة ويديه أخرى ويقولون: عين طال ما غضت عن محارم الله ، وجسم طال ما كُنْتَ ساجدا والناس نيام فقلت: من هذا يرحمكم الله؟ فقالوا: هذا أبو قلابة الجرمي صاحب ابن عباس لقد كان شديد الحب لله وللنبي ﷺ ، فغسلناه وكفناه بأثواب كانت معنا ، وصلينا عليه ودفناه ، فانصرف القوم وانصرفت إلى رباطي ، فلما أن جن عليَّ الليل وضعت

رأسي فرأيته فيما يرى النائم في روضة من رياض الجنة ، وعليه حلتان من حلل الجنة وهو يتلو الوحي ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد:٢٤] ، فقلت: ألست بصاحبي؟ قال: بلى . قلت: أنَّى لك هذا؟ قال: إن لله درجات لا تنال إلا بالصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء مع خشية الله ﷻ في السر والعلانية

معاشر الإخوة ، الابتلاء للمؤمن كالنار للذهب ، يزيد في نقائه وصلابته ، وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالتسلح بسلاح الصبر والصلاة عند نزول البلايا والمصائب قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣] .

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاص رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا، اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ، ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ، حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ، وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ» [(١)] .

والصبر عند نزول البلاء يكون برضا القلب بقضاء الله ، وحبس اللسان عما يغضب الله وتقييد الجوارح عما يغضب الله ، لقول رَسُول الله ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ الله ﴿إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ اللهمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا أَخْلَفَ الله لَهُ خَيْرًا» [(٢)] .

أخي الحبيب ، الصبر على أذى الناس له منزلة عظيمة عند الله ﷻ خصوصا عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله ، قال تعالى:

فَعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذٍ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ الله ﷻ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ الله

---

(١) (صحيح) أخرجه ابن ماجة ٤٠٢٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٩٩٢

(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ٩١٨ .

مِنْ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ» (١) .

وهناك أسباب معينة على الصبر كثيرة نذكر منها:

١ – **اليقين بحسن الجزاء**، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ(١٠)﴾ [الزمر: ١٠] .

٢ – **التأسي بأهل المصائب**، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ الله الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ(٣)﴾ [العنكبوت:٢] .

٣ – **اليقين بالفرج**، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً(٦)﴾ [الشرح:٦] .

٤ – **اليقين بأن الجزع لا يرد المصيبة**، قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيرٌ(٢٢)﴾ [الحديد: ٢٢] .

٥ – **اليقين بمعية الله للصابرين**، قال تعالى: ﴿وَاصْبِرُواْ إِنَّ الله مَعَ الصَّابِرِينَ(٤٦)﴾ [الأنفال: ٤٦] .

٦ – **اليقين بأن الصبر على البلاء يرفع الدرجات**، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥)﴾ [البقرة: ١٢٥] .

٧ – **اليقين بأن الله تعالى يبتلي العباد حتى يختبر أقوالنا وأفعالنا**، فيظهر الصادق من الكاذب ، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ (٣١)﴾ [محمد: ٣١] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

---

(١) (حسن لغيره) أخرجه أبو داود ٤٧٧٧ حسنه الألباني في صحيح الترغيب٢٧٥٣ .

٥٨ - قراءة القرآن بخشوع وتدبر

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة خشوع أبي بكر الصديق عند قراءته للقرآن أوردها ابن هشام في (السيرة النبوية) قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: حَدّثَنِي الزّهْرِيّ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: فَقَالَ ابْنُ الدّغُنّةِ: أَيْنَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ قَالَ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي وَآذَوْنِي ، وَضَيّقُوا عَلَيّ قَالَ: وَلِمَ؟ فَوَاَللّهِ إنّك لَتَزِينُ الْعَشِيرَةَ وَتُعِينُ عَلَى النّوَائِبِ ، وَتَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، ارْجِعْ فَأَنْتَ فِي جِوَارِي . فَرَجَعَ مَعَهُ حَتّى إذَا دَخَلَ مَكّةَ ، قَامَ ابْنُ الدّغُنّةِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إنّي قَدْ أَجَرْت ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ ، فَلاَ يَعْرِضَنّ لَهُ أَحَدٌ إلاَّ بِخَيْرِ . قَالَتْ: فَكَفّوا عَنْهُ قَالَتْ: وَكَانَ لأَبِي بَكْرٍ مَسْجِدٌ عِنْدَ بَابِ دَارِهِ فِي بَنِي جُمَحٍ ، فَكَانَ يُصَلّي فِيهِ وَكَانَ رَجُلاً رَقِيقًا ، إذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ اسْتَبْكَى . قَالَتْ: فَيَقِفُ عَلَيْهِ الصّبْيَانُ وَالْعَبِيدُ وَالنّسَاءُ يَعْجَبُونَ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ هَيْئَتِهِ . قَالَتْ: فَمَشَى رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ إلَى ابْنِ الدّغُنّةِ فَقَالُوا لَهُ: يَا بْنَ الدّغُنّةِ إنّك لَمْ تُجِرْ هَذَا الرّجُلَ لِيُؤْذِيَنَا إنّهُ رَجُلٌ إذَا صَلّى وَقَرَأَ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمّدٌ يرِقّ وَيَبْكِي ، وَكَانَتْ لَهُ هَيْئَةٌ وَنَحْوٌ فَنَحْنُ نَتَخَوّفُ عَلَى صِبْيَانِنَا وَنِسَائِنَا وَضَعَفَتِنَا أَنْ يَفْتِنَهُمْ فَأْتِهِ ، فَمُرْهُ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ فَلْيَصْنَعْ فِيهِ مَا شَاءَ . قَالَتْ: فَمَشَى ابْنُ الدّغُنّةِ إلَيْهِ فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا بَكْرٍ إني لم أجرك لتؤذي قومك ، إنهم قد كرهوا مَكَانَك الّذِي أَنْتَ فِيهِ وَتَأَذّوْا بِذَلِكَ مِنْك ، فَادْخُلْ بَيْتَك ، فَاصْنَعْ فِيهِ مَا أَحْبَبْتَ قَالَ: أَوَ أَرُدّ عَلَيْك جِوَارَك وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللّهِ؟ قَالَ: فَارْدُدْ عَلَيّ جِوَارِي ، قَالَ: قَدْ رَدَدْتُهُ عَلَيْك قَالَتْ: فَقَامَ ابْنُ الدّغُنّةِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إنّ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ قَدْ رَدّ عَلَيّ جِوَارِي فَشَأْنُكُمْ بِصَاحِبِكُمْ (٣١) .

فيا أيها الأخ الحبيب! احرص على قراءة القرآن بتدبر وخشوع ، فقد كان

السلف رحمهم الله يتأثرون بكلام الله ﷻ، قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَاراً﴾ [الإسراء:٨٢] .

ولا يشترط في المسلم والولي والمتقي أن يحفظ القرآن كله ، فإن بعض الناس يحفظ سوراً قليلة لكنه رباني ، وولي متصل بالله ﷻ، وبعضهم يحفظ الكثير وهو فاسق – نعوذ بالله من ذلك – فالمقصود: الحفظ فضيلة مع العمل وتربية النفس على هذا القرآن ، ومن لم يحفظ الكثير فيردد ما يحفظ ، ولو لم يردد في اليوم إلا: ﴿قُلْ هُوَ الله أَحَدٌ (١) الله الصَّمَدُ(٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ(٤)﴾ لكفى ، فإنها من أعظم السور ، ويتدبر معانيها .

فلقد كان ابن تيمية يتدبر سورة الفاتحة الساعات الطويلة حتى يرتفع ويتعالى النهار ، وهذا هو العجب العجاب ، أن تتصل دائماً بالله في بيتك ، في سوقك ، في مكتبك ، في أي مكان تعيش فيه (٥٧) .

وَعَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قَدْ قَالَ: «إِنَّ الله يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ» [(١)] .

وأخبر النبي ﷺ بما لقارئ القرآن من الحسنات ، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ» [(٢)] ، وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ» [(٣)] .

ويوم القيامة تتجلى هذه الفضائل لقارئ القرآن ، فيشفع لقارئه ويعلو به في مراتب الجنة على قدر قراءته .

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «اقْرَؤوا

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٨١٧ .
(٢) (صحيح) أخرجه الترمذي ٢٩١٠ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٤٦٩ .
(٣) (صحيح) أخرجه مسلم ٧٩٨ .

الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ» (١) .

وَعَنْ ابْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا**» (٢) .

وإن من عجيب حال الكثيرين منا ، تقصيرهم في تلاوة كتاب ربهم ، وتدبره والعمل به ، مع علمهم بفضله وأجره .

قال أمير المؤمنين عُثْمَان رضي الله عنه : لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله عز وجل ، وعلى هذا ينبغي للمسلم ملاحظة هذه الأمور:

أولاً: قراءة القرآن بتدبُّر وتمعُّن ، قال تعالى: ﴿**كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ**﴾ [ص: ٢٩] .

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : "لا تنثروه كنثر الرمل ، ولا تهذُّوه كهذِّ الشعر ، قفوا عند عجائبه ، وحركوا به القلوب ، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة" .

ثانيًا: مراجعة الحفظ ، عَنْ أَبِي مُوسَى ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنْ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا**» (٣) .

ثالثًا: الخشوع عند تلاوة القرآن: عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ : اقْرَأْ عَلَيَّ ، قُلْتُ يَا رَسُولَ الله: آقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «**فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**» ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى بَلَغْتُ ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا**﴾ [النساء: ٤١] ، قَالَ: «**أَمْسِكْ**» فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ (٤) .

رابعًا: عدم هجر القرآن ، قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي**

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٨٠٤ .

(٢) (حسن) أخرجه الترمذي ٢٩١٤ وحسنه الألباني في المشكاة ٢١٣٤ .

(٣) (صحيح) أخرجه مسلم ٧٩١ .

(٤) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٥٨٣ ، ومسلم ٨٠٠ واللفظ للبخاري .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠] ، والهجر يشمل هَجْرَ التلاوة ، والتدبُّرَ والعمل ، والتحاكم إليه ؛ كما قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – ، فلابد من العناية بكلام الله – ﷻ – حفظًا ، وتلاوةً ، وعملاً ، حتى يكون المسلم من أهل القرآن ، الذين هم أهل الله ، وخاصته .

أخي المشتكي من قسوة القلب ، وقحط العين التي لاتدمع حال قراءة القرآن ، أذكرك بقول ربنا سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد:١٦] .

ولعل التفاعل مع القراءة من أسباب التدبر ، وحضور القلب حال القراءة ، ومن صور ذلك: السؤال والتعوذ والتسبيح في مواضعها ، ومن صور التفاعل: أن تتصور توجه الخطاب لك مباشرة ، وأنك المعني بالكلام ، ومن صور التفاعل: تكرار الآية ، وإمرارها على القلب ، كما كرر النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٥٩ - الخشوع في الصلاة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع موقف عظيم لصحابي جليل وهو عباد ابن بشر ، أخرج الإمام أحمد في مسنده - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ فَأُصِيبَتْ امْرَأَةٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ ، فَلَمَّا انْصرَفَ رَسُولُ الله ﷺ قَافِلاً وَجَاءَ زَوْجُهَا وَكَانَ غَائِبًا فَحَلَفَ أَنْ لاَ يَنْتَهِيَ حَتَّى يُهْرِيقَ دَمًا فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَخَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ النَّبِيِّ ﷺ فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْزِلاً فَقَالَ: «**مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا** - أي يحفظنا ويحرسنا - **لَيْلَتَنَا هَذِهِ**» فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ - عمار بن ياسر - مِنْ الأَنْصَارِ - وعباد ابن بشر - فَقَالاَ: نَحْنُ يَا رَسُولَ الله قَالَ: «**فَكُونُوا بِفَمِ الشِّعْبِ**» قَالَ: وَكَانُوا نَزَلُوا إِلَى شِعْبٍ مِنْ الْوَادِي ، فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلاَنِ إِلَى فَمِ الشِّعْبِ قَالَ: الأَنْصَارِيُّ لِلْمُهَاجِرِيِّ: أَيُّ اللَّيْلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أَكْفِيكَهُ أَوَّلَهُ أَوْ آخِرَهُ قَالَ اكْفِنِي أَوَّلَهُ ، فَاضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ - عمار بن ياسر - فَنَامَ وَقَامَ الأَنْصَارِيُّ - عباد بن بشر - يُصَلِّي ، وَأَتَى الرَّجُلُ فَلَمَّا رَأَى شَخْصَ الرَّجُلِ عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيئَةُ - أي حراسة - الْقَوْمِ فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَثَبَتَ قَائِمًا ، ثُمَّ رَمَاهُ بِسَهْمٍ آخَرَ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَثَبَتَ قَائِمًا ، ثُمَّ عَادَ لَهُ بِثَالِثٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ ثُمَّ أَهَبَّ صَاحِبَهُ فَقَالَ: اجْلِسْ فَقَدْ أُوتِيتَ فَوَثَبَ فَلَمَّا رَآهُمَا الرَّجُلُ عَرَفَ أَنْ قَدْ نَذَرُوا بِهِ فَهَرَبَ ، فَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِيُّ مَا بِالأَنْصَارِيِّ مِنْ الدِّمَاءِ قَالَ: سُبْحَانَ الله أَلاَ أَهْبَبْتَنِي - أي أيقظتني - قَالَ: كُنْتُ فِي سُورَةٍ أَقْرَؤُهَا فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتَّى أُنْفِذَهَا - أي أنتهي من قراءتها - فَلَمَّا تَابَعَ الرَّمْيَ رَكَعْتُ فَأُرِيتُكَ - أي أيقظتك - وَايْمُ الله لَوْلاَ أَنْ أُضَيِّعَ ثَغْرًا أَمَرَنِي

رَسُولُ الله ﷺ بِحِفْظِهِ لَقَطَعَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا أَوْ أُنْفِذَهَا [1] .

هذا هو حال الصحابة الكرام ، ولقد أثنى الله ﷻ عن هؤلاء الذين هم في صلاتهم خاشعون قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ(٢)﴾ [المؤمنون:١ ، ٢] ، فالصلاة جسد والخشوع روحها ، فإذا توفر الجسد والروح بقيت حياة الصلاة ، أما إذا وجد الجسد وخرجت الروح فلا قيمة للجسد .

فبعض الناس لا تنتهي أشغاله ، دائماً مشغول طوال اليوم ، فإذا دخل في الصلاة بدأ يفكر في عمارته وسيارته ومشاكله ، لماذا؟ لأنها فرصة ليس عنده وقت يفكر ، فيأتيه الشيطان ليقذف في قلبه الوساوس والأفكار والخطرات حتى يخرج منها ، بدرجة أنك لو أجريت اختبارًا في أي مسجد للمصلين بعد أي صلاة من صلاة الجهر وقلت لهم: ماذا قرأ الإمام في الصلاة؟ فإنه لا ينجح إلا القليل .

معاشر الإخوة ، كان السلف رحمهم الله يولون اهتماماً كبيراً لهذه الصلاة وللخشوع فيها ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى في (الوابل الصيب) : والناس في الصلاة على مراتب خمسة:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط ، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها ، وهذا معاقب .

الثاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها ، لكنه ذهب مع الوساوس والأفكار ، وهذا محاسب .

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار ، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته ، فهو في صلاة وجهاد ، وهذا مكفّر عنه .

---

(١) (حسن) أخرجه (حم) ١٤٧٤٥ وحسنه الشيخ شعيب الأرنؤوط .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها ، وكان همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها ، وهذا مثاب .

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه ﷻ، وهذا في صلاته مشغول بربه ﷻ قرير العين به ، وهذا مقرب من ربه (٦٦) .

الإخوة الفضلاء ، أسوأ الناس سرقة الذي يسرق في صلاته ، فَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَسْوَأُ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ مِنْ صَلاَتِهِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيْفَ يَسْرِقُ مِنْ صَلاَتِهِ؟ قَالَ: «**لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا أَوْ قَالَ: لَا يُقِيمُ صُلْبَهُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ**»[١] .

وأول ما يرفع من هذه الأمة الخشوع في الصلاة ، فَعَنْ شَدَّادِ بن أَوْسٍ ﵁ ، أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ: «**أَوَّلُ مَا يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ الْخُشُوعُ**»[٢] .

وَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللهُ تَعَالَى مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ كَانَ لَهُ عَلَى اللهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ**»[٣] .

والرجلان يكونان معا في الصف في الصلاة وهناك فرق في أجرهما ، فَعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عُشْرُ صَلَاتِهِ تُسْعُهَا ثُمْنُهَا سُبْعُهَا سُدْسُهَا خُمْسُهَا رُبْعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا**»[٤] .

أخي الحبيب ، من الأسباب التي تساعدك على الخشوع في الصلاة:

١ - أن تترك ما في يدك بمجرد سماعك للآذان وتتوجه للمسجد .

---

(١) (صحيح) أخرجه أحمد ٢٢٦٤٢ وصححه الألباني في ص .ج ٩٨٦ .

(٢) (صحيح) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٧١٨٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٥٧٦ .

(٣) (صحيح) أخرجه أبو داود ٤٢٥ وصححه الألباني في ص .ج ٣٢٤٢ .

(٤) (حسن) أخرجه أبو داود ٧٩٦ وحسنه الألباني في صحيح الجامع ١٦٢٦ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٢ – أن تحافظ على السنن الرواتب .

٣ – أن تحاول أن تصلي صلاة مودع وتتدبر ما تقوله في الصلاة ، فإذا حاول الشيطان أن يأخذك بعيدا فاستغفرالله وتعوذ من الشيطان واتفل عن يسارك إن كنت تصلى بمفردك .

٤ – أن تستحضر عظمة الله تعالى عند صلاتك ، ولاتلفت يمينا ويسارا ولا تنظر إلى السماء بل اجعل بصرك في مصلاك وتدبر في الآيات التى تقرأها أو التى تسمعها ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٢٠٤] .

واختلف أهل العلم في حكم قراءة الفاتحة للمأموم على ثلاثة أقوال: قول للإمام الشافعي وهو: أن من ترك قراءة الفاتحة إماماً كان أو مأموماً فإن صلاته باطلة ،والقول الثاني للإمام أحمد ومالك وهو: أن الفاتحة تجب على المأموم في القراءة السرية ، وتسقط عنه في القراءة الجهرية ؛ لأن قراءة الإمام قراءة له ، وهذا قول الإمام أحمد ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، والقول الثالث: وهو من الأقوال التي لا دليل عليها ، وهو قول الإمام أبي حنيفة رحمة الله تعالى ، قال: إن المأموم لا يقرأ ؛ لا في السرية ولا الجهرية (٦٦) .

٥ – وأَدِّ الأركان باطمئنان وخشوع ولا تسابق الإمام في الركوع ولا في السجود في صلوات الجماعة .

٦ – واختم صلاتك بتأنٍّ ثم صلِّ مابدا لك من السنن والأفضل أن تحافظ على السنن في المنزل ، فَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «صَلَاةُ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي مَسْجِدِي هَذَا إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ» (١) (٦٤) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه أبو داود ١٠٤٤ وصححه الألباني في المشكاة ١٣٠٠ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٦٠- محاسبة النفس

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع قصة أخرجها الإمام مسلم في صحيحه عن محاسبة حنظلة ﷺ لنفسه ، فَعَنْ حَنْظَلَةَ الْأُسَيِّدِيِّ ﷺ وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُول الله ﷺ قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ ، قَالَ: سُبْحَانَ الله مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُول الله ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُول الله ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُول الله ﷺ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ الله ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**وَمَا ذَاكَ؟**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ ، حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً ثَلَاثَ مَرَّاتٍ**»[1] .

وهذا مصداقا لقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الحشر ١٧] .

أخي الحبيب ، هل خلوت بنفسك يوماً فحاسبتها عما بدر منها من الأقوال والأفعال؟ وهل حاولت يوماً أن تعد سيئاتك كما تعد حسناتك؟ بل هل تأملت يوماً طاعاتك التي تفتخر بذكرها؟! فإن وجدت أن كثيراً منها مشوباً بالرياء والسمعة وحظوظ النفس فكيف تصبر على هذه الحال ، وطريقك

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٧٥٠ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

محفوف بالمكارة والأخطار؟! وكيف القدوم على الله وأنت محمل بالأثقال والأوزار؟

ومحاسبة النفس مهمة في تجديد الإيمان يقول جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨)﴾ [الحشر :١٨] ، وقال عمر بن الخطاب ☺ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا" ويقول الحسن البصري رحمه الله لا تلقى المؤمن إلا وهو يحاسب نفسه ، وويعتبر ميمون بن مهران المحاسبة ميزانا للتقوى فيقول: " لا يكون الرجل تقيا حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه" (١٤) .

ومحاسبة النفس تكون قبل العمل بأن يقف العبد عند أول همه وإرادته ، ولا يبادر بالعمل حتى يتبين له رجحانه على تركه . قال الحسن البصري رحمه الله تعالى: " رحم الله عبداً وقف عند همه ، فإن كان لله مضى ، وإن كان لغيره تأخر" .

إخوتي في الله ، محاسبة النفس بعد العمل ثلاثة أنواع:

أحدها: محاسبة النفس على عمل أداه هل قصر فيه؟ فلا بد من كل عمل أن يكون خالصا لله تعالى وموافقا لهدي رسول الله ، وأن يحسن في أدائه .

الثاني: أن يحاسب نفسه على كل عمل كان تركه خيراً من فعله .

الثالث: أن يحاسب نفسه على أمر مباح أو معتاد لم فعله؟ وهل أراد به الله والدار الآخرة؟ فيكون رابحاً ، أو أراد به الدنيا وعاجلها؟ فيخسر ذلك الربح ويفوته الظفر به (١٩) .

ولقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى أن محاسبة النفس تكون كالتالي:

أولاً: البدء بالفرائض ، فإذا رأى فيها نقصاً تداركه .

ثانياً: ثم المناهي ، فإذا عرف أنه ارتكب منها شيئاً تداركه بالتوبة والاستغفار والحسنات الماحية .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

ثالثاً: محاسبة النفس على الغفلة ويتدارك ذلك بالذكر والإقبال على الله .

رابعاً: محاسبة النفس على حركات الجوارح ، وكلام اللسان ، ومشي الرجلين ، وبطش اليدين ، ونظر العينين ، وسماع الأذنين ، ماذا أرادت بهذا؟ ولمن فعلته؟ وعلى أي وجه فعلته (١٩) .

معاشر الإخوة ، لمحاسبة النفس فوائد جمة منها:

١ – الاطلاع على عيوب النفس ، ومن لم يطلع على عيب نفسه لم يمكنه إزالته .

٢ – التوبة والندم وتدارك ما فات في زمن الإمكان .

٣ – معرفة حق الله تعالى فإن أصل محاسبة النفس هو محاسبتها على تفريطها في حق الله تعالى .

٤ – انكسار العبد وزلته بين يدي ربه تبارك وتعالى .

٥ – معرفة كرم الله سبحانه وتعالى وعفوه ورحمته بعباده في أنه لم يعجل عقوبتهم مع ما هم عليه من المعاصي والمخالفات .

٦ – مقت النفس والإزراء عليها ، والتخلص من العجب ورؤية العمل .

٧ – الاجتهاد في الطاعة وترك العصيان لتسهل عليه المحاسبة فيما بعد .

٨ – رد الحقوق إلى أهلها ، وحسن الخلق ، وهذه من أعظم ثمرات محاسبة النفس (١٩) .

وهناك أمور تعين الإنسان على محاسبة نفسه منها:

١ – معرفته أنه كلما اجتهد في محاسبة نفسه اليوم استراح من ذلك غداً ، وكلما أهملها اليوم اشتد عليه الحساب غداً .

٢ – صحبة الأخيار الذين يحاسبون أنفسهم ويطلعون على عيوب نفسه ، وترك صحبة من عداهم .

٣ – زيارة القبور والتأمل في أحوال الموتى الذين لا يستطيعون محاسبة أنفسهم أو تدارك ما فاتهم .

٤ – حضور مجالس العلم والوعظ والتذكير فإنها تدعو إلى محاسبة النفس .

٥ – قيام الليل وقراءة القرآن والتقرب إلى الله تعالى بأنواع الطاعات .

٦ – البعد عن أماكن اللهو والغفلة فإنها تنسي الإنسان محاسبة نفسه .

٧ – ذكر الله تعالى ودعاؤه بأن يجعله من أهل المحاسبة والمراقبة .

٨ – سوء الظن بالنفس (١٩) .

أخي الحبيب ، كم صلاة أضعتها؟ كم جمعة تهاونت بها؟ كم صيام تركته؟ كم زكاة بخلت بها؟ كم حج فوته؟ كم معروف تكاسلت عنه؟ كم منكر سكت عليه؟ كم نظرة محرمة أصبتها؟ كم كلمة فاحشة تكلمت بها؟ كم أغضبت والديك ولم ترضهما؟ كم قسوت على ضعيف ولم ترحمه؟ كم من الناس ظلمته أو أخذت ماله؟ (١٩) .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»[١] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٥٨١ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٦١ - التصديق بموعودات الله تعالى ورسوله ﷺ

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع موعودات رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم رضي الله عنه . أخرج البخاري في صحيحه بسنده عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ - أي الفقر - ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ فَقَالَ: «**يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ** - أي بلد مجاورة للكوفة -؟» قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا قَالَ: «**فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ** - أي المرأة المسافرة بمفردها - **تَرْتَحِلُ مِنْ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لَا تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا الله**» قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَّارُ - أي قطاع الطرق - طَيِّئٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا الْبِلَادَ - أي أشعلوا فيها نار الفتنة -!! «**وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى**» قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: «**كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَلْقَيَنَّ الله أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ فَلَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا جَهَنَّمَ**» قَالَ عَدِيٌّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**» قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنْ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ إِلاَّ الله ، وَكُنْتُ فِيمَنْ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ [1] .

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٥٩٥ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

معاشر الإخوة ، هذا الإله العظيم يبشركم في كتابه فيقول: ﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧] ، هكذا بهذه الصياغة العجيبة المعجزة!! والله لو تنزل من آيات البشرى غيرها لكفت!!

هذا الإله القادر المقتدر يتعهد بنصر المؤمنين ، ويجعله حقاً عليه سبحانه ، ليس هذا نصراً في الآخرة فقط بدخول الجنة ، ولكنه نصر في الدنيا كذلك ، قال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١] ، هكذا الوعد: نصر في الدارين ، في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، إن كان هناك مؤمنون ، فلابد لهم من نصر ، هكذا وعد ، وهو سبحانه لا يخلف الميعاد ، واستمعوا إلى قوله تعالى ﴿وَعَدَ الله الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥)﴾ [النور: ٥٥].

فإذا توفر الإيمان والعمل الصالح والعبادة الخالصة دون الشرك به سبحانه ، كان الاستخلاف في الأرض ، وكان التمكين للدين وكان الأمن بعد الخوف .

أيها المسلمون المعتزون برسولهم ﷺ : ألم تسمعوا إلى قول رسولكم وحبيبكم محمد ﷺ في الحديث الذي رواه ثوبان رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ - أي: كنوز الروم - وَالْأَبْيَضَ – أي: كنوز فارس - ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ

بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا – وهذا مشاهد في عصرنا فالقتال عنيف بين الفرق الإسلامية المختلفة – »[1] .

نعم يا إخواني ، سيبلغ ملك المسلمين مشارق الأرض ومغاربها ، بكل ما تحمله الكلمة من معان ، ألم تسمعوا إلي قول مرشدكم وقدوتكم محمد ﷺ وهو يقول في الحديث الذي رواه تميمُ الدَّاري رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: « لَا يَبْقَى عَلَى الْأَرْضِ بَيْتُ مَدَرٍ – أي: بيوت المدن – وَلَا وَبَرٍ – أي: بيوت البادية – إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الْإِسْلَامَ بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ»[2] .

ما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى ، بل اسمع وتأمل إلى ما رواه الإمام أحمد وصححه الألباني عَنْ أَبِي قَبِيلٍ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو ابْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما وَسُئِلَ: أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلاً الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَدَعَا عَبْدُ الله بِصُنْدُوقٍ لَهُ حَلَقٌ قَالَ: فَأَخْرَجَ مِنْهُ كِتَابًا ، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ الله: بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ الله ﷺ نَكْتُبُ إِذْ سُئِلَ رَسُولُ الله ﷺ أَيُّ الْمَدِينَتَيْنِ تُفْتَحُ أَوَّلاً ، قُسْطَنْطِينِيَّةُ أَوْ رُومِيَّةُ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَدِينَةُ هِرَقْلَ تُفْتَحُ أَوَّلًا يَعْنِي قُسْطَنْطِينِيَّةَ»[3] .

والقسطنطينية هي عاصمة الدولة الرومانية الشرقية آنذاك وهي إستانبول الآن ، وروميةَ هي روما ، وكانت عاصمة الدولة الرومانية الغربية ، وكانتا معاقل النصرانية في العالم ، ويفهم من الحديث أن الصحابة كانوا يعلمون منه ﷺ أن هاتين المدينتين ستفتحان ، لكن يسألون أي المدينتين تفتح أولاً فبشر رسول الله بفتح القسطنطينية أولاً ، وقد كان وتحققت البشارة النبوية بعد أكثر من ثمانمائة سنة!! . . وبالضبط في ٢٠ جمادى الأولى سنة ٨٥٧ هجرية ، على يد

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٨٨٩ .
(٢) (صحيح) أخرجه ابن حبان صحيحه ٦٦٩٩ وصححه الألباني في السلسة الصحيحة ٣ .
(٣) (صحيح) أخرجه أحمد ٦٦٤٥ وصححه الألباني في السلسة الصحيحة ٤ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

الفتى العثماني المجاهد محمد الفاتح رحمه الله ، وستحدث البشارة الثانية لا محالة ، وسيدخل الإسلام روما عاصمة إيطاليا إن شاء الله تعالى .

بل وهناك الكثير من المبشرات القرآنية والمبشرات النبوية لا يتسع المقام هنا لذكرها ، ومن أراد التوسع في ذلك فليراجع كتاب (هيا نؤمن ساعة قبل قيام الساعة لنفس المؤلف) ، ومن البشارات النبوية البشارة بقتال أعداء الإسلام وانتصار المسلمين عليهم ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمْ الْمُسْلِمُونَ، حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوْ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ الله هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ**»[1] .

فالاستعلاء اليهودي في الأرض لن يدوم ، ووعد الله متحقق لا محالة ؛ لأن الله لا يخلف وعده ، والمعركة الفاصلة التي يبشر بها النبي ﷺ بين المسلمين واليهود واقعة بإذن الله ، وسيعود اليهود إلى وضعهم الطبيعي الذي كتبه الله عليهم من الذلة والمسكنة وغضب من الله فقد توفرت فيهم أسباب الانحدار والهزيمة ، وسينجز الله للأمة وعده يوم أن يتوفر فيها أسباب النصر ، ولمزيد من المبشرات يمكن الرجوع لكتاب (هيا نؤمن ساعة قبل قيام الساعة لأحمد عبد المتعال) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٩٢٢ .

٦٢- الجهاد في سبيل الله

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، نحن على موعد مع أنس بن النضر ، هذا الصحابي الجليل ، في غزوة أحد ، فعَنْ أَنَس ﷺ قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ ﷺ عَنْ قِتَال بَدْرٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله ، غِبْتُ عَنْ أَوَّل قِتَال قَاتَلْتَ الْمُشْرِكِينَ ، لَئِنْ الله أَشْهَدَنِي قِتَالَ الْمُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ الله مَا أَصْنَعُ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ وَانْكَشَفَ الْمُسْلِمُونَ ، قَالَ: اللهمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ يَعْنِي أَصْحَابَهُ ، وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ ، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ ، فَقَالَ: يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ الْجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ ، قَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رَسُولَ الله مَا صَنَعَ ، قَالَ أَنَسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ ، وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلاَّ أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ ، قَالَ أَنَسٌ كُنَّا نُرَى أَوْ نَظُنُّ أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا الله عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] إلى آخرها [(١)] .

وجهاد الكفار لا يكون من أجل الحمية أو من أجل الشجاعة إنما يكون من أجل أن تكون كلمة لا اله إلا الله هي العليا ، وإذا سأل المؤمن الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه ، فعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ فَمَنْ فِي سَبِيلِ الله؟ قَالَ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله**

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٢٨٠٥ ، ومسلم ١٩٠٣ واللفظ للبخاري .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله» (١) .

وللجهاد في سبيل الله تعالى فضائل لا يتسع المقام لذكرها نكتفي بهذا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : مَا يَعْدِلُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله عز وجل ؟ قَالَ: «لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ» ، قَالَ: فَأَعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا كُلُّ ذَلِكَ يَقُولُ: «لاَ تَسْتَطِيعُونَهُ» وَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «مَثَلُ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ الله لاَ يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلاَ صَلاَةٍ حَتَّى يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الله تَعَالَى» (٢) .

وما لم يجاهد نفسه أولا لتفعل ما أمرها الله به وتترك ما نهاها الله عنه ، ويحاربها في الله ، لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج ، فكيف يمكنه جهاد عدوه والانتصار عليه ، وعدوه الذي بين جنبيه غالب له وقاهر له ، والجهاد له أربع مراتب: جهاد النفس ، والشيطان ، والكفار والمنافقين ، وأصحاب الظلم ، البدع والمنكرات.

أولًا جهاد النفس له أربع مراتب وهي :

وذلك بجهادها على تعلم العلم الشرعي ، وجهادها على العمل به ، وجهادها على الدعوة إليه ببصيرة ، وتعليمه من لا يعلمه ، و جهادها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله ، وأذى الخلق ، وهذا مصداقًا لقوله تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (٣) ﴾ [العصر : ١-٣] .

ثانيًا جهاد الشيطان وله مرتبتان:

جهاده على دفع ما يلقي إلى العبد من الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان ، وجهاده على دفع ما يلقي إليه من الشهوات والإرادات الفاسدة ،

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ١٢٣ ، ومسلم ١٩٠٤ واللفظ للبخاري .

(٢) (صحيح) أخرجه (خ) ٢٧٨٧ و مسلم ١٨٧٨واللفظ لمسلم .

فالجهاد الأول بعد اليقين ، والثاني بعد الصبر ، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ (٢٤) ﴾ [السجدة : ٢٤] .

ثالثًا جهاد الكفار والمنافقين وله أربع مراتب:

بالقلب ، وباللسان ، وبالمال ، وباليد ، وجهاد الكفار أخص باليد ، وجهاد المنافقين أخص باللسان.

رابعًا جهاد أصحاب البدع والمنكرات وله ثلاث مراتب :

باليد إذا قدر المجاهد على ذلك ، فإن عجز انتقل إلى اللسان ، فإن عجز جاهد بالقلب ، وَعَنْ طَارِق بْنِ شِهَابٍ قَالَ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ ﷺ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ رَأَى مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**» [1] .فهذه ثلاثة عشر مرتبة من الجهاد وأكمل الناس عند الله من كمل مراتب الجهاد كلها ، والخلق متفاوتون في منازلهم عند الله تفاوتهم في مراتب الجهاد ، ولهذا كان أكمل الخلق وأكرمهم على الله محمد خاتم أنبيائه ورسله ؛ فإنه كفل مراتب الجهاد وجاهد في الله حق جهاده ،

ومن أهداف جهاد الكفار ما يلي :

١ – إعلاء كلمة الله ، وتبليغ دينه ، ودعوة الناس إليه ، وإخراجهم من الظلمات إلى النور ، قال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) ﴾ [البقرة :١٩٣] .

٢ – نصر المظلومين ، قال تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيراً (٧٥) ﴾ [النساء:٧٥] .

٣ – رد العدوان ، وحفظ الإسلام ، وحماية عقيدة التوحيد ، قال تعالى: ﴿

---

(١) (صحيح) أخرجه النسائي ٥٠٠٨ وصححه الألباني في ص .ج ٦٢٥٠

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤)﴾ [البقرة:١٩٤] .

ولا يمكن أن يكون الجهاد قويا إلا بإعداد قوتين عظيمتين .

١ – قوة الإيمان والعمل الصالح ، كما قال عز وجل: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ(٤٧) ﴾ [الروم :٤٧] ، وقوله: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (٧) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ(٨) ﴾ [محمد : ٧-٨] ، فالقيام بجميع الواجبات والابتعاد عن جميع المحرمات من أعظم أسباب النصر والتمكين .

٢ – إعداد العدة للجهاد حسب الظروف والأحوال ويتناول كل وسيلة يستطيعها المسلمون ، قال الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال:٦٠] .

وينبغي أن يلتزم المجاهدون في سبيل الله تعالى بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ(١٩٠) ﴾[البقرة:١٩٠] ، وذلك بتجنب المثلة والغلول ، وقتل النساء ، والصبيان ، والشيوخ الذين لا رأي لهم ولا قتال ، والرهبان ، والمرضى ، والعمي ، وأصحاب الصوامع ؛ لكن من قاتل من هؤلاء أو استعان الكفار برأيه قتل ، ويدخل في ذلك قتل الحيوان لغير مصلحة ، وتحريق الأشجار ، وإفساد الزروع والثمار ، والمياه ، وتلويث الآبار ، وهدم البيوت ، وإذا كان بين المسلمين والكفار عهد أو أمان فلا يجوز للمسلمين الغدر حتى ينقضي الأمد ، فإن خاف المسلمون من أعدائهم خيانة ، بأن ظهر من قرائن أحوالهم ما يدل على خيانتهم من غير تصريح منهم بالخيانة ، فحينئذ يخبرهم المسلمون أنه لا عهد بيننا وبينكم (٤٥) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٦٣- الرد على شبهة أن الإسلام هو دين الإرهاب

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، إن تاريخ الإسلام شاهد على أن المسلمين لم يكرهوا أحدا في أي فترة من فترات التاريخ على ترك دينه ، فلم يعرف في تاريخ المسلمين الطويل أنهم ضيقوا على اليهود والنصارى أو غيرهم أو أنهم أجبروا أحدا من أي طائفة من الطوائف اليهودية أو النصرانية على اعتناق الإسلام ، يقول توماس آرنولد: "لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام غير المسلمين على قبول الإسلام أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي".

لقد كان عهد الخلفاء الراشدين امتدادا لعهد النبي ﷺ وشهد صورا من سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين من إعانتهم بالمال أو النفس عند الحاجة ، ومن كفالة العاجز منهم عن العمل أو كبير السن ، وغير ذلك . وهذا هو ما سار عليه الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم في صدر الإسلام في معاملتهم لأهل الذمة ، وأسوق هنا بعض الشواهد والأمثلة التي تبين سماحة الصحابة رضي الله عنهم في معاملة غير المسلمين .

١ – جاء في الموسوعة في سماحة الإسلام أنه في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه كتب خالد بن الوليد رضى الله عنه في عقد الذمة لأهل الحيرة بالعراق – وكانوا من النصارى -: "وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل ، أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت جزيته وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله".

٢ – وكان أبو بكر رضي الله عنه يوصي الجيوش الإسلامية بقوله: "وستمرون على قوم في الصوامع رهبانا يزعمون أنهم ترهبوا في الله فدعوهم ولا تهدموا

صوامعهم" (٤٤) .

٣ – وأوصى عمر ﷺ الخليفة من بعده فقَالَ: وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ الله وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ وَأَنْ لاَ يُكَلَّفُوا فَوْقَ طَاقَتِهِمْ [1] .

٤ – ومن صور السماحة في المعاملة ما روي عن عمر ﷺ أنه لما قدم الجابية من أرض الشام استعار ثوبا من نصراني فلبسه حتى خاطوا قميصه وغسلوه وتوضأ من جرة نصرانية . وصنع له أهل الكتاب طعاما فدعوه فقال: أين هو؟ قالوا: في الكنيسة ، فكره دخولها وقال لعلي رضى الله عنه: اذهب بالناس فذهب عليٌّ رضى الله عنه بالمسلمين فدخلوا فأكلوا وجعل علي رضى الله عنه ينظر إلى الصور وقال: ما على أمير المؤمنين لو دخل فأكل (٨) .

٥ – وصلى سلمان وأبو الدرداء في بيت نصرانية فقال لها أبو الدرداء رضى الله عنه: هل في بيتك مكان طاهر فنصلي فيه؟ فقالت: طهرا قلوبكما ثم صليا أين أحببتما ، فقال له سلمان ﷺ : خذها من غير فقيه (٨) .

٦ – وجاء في صفة الصفوة أن عمر بعث عميرا عاملا على حمص فمكث حولا لا يأتيه خبره ولم يبعث له شيئا لبيت مال المسلمين ، فقال عمر لكاتبه: اكتب إلى عمير فوالله ما أراه إلا قد خاننا ، إذا جاءك كتابي هذا فأقبل وأقبل بما جبيت من فيء المسلمين حين تنظر في كتابي هذا . فأخذ عمير – لما وصله كتاب عمر – جرابه فوضع فيه زاده وقصعته وعلق إداوته وأخذ عنزته – أي عصاه – ثم أقبل يمشي من حمص حتى قدم المدينة فقدم وقد شحب لونه واغبر وجهه فدخل على عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله . قال عمر: ما شأنك؟ قال: ما تراني صحيح البدن ظاهر الدم ، معي الدنيا أجرها بقرونها؟ قال عمر: وما معك؟ وظن عمر أنه جاءه بمال . قال: معي جرابي أجعل فيه

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ١٣٩٢ .

زادي ، وقصعتي آكل فيها وأغسل فيها رأسي وثيابي وإداوتي أحمل فيها وضوئي وشرابي ، ومعي عنزتي – أي عصاتي – أتوكأ عليها وأجاهد بها عدوا إن عرض لي ، فوالله ما الدنيا إلا تبع لمتاعي . وسأله عمر عن سيرته في قومه وعن الفيء فأخبره ، فحمد فعله فيهم ثم قال:جددوا لعمير عهدا .

قال عمير: إن ذلك شيء لا أعمله لك ولا لأحد بعدك ، والله ما سلمت بل لم أسلم ، لقد قلت لنصراني: أخزاك الله ، فهذا ما عرضتني له يا عمر ، وإن أشقى أيامي يوم خلفت معك (٣٧) .

ولقد عظم على عمير قوله لرجل من غير المسلمين: أخزاك الله ، وهو دعاء ، وما ذكر خطأ اقترفه في ولايته على حمص أعظم من هذا ، وفي ذلك دليل على أن هذا الدين ما جاء إلا بالرحمة والهداية وإنقاذ البشر من الضلال إلى الهدى ومن ظلمات الكفر إلى نور الطاعة ، ولا عجب فمن مدرسة النبوة تخرج هذا الصحابي وغيره ، ممن لا يؤذون الناس بل يغمرونهم بعطفهم ورحمتهم وسماحتهم وإحسانهم ، ولذا قال عنه عمر: وددت أن لي رجلا مثل عمير بن سعد أستعين به على أعمال المسلمين (٣٧) .

٧ – وعن مجاهد قال: كُنْتُ عِنْدَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما وَغُلَامُهُ يَسْلُخُ شَاةً فَقَالَ: يَا غُلَامُ إِذَا فَرَغْتَ فَابْدَأْ بِجَارِنَا الْيَهُودِيِّ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: الْيَهُودِيُّ أَصْلَحَكَ اللهُ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يوصى بالجار حتى خشينا أو رُؤينا أنه سَيُورِّثُه [١] .

٨ – وفي خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى كتب إلى عدي بن أرطأة: وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه وضعفت قوته وولت عنه المكاسب فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه (٦) .

---

(١) (صحيح) أخرجه الأدب المفرد ١٢٨ وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ٩٥/١٢٨ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٩ – وهذه شهادة من نصارى الشام في صدر الإسلام حيث كتب النصارى في الشام سنة ١٣هـ إلى أبي عبيدة بن الجراح رضى الله عنه يقولون: "يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا على ديننا أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا" (٤٣).

واستمر هذا النهج في معاملة غير المسلمين عبر تاريخ الإسلام (٣٠).

١٠ – وهذه كلمة بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية البابا شنودة الثالث أمام الرئيس محمد أنور السادات : أريد أن أذكر أن الإسلام في جوهره وروحه وفي أساسه يعامل غير المسلمين معاملة طيبة ، نذكر من هذا الميثاق الذي أعطي لنصارى نجران ، . .والوصية التي قدمها الخليفة الإمام عمر بن الخطاب قبل موته ، . . والميثاق الذي أعطاه خالد بن الوليد لأهل دمشق ، والميثاق الذي أعطاه عمرو بن العاص لأقباط مصر وأذكر أيضا العبارة الإسلامية الجميلة **استوصوا بالقبط خيرا فإن لنا فيهم نسبا ورحما** ، وأذكر الحديث الشريف **من آذى ذميا فليس منا، العهد لكم ولأبنائكم عهداً أبديا لا ينفذ يتولاه ولي الأمر ويرعاه** . وأذكر أيضا سماحة الإسلام ذلك الشرع الجميل الذي يقول: وإن أتاك أهل الذمة فاحكم بينهم بما يدينون ، وهكذا أعطى الإسلام حرية الدين لغير المسلمين . أذكر أيضا في سماحة الإسلام في عهوده ومواثيقه للمسيحيين في كنائسهم وصوامعهم . . وأملاكهم وأرواحهم وكل شيء ، أذكر أن عمرو بن العاص عندما أتى مصر كان بطريرك مصر البابا بنيامين البطريرك الثامن والثلاثون معزولاً منفيًا ، وكان مختلفا مع إخوانه المسيحيين المختلفين عنه في الإيمان ثلاثة عشر عاما لم يجلس على كرسيه ، فلما أتى عمرو بن العاص أمنه على نفسه وعلى كنائسه ، والكنائس التى أخذها منه الروم أرجعها إليه ، بل ساعده أيضا في بناء كنيسة في الإسكندرية .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٦٤- الرد على شبهة أن الإسلام نشر بالسيف

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، يقول الأستاذ محمد السيد عبد الرازق: وهذا الاتهام الإسلام منه بريء فقد احترم الإسلام حرية الاعتقاد ، وقاتل من أجلها ، وجعل الأساس في الاعتقاد أن يكون بالاختيار الحر الخالي من كل إكراه ، ونصوص الكتاب والسنة وواقع المسلمين قديما وحديثا يؤكد على أن الإسلام لا يجبر أحدا على تغيير عقيدته ، انظر إلى قول الله تعالى ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩] وقوله تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦] وقوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ(٦)﴾ [الكافرون: ١ - ٦] ، ولماذا نذهب بعيدا ، فقد أجريت دراسة صدرت مؤخرا بعنوان: "انتشار الإسلام بحد السيف بين الحقيقة والافتراء" لأحد المنصفين ، وهو الباحث النصراني المصري الدكتور "نبيل لوقا بباوى" أثبت فيها براءة الإسلام من تهمة نشر الإسلام بالقوة ، وهدفت الدراسة إلى عقد مقارنة بين هذا الاضطهاد الديني الذي وقع على المسيحيين الأرثوذكس من قبل الدولة الرومانية ومن المسيحيين الكاثوليك وبين الذي حققته الدولة الإسلامية في مصر ، وحرية العقيدة الدينية التي أقرها الإسلام لغير المسلمين وتركهم أحراراً في ممارسة شعائرهم الدينية داخل كنائسهم ، وتطبيق شرائع ملتهم في الأحوال الشخصية ، مصداقا لقوله تعالى ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦] ، وتحقيق العدالة والمساواة في الحقوق والواجبات بين المسلمين وغير المسلمين في الدولة الإسلامية إعمالا للقاعدة الإسلامية "لهم ما لنا

وعليهم ما علينا"، وهذا يثبت أن الإسلام لم ينتشر بالسيف والقوة لأنه تم تخيير غير المسلمين بين قبول الإسلام أو البقاء على دينهم مع دفع الجزية ضريبة الدفاع عنهم وحمايتهم وتمتعهم بالخدمات، فمن اختار البقاء على دينه فهو حر.. وقد كان في قدرة الدولة الإسلامية أن تجبر المسيحيين على الدخول في الإسلام بقوتها، أو أن تقضي عليهم بالقتل إذا لم يدخلوا في الإسلام قهراً، ولكن الدولة الإسلامية لم تفعل ذلك تنفيذا لتعاليم الإسلام ومبادئه، فأين دعوى انتشار الإسلام بالسيف؟

كما أن الجزية التي فرضت على غير المسلمين في الدولة الإسلامية بموجب عقود الأمان التي وقعت معهم، إنما هي ضريبة دفاع عنهم في مقابل حمايتهم والدفاع عنهم من أي اعتداء خارجي، لإعفائهم من الاشتراك في الجيش الإسلامي حتى لا يدخلوا حرباً يدافعون فيها عن دين لا يؤمنون به.

والجزية كانت نظير التمتع بالخدمات العامة التي تقدمها الدولة للمواطنين مسلمين وغير مسلمين، والتي ينفق عليها من أموال الزكاة التي يدفعها المسلمون بصفتها ركناً من أركان الإسلام، وهذه الجزية لا تمثل إلا قدرا ضئيلا متواضعاً لو قورنت بالضرائب الباهظة التي كانت تفرضها الدولة الرومانية على المسيحيين في مصر، ولا يعفى منها أحد، في حين أن أكثر من ٧٠٪ من الأقباط الأرثوذكس كانوا يعفون من دفع هذه الجزية؛ فقد كان يعفى من دفعها: القصر والنساء والشيوخ والعجزة وأصحاب الأمراض والرهبان.

وجاء في كتاب (سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين) للدكتور عبد الله اللحيان، أن خصوم الإسلام بهر عقولهم وأخذ بألبابهم ما رأوا من سماحة هذا الدين وتيسيره وما رأوا من سلوك أهله، فاستجابت نفوس الكثيرين إليه وإلى أهله وإن لم يؤمنوا به، فدون التاريخ شهاداتهم له ولأهله بحسن المعاملة والسماحة العظيمة، ونذكر من ذلك ما يلي: -

١ - تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه: "العرب لم يفرضوا على

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

الشعوب المغلوبة الدخول في الإسلام فالمسيحيون والزرادشتية واليهود الذين لاقوا قبل الإسلام أبشع أمثلة للتعصب الديني وأفظعها سمح لهم جميعا دون أي عائق يمنعهم بممارسة شعائر دينهم وترك المسلمون لهم بيوت عبادتهم وأديرتهم وكهنتهم وأحبارهم دون أن يمسوهم بأدنى أذى ، أو ليس هذا منتهى التسامح؟ ومن ذا الذي لم يتنفس الصعداء بعد الاضطهاد البيزنطي الصارخ وبعد فظائع الإسبان واضطهاد اليهود . إن السادة والحكام المسلمين الجدد لم يزجوا أنفسهم في شئون تلك الشعوب الداخلية . فبطريرك بيت المقدس يكتب في القرن التاسع لإخيه بطريرك القسطنطينية عن العرب: إنهم يمتازون بالعدل ولا يظلموننا ألبتة وهم لا يستخدمون معنا أي عنف" (٣٦) .

٢ - يقول غوستاف لوبون: فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب ولا دينا سمحا مثل دينهم (٢١) . ويتحدث عن صور من معاملة المسلمين لغير المسلمين فيقول: وكان عرب أسبانيا خلال تسامحهم العظيم يتصفون بالفروسية المثالية فيرحمون الضعفاء ويرفقون بالمغلوبين ويقفون عند شروطهم وما إلى ذلك من الخلال التي اقتبستها الأمم النصرانية بأوربا منهم مؤخرا (٢١) .

٣ - ويقول هنري دي شامبون مدير مجلة "ريفي بارلمنتير" الفرنسية قال: فنحن مدينون للمسلمين بكل محامد حضارتنا في العلم والفن والصناعة مدعوون ، لأن نعترف بأنهم كانوا مثال الكمال البشري في الوقت الذي كنا فيه مثال الهمجية (٣٨) .

٤ - ويقول المستشرق دوزي: "إن تسامح ومعاملة المسلمين الطيبة لأهل الذمة أدى إلى إقبالهم على الإسلام وأنهم رأوا فيه اليسر والبساطة مما لم يألفوه في دياناتهم السابقة" (١٣) .

٥ - ويقول المستشرق بارتولد: "إن النصارى كانوا أحسن حالا تحت حكم المسلمين إذ أن المسلمين اتبعوا في معاملاتهم الدينية والاقتصادية لأهل الذمة

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

مبدأ الرعاية والتساهل "(١٣) .

٦ – ويقول المستشرق ديورانت: "لقد كان أهل الذمة المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون يستمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرا في البلاد المسيحية في هذه الأيام "(٤٦) .

٧ – ويقول بول فندلي وهو عضو سابق في الكونجرس الأمريكي: على المسلمين الإعلان جهرا عن هويتهم الإسلامية والبحث عن وسائل تمكنهم من عرض حقيقة دينهم على غير المسلمين . . ولا يجدر بهم انتظار حدوث أزمة كي يعلموا الآخرين بحقيقة دينهم . . لا بد للمسلمين أن يجاهروا بإسلامهم مجاهرة يكون سلوكهم الحسن معها وإنجازاتهم المجدية سبيلا للتعرف على الإسلام (٥٠) .

٨ – يقول إدوار غالي الدهبي: لقد كانت سماحة الإسلام سببا في إسلام الشاعر الأمريكي رونالد ركويل فقال بعد أن أشهر إسلامه: لقد راعني حقا تلك السماحة التي يعامل بها الإسلام مخالفيه سماحة في السلم وسماحة في الحرب ، والجانب الإنساني في الإسلام واضح في كل وصاياه .

إن عظمة هذا الدين لا تخفى إلا على من جهل حقيقة الإسلام أو عميت بصيرته عنه أو كان به لوثة من هوى أو حقد مقيت ، وإلا فإن سماحة الإسلام في المعاملة وتيسيره في كل أموره ، ظاهر بأدنى تأمل لمن طلب الحق وسعى إلى بلوغه ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون (٣٠) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٦٥ - الفتوحات الإسلامية كانت دليلا على عظم الإسلام

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، جاء في الموسوعة العربية العالمية أن الفتوح الإسلامية جاءت لنشر الإسلام عن طريق الدعوة والقدوة أو عن طريق القتال لمن صدَّ وأبى وأظهر العداوة . فطبيعة الإسلام تقتضي دخوله تلك الديار سلمًا عن طريق الدعوة والقدوة الحسنة ، فإذا رفض أصحاب تلك البلاد الإسلام والتعايش مع النظام الإسلامي ؛ أمر الخليفة المسلمين بفتحها . ولقد تكثفت هذه الفتوح في عصر صدر الإسلام .

كان من أهداف هذه الفتوحات حماية الدعوة من عدوان خصومها ، سواء أكانوا من عرب الجزيرة نفسها ، أم من خارجها ، كالفرس والروم .

توخَّت تلك الفتوحات أيضًا تخليص الشعوب من طغاتها الظالمين ومن أوضاعها الدينية والاجتماعية السيئة . وقضت على الحق الذي كان يزعمه الملوك والرؤساء لأنفسهم من أن مشيئتهم هي مشيئة الله وأن الخضوع لهم خضوع لله . فعندما سأل رستم قائد الفرس في معركة القادسية ربعي بن عامر مبعوث سعد بن أبي وقاص إليه عن سبب مجيء المسلمين إلى العراق ، قال ربعي: ‚الله جاء بنا ، وهو بعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسل رسوله بدينه إلى خلقه ، فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه ، ومن أبى قاتلناه حتى نُفضي إلى الجنة ، أو الظفر٬ .

وعندما سأله رستم إن كان هو زعيم المسلمين ، فردّ بقوله: ‚لا ، ولكن المسلمين كالجسد الواحد ، بعضهم من بعض ، يجير أدناهم على أعلاهم٬ ،

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

وتعجب رستم من كلامه .

أرادت الأمة الإسلامية أن تنقل مُثُلَها التحررية إلى الشعوب المضطهدة ، تلك المثل التي نلمحها في قول واحد من عامة الناس لعمر بن الخطاب وعلى ملأ من الناس ، ,والله لو رأينا فيك اعوجاجًا لقَّومناه بسيوفنا٠ ، وقيل مثل هذا لأبي بكر من قبل . وقال آخر لعمر: لا نسمع ولا نطيع٠ ، وذلك حين رأى عليه ثوبًا لم يعلم مصدره ، بل ظن أنه من مال الدولة ، ولم يترفع عمر عن بيان مصدر ثوبه الثاني . ولو كان حكام المسلمين مثل حكام الروم لما أمر عمر بأن يقتصّ ابن قبطي مصري من ولد واليه على مصر عَمْرو بن العاص وفي ملأ من الناس ، وطلب من الغلام القبطي المظلوم أن يضرب عَمْرًا على صلعته ، لأن ابنه تجرأ على الظلم لمكانة والده ، وخاطب عمْرًا بكلمات خالدة: ,متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟٠ . وكان الروم يسومون أهل مصر سوء العذاب ، ولا يتجرأ أحد على رفع شكايته إلى رئيس الدولة .

ويعترف أحد المستشرقين وهو توماس آرنولد في كتابه (الدعوة إلى الإسلام): بأن القبائل النصرانية اعتنقت الإسلام عن اختيار وإرادة حرة ، ويذكر أن النصارى كتبوا إلى المسلمين العرب يقولون لهم: ,يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم ، وإن كانوا على ديننا ، أنتم أرأف بنا وآنف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا٠ .

لقد كانت الفتوحات الإسلامية حروبًا أخلاقية تقيدت بمبادئ الحق والعدالة والرحمة مع المغلوبين والمحاربين . وتمثل شيء من ذلك في عمر بن عبد العزيز فإنه حين وُلِّيَ الخلافة ، وفد عليه قوم من أهل سمرقند فرفعوا إليه أن قتيبة بن مسلم دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين بغير حق ، فكتب عمر إلى عامله بأن ينصِّب لهم قاضيًا ينظر فيما ذكروا ، فإن قضى بإخراج المسلمين ، أخرجوا ، فنصَّب لهم جميع بن حاضر الباجي قاضيًا ، فحكم بإخراج المسلمين ، على أن ينذرهم قائد الجيش الإسلامي بعد ذلك ، وينابذهم وفقًا لمبادئ الحرب

في الإسلام . ولكن أهل سمرقند كرهوا الحرب ، وأقروا المسلمين للإقامة بين أظهرهم .

ولم يستغل الفاتحون سلطانهم لقهر الأمم التي غلبوها ، يقول المستشرق روبنسون: ,إن أتباع محمد وحدهم هم الذين جمعوا بين معاملة الأجانب بالحسنى ، وبين محبتهم لنشر دينهم ، وكان من أثر هذه المعاملة الحسنة أن انتشر الإسلام بسرعة ، وعلا قدر رجاله الفاتحين بين الأمم المغلوبة ، وأدت هذه المعاملة إلى انحسار ظل النصرانية عن شمالي إفريقيا' . ويقول دوابر: ,إن العرب عاملوا اليهود في الأندلس أحسن معاملة . وعندما طرد النصارى العرب من الأندلس لم يطيقوا إبقاء اليهود ، فدبروا لهم تهمًا ، وأحرقوا عشرة آلاف يهودي في مدى عشر سنوات ، واعترف البطريرك النسطوري إبشوياف الثالث إلى سيمون أسقف آردشير ، بأن العرب لم يهاجموا العقيدة النصرانية ، وأنهم يعطفون على دينهم ، ويكرمون قِدِّيسيهم ، ويساعدون الكنائس والأديرة' .

كما كانت الفتوحات الإسلامية أيضًا حروبًا تهدف إلى نشر الدين الإسلامي بالحسنى ، ومن منطلق سامٍ ، بعيدًا عن الماديات ، وذلك بدلالة ما وقع في أحداث الفتح الإسلامي من قضايا التّعفّف عند الغنيمة وأداء الأمانات والإخلاص لله ما يعجز التاريخ البشري عن إبراز نظائره . جاء في تاريخ الطبري أنه لما هبط المسلمون المدائن عاصمة الفرس وجمعوا الغنائم ، أقبل رجل بحُق معه ، فدفعه إلى المسؤول عن حصر الغنائم . فقال الذين معه: ما رأينا مثل هذا قط ، ما يعدله ما عندنا ولايقاربه ، فسألوه إن كان قد أخذ منه شيئًا ، فقال: أما والله لولا الله ما أتيتكم به ، ورفض أن يفصح عن اسمه ، حتى لا يُعرف فيُحمد ، لأنه يريد حمد الله وثوابه ، وليس حَمْد الناس . وأرسلوا وراءه رجلاً خِلْسةً ليعرفه ، فعرفه من أصحابه ، فإذا هو عامر بن عبد قيس رضي الله عنه .

ودخل عمر ذات يوم على أبي عبيدة أبرز قواد فتح الشام فلم ير في منزله

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

إلا لَبَدًا (حشايا من شعر أو صوف) وإناء وقربة ماء بالية ، وسأله طعامًا ، فأخرج له من سلة منشأة بالجلْد صغيرة كُسَيْرات ، فبكى عمر وقال: ,غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة· . والذي يقف على سيرة عمر في الزهد يعرف دلالة عبارته لأبي عبيدة . وأرسل إليه عمر أربعمائة دينار ، وسأل من أرسله أن يقف على ما يفعل بها ، فجاءه الخبر بأنه وزعها كلها على المحتاجين ، وأرسل مثلها إلى معاذ بن جبل ، ، فوزَّعها إلا القليل منها ، أعطاه زوجته لحاجتها . فقال عمر لما أخبر بهذا: ,الحمد لله الذي جعل في الإسلام من يصنع هذا· .

وعندما أرسل المقوقس حاكم مصر بعض رجاله ليتعرفوا له على أحوال الجيش الإسلامي الذي يحاصر حصن بابليون ، عادوا ليقولوا له: ,رأينا قومًا الموت أحب إليهم من الحياة ، والتواضع أحب إليهم من الرِّفْعة . . . ليس لأحد منهم في الدنيا رغبة ولا نهمة ، جلوسهم على التراب ، وأميرهم كواحد منهم ، ما يُعرف كبيرهم من صغيرهم ، ولا السيد فيهم من العبد .

بهرت مثل هذه المواقف والأحوال بعض المنصفين من المستشرقين ، بل يقول بعض متعصّبيهم لغير الإسلام ، وهو ستانلي في كتابه (العرب في أسبانيا): ,إنَّ تحمس العرب للفتوح كان يؤجِّجه عنصر قوي من الرغبة في نشر الدين· . وقد ذكرنا من قبل شهادة روبنسون من أن العرب كانوا يحبون نَشْر دينهم .(٧٠) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٦٦ - الرد على شبهة تعدد الزوجات في الإسلام

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، تقول الصحفية الإنجليزية روز ماري هاو: "إن الإسلام قد كرم المرأة وأعطاها حقوقها كإنسانة ، وكامرأة ، وعلى عكس ما يظن الناس من أن المرأة الغربية حصلت على حقوقها . . فالمرأة الغربية لا تستطيع مثلاً أن تمارس إنسانيتها الكاملة وحقوقها مثل المرأة المسلمة . فقد أصبح واجباً على المرأة في الغرب أن تعمل خارج بيتها لكسب العيش . أما المرأة المسلمة فلها حق الاختيار ، ومن حقها أن يقوم الرجل بكسب القوت لها ولبقية أفراد الأسرة . فحين جعل الله للرجال القوامة على النساء كان المقصود هنا أن على الرجل أن يعمل ليكسب قوته وقوت عائلته . فالمرأة في الإسلام لها دور أهم وأكبر من مجرد الوظيفة ، وهو الإنجاب وتربية الأبناء ، ومع ذلك فقد أعطى الإسلام للمرأة الحق في العمل إذا رغبت هي في ذلك ، وإذا اقتضت ظروفها ذلك .

ويصر البعض على أن الإسلام ظلم المرأة حين أباح للرجل أن يتزوج عليها ، وفي هذا إضرار بمصلحتها ، فالإسلام حين يبيح للرجل التعدد ؛ فإنما يسيجه بجملة من الضوابط ، وهو يشرعه لأمر واقعي ملموس ، وهو حاجة بعض الأزواج إلى الزواج بغير زوجته لمرضها أو لعدم قدرتها على الإنجاب ، أو لغير ذلك من الأسباب ، فتزوج الزوج بأخرى أولى من طلاق الأولى ليتزوج بغيرها ، وأولى أيضاً من العلاقة المحرمة خارج نطاق الزوجية ، فالتعدد المشروع يغلق الباب أمام تعدد العشيقات غير المشروع الذي يجتاح المجتمعات الإنسانية التي تمنع تعدد الزوجات ، واستبدلته بتعدد العشيقات ، إن البشرية لا غناء لها عن تعدد الزوجات إذا شاءت أن تحيي حياة العفة والطهر (٢٠) .

جاء في (مجلة البيان) الجزء الثامن : كما أن الإسلام الذي أباح للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة إلى أربع نسوة ، اشترط توفر العدل بين الزوجات . وقد زعم أعداء الإسلام أن في ذلك إهانة للمرأة . وللرد على ذلك نشير إلى عدة أمور هي:

١ – الإسلام أباح التعدد ولم يأمر به أو يحث عليه ، وفرقٌ بين إباحة الشيء والأمر به ، فالإسلام أباح التعدد حلاً لكثير من المشاكل الاجتماعية التي تحصل من جرَّاء منع التعدد وتحريمه .

٢ – اشتراط الإسلام العدل بين الزوجات في الإنفاق والمعاملة . فمن يتزوج بأكثر من واحدة ولم يعدل بين زوجاته كان آثماً في عمله كله . يقول تعالى: ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وثُلاثَ ورُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء: ٣] ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ يَمِيلُ مَعَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَحَدُ شِقَّيْهِ سَاقِطٌ» [(١)] .

٣ – عندما تكون الزوجة عقيماً ، فالتعدد حلٌ لمشكلتها مع زوجها الذي قد يرغب بإنجاب الأولاد ، ولاشك أن زواج زوجها بأخرى مع بقائها معه خيرٌ لها من أن يطلقها ويتزوج بأخرى .

٤ – عندما تكون الزوجة مريضة أو غير قادرة على القيام بواجباتها تجاه زوجها إما لمرض جسمي أو غيره ، فإن زواج زوجها بأخرى مع بقائها معه خير لها من فراقها وهي على هذه الحالة .

٥ – عندما تكون نسبة النساء في مجتمعٍ ما أكثر من نسبة الرجال ، لحروبٍ طحنت الرجال أو لغيرها من الأسباب ، فإنه لا يوجد حل لمشكلة ذلك المجتمع وحفظه من براثن الفساد والفتن سوى التعدد .

---

(١) (صحيح) أخرجه ابن ماجه ١٩٦٩ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٥١٥ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٦ – وأخيراً فإن الإسلام قد جاء والتعدد كان نظاماً اجتماعياً معروفاً عند العرب وغيرهم من الأمم الأخرى ، وكان بدون تحديد لعدد معين ، فجعله الإسلام لا يزيد على أربع زوجات واشترط العدل بينهن حفظاً لحقوقهن .

معاشر الإخوة ، تقول الزعيمة العالمية أني بيزانت: كثيرًا ما يرد على فكري أن المرأة في الإسلام أكثر حرية من غيره ، فالإسلام يحمي حقوق المرأة أكثر من الأديان الأخرى التي تحظر تعدد الزوجات ، وتعاليم الإسلام بالنسبة للمرأة أكثر عدالة ، وأضمن لحريتها ، فبينما لم تنل المرأة حق الملكية في إنكلترا إلا منذ عشرين سنة فقط ، فإننا نجد أن الإسلام قد أثبت لها هذا الحق منذ اللحظة الأولى ، وإن من الافتراء أن يقال: إن الإسلام يعتبر النساء مجردات من الروح .وتقول أيضا: متى وزنَّا الأمور بقسطاس العدل المستقيم ظهر لنا أن تعدد الزوجات الإسلامي الذي يحفظ ويحمي ويغذي ويكسو النساء أرجح وزنا من البغاء الغربي الذي يسمح بأن يتخذ الرجل امرأة لمحض إشباع شهواته ، ثم يقذف بها إلى الشارع متى قضى منها أوطاره .

الإخوة الفضلاء ، بخصوص تعدد زوجات النبي ، قال الأستاذ سعيد أيوب في كتابه (زوجات النبي) فيما مختصره: كان تعدد الزوجات سنة جارية على امتداد المسيرة البشرية ، لذا فإن الإسلام شرع التعدد وجعل له الضوابط والشروط .

ولقد كان التعدد بالنسبة لرسول الله ﷺ وسيلة من وسائل تشريع القوانين فلقد خرجت أحاديث عن أمهات المؤمنين تبين حركة الرسول وسكونه في بيته ، ورويت الأحاديث التي تبين قمة العدل والقسط بين النساء ، وتبين حسن معاشرتهن ورعاية جانبهن ، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ الله وَالْحِكْمَةِ إِنَّ الله كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً (٣٤)﴾ [الأحزاب:٣٤] .

والنبي ﷺ تزوج ببعض هؤلاء الزوجات للقوة ، وببعض هؤلاء استمالة للقلوب وتوقيا من بعض الشرور ، وببعض هؤلاء ليقوم على أمرها بالإنفاق

وإدارة المعاش وليكون سنة جارية بين المؤمنين في حفظ الأرامل والعجائز من المسكنة والضيعة ، وببعضها لتثبيت حكم أو لهدم البدع الجارية بين الناس ، كما في تزوجه بزينب بنت جحش رضي الله عنها ، وقد كانت زوجة لزيد بن حارثة رضي الله عنه ثم طلقها زيد وقد كان يدعي زيد بن محمد على نحو التبني ، وكانت زوجة المدعو ابنا عندهم كزوجة الابن الصلبي لا يتزوج بها الأب ، فأبطل الإسلام ذلك ، ونلاحظ أنه تزوج أول ما تزوج بخديجة رضي الله عنها ، وعاش معها مقتصرا بضعا وعشرين سنة ، وبعد وفاتها تزوج بسودة بنت زمعة رضي الله عنها وقد توفي عنها زوجها بعد الرجوع من هجرة الحبشة ، وكانت سودة رضي الله عنها مؤمنة مهاجرة ، ولو رجعت إلى أهلها وهم يومئذ كفار لفتنوها كما فتنوا غيرها من المؤمنين والمؤمنات بالزجر والقتل والإكراه على الكفر .

فمن قال: إن تعدد الزوجات لا يخلو من الانقياد لداعي الشهوة ، فأين هذا الانقياد وهذا الداعي؟ ، فإنه بنى بالثيب قبل البكر ، وبالعجوز قبل الفتاة الشابة ، فقد بنى بسودة بنت زمعة وهي مسنة ، وبنى بزينب بنت جحش وسنها يومئذ يقرب على الخمسين بعدما تزوج بمثل عائشة وأم حبيبة ، بالإضافة إلى ذلك فلقد خير رسول الله ﷺ نساءه بين التمتيع والسراح الجميل وهو الطلاق إن كن يردن الدنيا وزينتها ، وبين الزهد في الدنيا إن كن يردن الله ورسوله والدار الآخرة ، فهذا المعنى لا ينطبق على حال رجل مغرم بجمال النساء صاب إلى وصالهن ، كما أن الكفار والمشركين والمنافقين لم يعترضوا على رسول الله ﷺ بتعدد زوجاته على الرغم من أنهم كانوا يتربصون به الدوائر ، وعدم احتجاجهم يعود إلى معرفتهم بأنه ﷺ له مختصات منعت عنها الأمة .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٦٧- الرد على شبهة حجاب المرأة المسلمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، لقد كرم الإسلام المرأة بأن جعلها مربية للأجيال ، وربط صلاح المجتمع بصلاحها ، وفرض عليها الحجاب ليحفظها من الأشرار ، ويحفظ المجتمع من سفورها ، والحجاب يُبقي المودة والرحمة بين الزوجين ، فالرجل عندما يرى امرأة أجمل من زوجته تسوء العلاقة بينهما ، وربما يؤدي ذلك إلى الفراق ، وقد ورد ذكر الحجاب في القرآن الكريم .

قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩] .

معاشر الإخوة والأخوات: يمكن تعويد الفتاة على إرتداء الحجاب رويدا رويدا منذ السابعة من عمرها ولكن تلتزم بارتداء الحجاب الشرعي عند البلوغ أى نزول دم الحيض أو خروج شعر العانة أو وصول سنها خمسة عشر عاما أيهم أول ، ومن شروط الحجاب أن يكون ساترا للجسم ولايظهر من الجسم شيئا إلا ماتحتاجه للتمكن من المسير - وإن كان بعض العلماء قد رخص في كشف الوجه واليدين - وعلى كل حال فيجب أن يكون لبس المرأة فضفاضا غير شفاف وليس بزينة لأن الحجاب الهدف منه هو ستر زينة المرأة الظاهرة والباطنة ، وينبغي للمرأة ألا تخرج متعطرة وتلزم بيتها إلا للضرورة .

وقال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ الله وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب:٣٣] ، وينبغي عليهن عدم لبس الأحذية ذات الكعب الذى يصدر منه صوت عند السير .

والمرأة مأمورة بستر عورتها عن كل أحد ؛ إلا عن زوجها ، وتستر عورتها عن النساء كما تسترها عن الرجال ؛ ولا يجوز للمرأة أن تلبس القصير من الثياب أمام أولادها ومحارمها ، ولا تكشف عندهم إلا ما جرت العادة بكشفه عن النساء ؛ كالوجه واليدين والقدمين ؛ مما تدعو الحاجة إلى كشفه ، ولا يجوز للمرأة أن تنظر لعورة المرأة ولو كانت ابنتها إذا بلغت ابنتها سن الحلم . وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: « **لاَ يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلاَ الْمَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ الْمَرْأَةِ، وَلاَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ وَلاَ تُفْضِي الْمَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ**»(١) .

ولقد ثبت في السنة الصحيحة أن من أصناف النار النساء الكاسيات العاريات ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ** – أي: تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهارا لجمالها ونحوه وقيل: معناه تلبس ثوبا رقيقا يصف لون بدنها – **مُمِيلَاتٌ** – أي يعلمن غيرهن الميل وقيل: مميلات لأكتافهن – **مَائِلَاتٌ** – أي يمشين متبخترات وهي مشية البغايا– **رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا**»(٢) .

فتبرج المرأة له مفاسد كثيرة على الفرد والمجتمع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر مايلى: إحداث الفتنة ، وزوال الحياء عن المرأة وبزوال الحياء عن المرأة ينقص إيمانها ، وافتتان الرجال بها لاسيما إذا كانت جميلة وحصل منها ضحك ومداعبة ، واختلاط النساء بالرجال ، وضياع الأمن والأمان بسبب اندفاع الشباب للحصول على شهواتهم المحرمة مع هؤلاء النساء المتبرجات بأى وسيلة فقد يدفعون لاغتصابهم وقتلهم وقتل من يتعرض لهم ، وغضب الله

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ٣٣٨ .
(٢) (صحيح) أخرجه مسلم ٢١٢٨ .

تعالى على العباد وارتفاع نصرة الله عنهم .

إخوتي في الله ، لا يجوز للمرأة أن تنظر إلى الرجال الأجانب حتى ولو كانت صورا لهم أو من خلال أفلام الفيديو أو التلفاز فلا يجوز النظر إليهم .

ولا يجوز للمرأة أن تدخل عليها من ليس من محارمها سواء كان من أقارب الزوج أو من أقاربها أو أحدا آخرا طالما لا يوجد معها أحد محارمها من الرجال ولم تستدعِ الضرورة إدخاله .

ويقول الأستاذ محمد السيد عبده عبد الرازق: هذه صحفية أمريكية تدعى (هيلسيان ستانسبري) بعد أن أمضت في القاهرة عدة أسابيع ، ثم عادت إلى بلادها ، تقول: " إن المجتمع العربي كاملٌ وسليمٌ ، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليدِهِ التي تُقَيِّدُ الفتاة والشاب في حدود المعقول ، وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبي والأمريكي ، فعندكم أخلاقٌ موروثةٌ تحتِّم تقييد المرأة ، وتُحتِّم احترام الأب والأم ، وتُحَتِّم أكثر من ذلك عدم الإباحية الغربية ؛ التي تهدم اليوم المجتمع والأسرة في أوروبا وأمريكا . . . امنعوا الاختلاط وقيّدوا حرية الفتاة ، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب ، فهذا خيرٌ لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأمريكا ، لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعاً معقداً مليئاً بكلِّ صور الإباحية والخلاعة . . وإن ضحايا الاختلاط والحرية يملؤون السجون والأرصفة والبارات والبيوت السرية ، إن الحرية التي أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا الصغار قد جعلت منهم عصابات أحداث وعصابات للمخدارت والرقيق ، تقول الكاتبةُ (آرنون): " لأن يشتغل بناتنا في البيوت خوادمَ خيرٌ وأخفُّ بلاءً من اشتغالهن بالمعامل ، حيثُ تصبحُ المرأة ملوثةً بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد ، ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهارة ".

ولقد أمر الله تعالى المؤمنات بغض البصر وإرتداء الحجاب الشرعي في سورة النور ، قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا

يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٣١)﴾ [النور:٣١] .

المعنى: فالله تعالى يأمر المؤمنات أن يغضضن من أبصارهن عمَّا لا يحلُّ لهن من العورات ، ويحفظن فروجهن عمَّا حَرَّم الله ، ولا يُظهرن زينتهن للرجال ، بل يجتهدن في إخفائها إلا الثياب الظاهرة التي جرت العادة بلُبْسها ، إذا لم يكن في ذلك ما يدعو إلى الفتنة بها ، وليلقين بأغطية رؤوسهن على فتحات صدورهن مغطيات وجوههن ؛ ليكمل سترهن ، ولا يُظْهِرْنَ الزينة الخفية إلا لأزواجهن ؛ إذ يرون منهن ما لا يرى غيرهم . وبعضها ، كالوجه ، والعنق ، واليدين ، والساعدين يباح رؤيته للأصناف المذكورة في الآية ، ولا يضرب النساء عند سَيْرهن بأرجلهن لِيُسْمِعْن صوت ما خفي من زينتهن كالخلخال ونحوه ، وارجعوا - أيها المؤمنون - إلى طاعة الله فيما أمركم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الحميدة ، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة ؛ رجاء أن تفوزوا بخيري الدنيا والآخرة .

أما العجائز من النساء اللائي لا يطمعن في الرجال للزواج فهؤلاء لا حرج عليهن أن يضعن بعض ثيابهن ، ولُبْسهن الحجاب أحسن لهن قال تعالى: ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ(٦٠)﴾ [النور:٦٠] .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

❊ ❊ ❊

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٦٨ - الرد على شبهة عدم المساواة بين الرجل والمرأة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، جاء في كتاب (المرأة وكيد الأعداء) للدكتور عبد الله بن وكيّل الشيخ: أن من أكثر الشبهات التي يرددها المستشرقون حول عدم المساواة بين الرجل والمرأة وبادئ ذي بدء أقول:

أولا: إن طلب المساواة يتنافى مع فطرة الله التي فطر الجنسين عليها ، إن الجنس الواحد رجلاً أو امرأة لا يمكن أن يطلب أحدٌ المساواة بين أفراده كافة ، بل إنَّ الحياة كلها تفسد لو أريد مثل هذه المساواة ، بل إن هذه الحياة قائمة على التميز والتباين فإذا كان لا يمكن المساواة بين جنس الرجال فكيف بين جنس الرجال والنساء؟!

ثانيا: إننا بجانب رفضنا لمبدأ المساواة المطلق ، نعتقد أن هناك قدراً من المساواة بين الرجل والمرأة ، والذي ينبغي أن يطلق عليه بأنه عَدْلٌ وليس بمساواة.

أ – فالمرأة تساوي الرجل في أصل التكليف بالأحكام الشرعية مع بعض الاختلاف في بعض الأحكام التفصيلية .

ب – والمرأةُ تساوي الرجل في الثواب والعقاب الدنيوي والأخروي في الجملة ، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٧١] .

ج – والمرأة تساوي الرجل في الأخذ بحقها ، وسماع القاضي لها ، والمرأة كالرجل في تملكها لمالها ، وتصرُّفها فيه .

د – وهي كالرجل في حرية اختيار الزوج ، فلا تكره على ما لا تريد .

ثالثا: إن مما يميز الإسلام أنه يحتفظ الرجل برُجُولته ، ومن أجل هذا حُرِّم عليه الذهب والحرير ، وأن تبقى المرأة محتفظة بأنوثتها ، ومن أجل ذلك حُرِّم عليها الاختلاط بالرجال ، والتَّبَذُّلُ أمامهم ، وغشيان تجمعاتهم.

رابعا: إن المساواة المزعومة التي يتشدق بها هؤلاء الأفاكون لم تجن المرأة من ورائها إلا الضياع والخسران ، وواقعهم أصدق دليل على هذا .

تؤكد آخر الإحصائيات عن أحوال المرأة في العالم الغربي أنها تعيش أتعس فترات حياتها المعنوية على رغم البهرجة المحيطة بحياة المرأة الغربية التي يعتقد بعض الناس أنها نالت حريتها ، والمقصود من ذلك هو النجاح الذي حققه الرجل في دفعها إلى مهاوي ممارسة الجنس معه من دون عقد زواج يتوج مشاعرها ببناء أسرة فاضلة .

إخوتي في الله ، لقد عمل الإسلام على صيانة المرأة وحمايتها في جميع أحوالها وأوضاعها ، فهي إن كانت أماً: فقد قرنَ الله حقَّها بحقّه ، فقال: ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانا** ﴾ [الإسراء:٢٣] ، وأي تكريم أعظم من أن يُقْرِن الله حقها بحقه ، وجعلها الرسول ﷺ أحقَّ الناس بحسن الصحبة وإسداء المعروف ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**» ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أُمُّكَ**» ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أُمُّكَ**» ، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَبُوكَ**» [(١)] .

والإحسان إليهما مقدم على جهاد التطوع ما لم يتعين الجهاد ، فَعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: جِئْتُ أُبَايِعُكَ عَلَى

---

(١) **(صحيح)** أخرجه البخاري ٥٩٧١ و مسلم ٢٥٤٨ واللفظ للبخاري .

الْهِجْرَةِ وَتَرَكْتُ أَبَوَيَّ يَبْكِيَانِ فَقَالَ: «**ارْجِعْ عَلَيْهِمَا فَأَضْحِكْهُمَا كَمَا أَبْكَيْتَهُمَا**»[١] .

وهي إن كانت بنتاً: فحقها كحق أخيها في المعاملة الرحيمة ، والعطف الأبويِّ ؛ تحقيقاً لمبدأ العدالة ، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الله يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ**﴾ [النحل:٩٠] ، وهاهو رسولُ الهدى ﷺ ، يُعدّ من كبائر الذنوب تلك اليد التي تمتد للطفلة البريئة فتواريها في التراب ، فَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُرَحْبِيلَ عَنْ عَبْدِ الله قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ لله نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»قَالَ: فَقُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَكَ**» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**أَنْ تُزَانِيَ حَلِيلَةَ جَارِكَ**» قَالَ: وَأَنْزَلَ الله تَعَالَى تَصْدِيقَ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿**وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ الله إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ**﴾ [٢] ، ويرغِّب النبي ﷺ في الإحسان إليهن ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ وَضَمَّ أَصَابِعَهُ**» [٣] ، وللزوجة على زوجها حقوقٌ يحميها الشرع ، وينفذها القضاء عند التَّشاجر ، وليست تلك الحقوق موكولةً إلى ضمير الزوج فحسب وليس المقام مقام بسطها ، وإنما هذا قليل من كثير:

١ - **المهر**، وهو عطيَّةٌ محضةٌ فرضها الله للمرأة من زوجها ، قال تعالى: ﴿**وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئا**﴾ [النساء:٤] .

٢ - **النفقة عليها بالمعروف**، ﴿**وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**﴾ [البقرة:٢٣٣] .

٣ - **المسكن والملبس**، قال تعالى: ﴿**أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ**﴾ [الطلاق:٦] ، وبجانب هذه الحقوق المادية لها حقوقٌ معنوية منها:

---

(١) (صحيح) أخرجه أبو داود ٢٥٢٨ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ٢٤٨١ .

(٢) (صحيح) أخرجه أبو داود ٢٣١٠ وصححه الألباني في صت ٢٤٠٣

(٣) (صحيح) أخرجه مسلم ٢٦٣١ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

١ – **حرية اختيار الزوج**، فليس لأبيها أن يُكْرِهَهَا على ما لا تريد ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا تُنْكَحُ الْبِكْرُ حَتَّى تُسْتَأْذَنَ وَلَا الثَّيِّبُ حَتَّى تُسْتَأْمَرَ**» ، قِيلَ يَا رَسُولَ الله كَيْفَ إِذْنُهَا؟ قَالَ: «**إِذَا سَكَتَتْ**»[(١)] .

٢ – **ويجب على زوجها أن يعلمها أصول دينها**، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾ ، [التحريم:٦] .

٣ – **أن يغار عليها ويصونها من العيون الشريرة، والنفوس الشرهة** ، فلا يوردها مشارع الفساد ، ولا يغشى بها دُور اللهو والخلاعة ، ولا ينزع حجابها بحجة المدنية والتطور .

٤ – **المعاشرة بالمعروف والإحسان**، فلا يَسْتفزُّه بعضُ خطئها ، أو يُنْسيه بعضُ إساءتها: ﴿**وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ الله فِيهِ خَيْراً كَثِيراً**﴾ [النساء:١٩] فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**» [(٢)] .

وهي إن لم تكن أماً ولا بنتاً ولا زوجة: فهي من عموم المسلمين ، يُبْذل لها من المعروف والإحسان ما يُبذل لكل مؤمن ، ولها على المسلمين من الحقوق ما يجب للرجال .

هذه لمحة سريعة عن صور من إكرام الإسلام للمرأة ، لا يمكن أن توجد في أي مجتمع من المجتمعات بدون الإسلام ، بل الأعداء الذين جاؤوا إلى بلاد المسلمين قد أقرُّوا بأنه لا يوجدُ دينٌ أكرم المرأةَ كما أكرمها الإسلام ، ولا شريعةٌ أعزَّت المرأة وأعطتها كامل حقوقها كما فعل الإسلام .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

---

(١) **(صحيح)** أخرجه البخاري ٦٩٦٨ .
(٢) **(صحيح)** أخرجه مسلم ١٤٦٩ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٦٩ - الرد على شبهة ظلم الإسلام للمرأة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، ادعى بعض المستشرقين أن الإسلام ظلم المرأة ، فسمح للرجل أن يضرب امرأته ، وظلم المرأة بتعريضها للطلاق ، ولم يساو بين الرجل والمرأة في الميراث ، وجعل شهادة الرجل بشهادة امرأتين .

أحبتي في اللهخ ، بخصوص مسألة الضرب خاصة ضرب الزوج لزوجته وقد جاءت بها الشريعة بضوابطها وشروطها قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ الله بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ الله وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ الله كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً﴾ [النساء:٣٤] .

والمعنى الشرعي للنشوز هو خروج المرأة عن طاعة زوجها ، ورفضها له ، وإظهار بغضها له ، وارتفاعها بالكلام عليه ، ورفضه في الفراش ، ولقد بين الله تبارك وتعالى طرق التعامل مع نشوز المرأة بغير وجه حق .

المرتبة الأولى: الوعظ ، فالوعظ يحمل معنى الرفق واللين والشفقة والحنان والنصح وإظهار المودة والتذكير بعواقب الأمور ، ومعرفة أسباب النشوز ومحاولة إيجاد حلول لها

المرتبة الثانية: الهجر في المضجع ، وهذه المرتبة تكون حين لم تنفع الأولى ، في هذا الحين يلجأ الزوج إلى ترك جماع زوجته ويوليها ظهره في مضجعها .

المرتبة الثالثة: الضرب غير المبرح ، وهذه المرتبة لا يلجأ إليها إلاَّ إذا تيقن الزوج من فائدتها مع زوجته ، وإلا فلا يلجأ إليه ، والضرب يكون للتأديب

للانتقام ، ولا يكون مبرحا ، بمعنى أن لا يترك عاهة في جسدها ، وألا يكسر عظما ، ولا يسيل دما ، وأن يؤلم ؛ وإلا ما الفائدة منه؟! فالقصد من الضرب هو التقويم ولا يكون إلا إذا أحدث ألمًا . وإذا أحدث عاهة أو جرحا أو كسر عظما فعليه دية ذلك ، وإذا ضرب الرجل زوجته فعليه أن يتجنب الوجه: وَعَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: «**أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ أَوْ اكْتَسَبْتَ، وَلا تَضْرِبْ الْوَجْهَ، وَلا تُقَبِّحْ، وَلا تَهْجُرْ إِلا فِي الْبَيْتِ**» (١)

المرحلة الرابعة : فإذا أصرت المرأة على الشقاق والنشوز تبدأ مرحلة الإصلاح قال تعالى: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلاحاً يُوَفِّقِ الله بَيْنَهُمَا إِنَّ الله كَانَ عَلِيماً خَبِيراً**﴾[النساء:٣٥]

ولابد أن يكون الحكمان عاقلين يتصفان بالحكمة ، ولهما يد على كلا الطرفين . ويتوسم فيهما الصلاح ، وإذا فشلت كل المحاولات السابقة في حل المشكلة وقد أصرت المرأة على ذلك تأتي مرحلة الطلاق ، قال تعالى: ﴿**الطَّلاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئاً إِلا أَنْ يَخَافَا أَلا يُقِيمَا حُدُودَ الله فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا يُقِيمَا حُدُودَ الله فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ الله فَلا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [البقرة:٢٢٩] .

وروى البخاري عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ امْرَأَةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ مَا أَعْتِبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلَا دِينٍ ؛ وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ فِي الإسلام فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟**» قَالَتْ: نَعَمْ ،قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**اقْبَلْ الْحَدِيقَةَ وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً**» (٢) اهـ .

وجاء في (مجلة البيان): ومع ذلك اتخذ أعداء الإسلام من إباحة الإسلام

---

(١) (صحيح) أخرجه أبو داود ٢١٤٢ وصححه الألباني في صحيح الترغيب ١٩٢٩ .
(٢) (صحيح) أخرجه البخاري ٥٢٧٣ .

للطلاق منطلقاً للتهجم عليه ، وزعموا أن في ذلك إهانة لكرامة المرأة وسبباً في تشرد الأولاد . وللرد على ذلك نشير إلى عدة أمور:

١ – إذا لم تنجح الطرق السابقة في حل المشاكل الزوجية فإن الطلاق هو الحل الأخير قال تعالى ﴿وإن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ الله كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ﴾ [النساء: ٣٠] .

ومع ذلك ترك الإسلام للرجل والمرأة فرصة للتفكير ؛ فشرع الطلاق الرجعي ليستطيع الرجل أن يراجع فيه امرأته بدون مهر أو عقد جديد إذا كانت لازالت في عدتها ، أليس هذا من التكريم الذي جعله الله للمرأة في الإسلام . فلقد جاء الإسلام فرفع مكانة المرأة ، وأكرمها بما لم يكرمها به دين سواه ، حيث أثبت لها حقوقها المسلوبة في الإرث والنفقة . .إلخ .

٢ – الإسلام حينما أباح الطلاق إنما وافق بذلك الفطرة السليمة ولنا أن نتصور كيف تكون الحال لو أن الطلاق ممنوع أو محرم ، إن الحياة بين هذين الزوجين ستكون جحيماً لا يطاق .

٣ – حينما يقع الطلاق مع وجود الأولاد كفل الإسلام الحياة الكريمة للأولاد – في رعاية أحد الأبوين – وأوجب النفقة على الأب ، بل أوجب الإسلام على الأب إعطاء الأم أجراً حتى على إرضاع ولدها . يقول تعالى: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ [الطلاق: ٦] .

معاشر الإخوة ، بخصوص مسألة تنصيف ميراث المرأة ؛ فالمرأة لا تحصل على نصف نصيب الرجل إلا إذا كانا متساويين في الدرجة والسبب الذي يتصل به كل منهما إلى الميت مثل الابن والبنت وكذلك الأخ والأخت ، يكون نصيب الرجل هنا ضعف نصيب المرأة . جاء في القرآن الكريم: ﴿يُوصِيكُمُ الله فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] ، وحكمته أن الرجل تقع

على كاهله إعالة الأسرة بما فيها البنات ، فكان ذلك متمشياً تماماً مع تلك المسؤولية والعبء المالي المناط على عاتق الرجل .

الإخوة الأعزاء ، بخصوص أن الإسلام جعل الشهادة التي تثبت الحقوق شهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين ، وذلك في قوله تعالى في آية الدين: ﴿ وَاسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ من رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاء أَن تَضِلَّ إْحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾ [البقرة: ٢٨٢] ، قال الدكتور مصطفى السباعي : شهادة المرأة في المعاملات المالية بين الناس لا يقع إلا نادراً ، للزومها بيتها في الغالب ، ولذلك فهو عادة لا تحرص على تذكره حين مشاهدته بل تمر به عابرة لا تلقي له بالاً ، فإذا جاءت تشهد به كان أمام القاضي احتمال نسيانها أو خطأها ووهمها ، فاذا شهدت امرأة أخرى بمثل ما تشهد به زال احتمال النسيان والخطأ ، ومع هذا فإن الشريعة قبلت شهادتها وحدها فيما لا يطلع عليه غيرها ، أو ما تطلع عليه دون الرجال غالباً ، فقد قرروا أن شهادتها وحدها تقبل في إثبات الولادة ، وفي الثيوبة والبكارة ، وفي العيوب الجنسية لدى المرأة وهذا حين كان لا يتولى توليد النساء وتطبيبهن والاطلاع على عيوبهن الجنسية إلا النساء في العصور الماضية أ .هـ .

وأخيرا يكفي إزاء المزاعم المكذوبة عن وضع المرأة في الإسلام أن نتأمل الشهادة المنصفة للمفكر الفرنسي مارسيل بوازار في كتابه " إنسانية الإسلام ": " أثبتت التعاليم القرآنية وتعاليم محمد أنها حامية حمى حقوق المرأة (٢٠) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٧٠ - الرد على من ادعى بشاعة الحدود الإسلامية

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد . .

أحبتي في الله ، جاء في كتاب (سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين) للدكتور حكمت بن بشر أن إقامة الحدود الشرعية لا تنفد إلا بنطاق ضيق محدود ، فقد يظن بعض الناس أن إقامة الحدود في الإسلام كإقامة الصلاة في كثرتها ، والحق أن أحكام الشريعة الإسلامية تعد بالمئات لكن عدد الحدود التي تقام هي سبعة: الحرابة قطع الطريق ، والردة ، والبغي ، والزنا ، والقذف ، والسرقة ، وشرب الخمر ، وإذا نفذت فإنه لا يمكن ذلك إلا بعد مراحل وشروط وذلك بعد التأكد من وقوع الجريمة وإقامة الحجة على الجاني كالاعتراف أو الشهادة عليه ، وقد يصل عددهم إلى أربعة شهود في جريمة الزنا ، ويشترط فيهم العدالة وعدم التهمة مما يدل على التحري والتثبت والاحتياط بهذا العدد الذي انفرد عن بقية الجرائم الأخرى .

والحكمة في ذلك أن الله تعالى يحب الستر ، كما أن جريمة الزنا لا تقع إلا من اثنين فكأن كل شاهدين يشهدان على أحدهما .

فعلى سبيل المثال على قلة تنفيذ الحد لهذه الجريمة فإنه منذ أن نزل حد الزنا لم نسمع في تاريخ أمة الإسلام أن أُقيم حد الزنا بتوافر أربعة شهود ، وكذلك لم تحد امرأة حتى لو تمت عليها الشهادة كما في الملاعنة إذا لم تقر بهذه الجريمة فقد ثبت أن النبي ﷺ لم يقم الحد على المرأة في قصة الملاعنة وذلك: فَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ هِلاَلَ بْنَ أُمَيَّةَ قَذَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ بِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**الْبَيِّنَةَ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ**» فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلاً يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيِّنَةَ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**الْبَيِّنَةَ وَإِلَّا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ**» ، فَقَالَ

هِلاَلٌ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَصَادِقٌ فَلَيُنْزِلَنَّ اللهُ مَا يُبَرِّئُ ظَهْرِي مِنْ الْحَدِّ، فَنزَلَ جِبْرِيلُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاء إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾[النور:٦] ، فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَجَاءَ هِلاَلٌ فَشَهِدَ وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ**» ثُمَّ قَامَتْ فَشَهِدَتْ فَلَمَّا كَانَتْ عِنْدَ الْخَامِسَةِ وَقَّفُوهَا وَقَالُوا إِنَّهَا مُوجِبَةٌ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَلَكَّأَتْ وَنَكَصَتْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرْجِعُ ثُمَّ قَالَتْ: لاَ أَفْضَحُ قَوْمِي سَائِرَ الْيَوْمِ فَمَضَتْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «**أَبْصِرُوهَا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ سَابِغَ الْأَلْيَتَيْنِ خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ فَهُوَ لِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ**» فَجَاءَتْ بِهِ كَذَلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَوْلاَ مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ [١] .

إنه تسامح الإسلام ونبي الإسلام ، وحتى لو ثبتت جريمة الزنا بالاعتراف وأقيم حد الرجم فإن هذا الزاني الذي يرجم لو طلب منهم التوقف عن ذلك لإدلاء ما عنده ما يدفع عنه فينبغي أن يوقف الرجم ويُسمع منه هل ما يقوله يعتد به أم لا؟

وقد صح أن ماعز بن مالك فرّ حين وجد مسّ الحجارة ومسّ الموت فقال رسول الله ﷺ : «**هَلَّا تَرَكْتُمُوهُ لَعَلَّهُ أَنْ يَتُوبَ، فَيَتُوبَ اللهُ عَلَيْهِ؟** » [٢] .

أما المرأة التي تزني وهي حامل فإنه إن ثبت ذلك ووصل الأمر إلى السلطان فإنه لا يقام عليها الحد إلا بعد أن تضع وليدها وترضعه أو يتكفل غيرها إرضاعه فإنه حينذاك يقام عليها الحد فيكون لها توبة وطهارة ، والأصل قبل الحد الستر عليه ، وذلك عند شرب الخمر أو عندما يرى الزنى فالقاعدة حديث رسول الله ﷺ : «**مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فِي الدُّنْيَا سَتَرَهُ اللهُ يَومَ الْقِيَامَةِ**» [٣]

---

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٤٧٤٧ .
(٢) (صحيح) أخرجه أبو داود ٤٤١٩ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٠٤٢ .
(٣) (صحيح) أخرجه أحمد ١٦٥٩٦ وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٢٨٧ .

وهذه القاعدة ذروة السماحة .

وإقامة الحدود لا بد أن تكون مقيّدة بالقضاء والسلطان فإذا وصل أمره إلى السلطان فإنه ينظر في إثبات الجريمة: فإذا كان الحاكم لم تتوافر لديه الإثباتات فإنه لا يقيم الحد بل يدرأ الحد بالشبهات كما في قصة الملاعنة المتقدمة .

أما من شهد على أحد بالزنا فإنه لا يكفي إلا بأربعة شهود ، أو اعتراف الشخص على نفسه بالزنا أربعة مرات فإن شهد أقل من ذلك فإنه يقام عليهم حد القذف ، ففي رواية مسلم قال: جَاءَ مَاعِزُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ الله: طَهِّرْنِي فَقَالَ: **وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ الله وَتُبْ إِلَيْهِ** قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله طَهِّرْنِي فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : **وَيْحَكَ ارْجِعْ فَاسْتَغْفِرْ الله وَتُبْ إِلَيْهِ** قَالَ: فَرَجَعَ غَيْرَ بَعِيدٍ ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله طَهِّرْنِي فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ الرَّابِعَةُ قَالَ لَهُ رَسُولُ الله: **فِيمَ أُطَهِّرُكَ**؟ فَقَالَ: مِنْ الزِّنَى . .[(١)] .

ويستفاد من الحديث أنه لا يمكن إقامة الحد إلا بعد الاعتراف أربع مرات تعادل أربعة شهود ، وأن الإمام يتأكد من سلامة عقل المعترف ، وفيه أيضًا السماحة بقوله: ارجع فاستغفر الله وتب إليه .

وبعد ذلك نرى سماحة الإسلام في دفع الدعوى وحق الدفاع عن النفس ، فللمدعى عليه أن يدافع عن نفسه ، ومن هذا المفهوم عرف بعض الفقهاء "دفع الدعوى" بأنه دعوى من قبل المدعى عليه أو ممن ينتصب المدعى عليه خصمًا عنه يقصد بها دفع الخصومة عنه أو إبطال دعوى المدعي .

وقد راعى الإسلام عدم إقامة الحدود في حالات الضرورة في حالة الإكراه والجوع والفقر ، فالمكره على الزنا لا يقام عليه الحد ، وكذلك حد السرقة في المجاعة كعام الرمادة في زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

---

(١) (صحيح) أخرجه مسلم ١٦٩٥ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

وقد درس الدكتور وهبة الزحيلي حالات الضرورة وهي: وتوصل إلى أربع عشرة حالة وهي : ضرورة الغذاء (الجوع أو العطش) والدواء ، والإكراه ، والنسيان ، والجهل ، والعسر أو الحرج وعموم البلوى ، والسفر ، والمرض ، والنقص الطبيعي ، وهذا من عظمة هذا الدين أن يراعي هذه الحالات وما فيها من السماحة والعفو والتوسيع على الناس وعدم التضييق والتشديد (٢٩) .

وقال الشيخ سعيد بن مسفر: جاءت الشرائع كلها وفي نهايتها الشرع الإسلامي بحفظ الكليات الخمس لصالح العباد: الدين ، العقل ، المال ، النفس ، العرض ، فحفظ الدين بقتل المرتد: «**مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ**»(١) ، وحفظ الله العقل بتحريم الخمور ، وحفظ الله المال بقطع يد السارق ، وحفظ الله الأنفس بقتل القاتل ، وحفظ الله الأعراض برجم الزاني أو جلده إن كان بكراً ، كل هذه أوامر الله ، لولا تقييم الشرائع والشريعة الإسلامية لهذه الأحكام لضاعت أديان العباد وأموالهم وأعراضهم ، وضاعت أنفس العباد وعقولهم ، وإذا ضاعت هذه الكليات هل يبقى حياة؟ تصبح الحياة حياة بهائم ، شريعة الغاب ، فما من شيء أَمر الله به أو نهى الله عنه إلا وفيه مصلحة ، يعرفها الإنسان وقد لا يعرفها ، لكن بالتدبر والتأمل ، ألا تسمع قول الله تبارك وتعالى: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ**﴾ [النور:٣٠] (٦٦) .

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك)

* * *

(١) (صحيح) أخرجه البخاري ٣٠١٧ .

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

بيان بإصدارات كتب الحديث المستخدمة

١- صحيح البخاري ، لمحمد إسماعيل البخاري ، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى ، ١٤٢٢هـ ، عدد الأجزاء: ٩.

٢- صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج النيسابوري ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت عدد الأجزاء: ٥ .

٣- سنن أبي داود ، لأبي داود السِّجِسْتاني ، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر: المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، عدد الأجزاء: ٤ .

٤- سنن الترمذي ، لمحمد بن عيسى الترمذي ،تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر (جـ ١ ، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) ، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤ ، ٥) الناشر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، الطبعة: الثانية ، عدد الأجزاء: ٥ أجزاء .

٥- السنن الصغرى للنسائي ، لأحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب ، الطبعة: الثانية ، عدد الأجزاء: ٨.

٦- سنن ابن ماجه ، لأبي عبد الله بن ماجه القزويني ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار إحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي ، عدد الأجزاء: ٢.

٧- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المحقق: شعيب الأرنؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى .

٨- المستدرك على الصحيحين ، للحاكم النيسابوري تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى ، عدد الأجزاء: ٤.

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

٩- صحيح ابن حبان ، لمحمد بن حبان التميمي ، حققه: شعيب الأرنؤوط ، الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة: الأولى ، عدد الأجزاء: ١٨ (١٧ جزء ومجلد فهارس) .

١٠- المعجم الكبير ،لأبي القاسم الطبراني ، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي ، دار النشر: مكتبة ابن تيمية– القاهرة ،الطبعة: الثانية ، عدد الأجزاء:٢٥ .

١١- المعجم الأوسط ، لأبي القاسم الطبراني ، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، الناشر: دار الحرمين – القاهرة ، عدد الأجزاء: ١٠.

١٢- المعجم الصغير ، لأبي القاسم الطبراني المحقق: محمد شكور محمود الحاج أمرير ، الناشر: المكتب الإسلامي ، دار عمار- بيروت ، عمان ، الطبعة: الأولى ، عدد الأجزاء: ٢ .

١٣- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار ، لأبي بكر العتكي المعروف بالبزار ، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله ، وغيره ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة ، الطبعة: الأولى ، عدد الأجزاء: ١٨.

١٤- الأدب المفرد ،لمحمد إسماعيل البخاري ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت ، الطبعة: الثالثة ، عدد الأجزاء: ١ .

١٥-حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم مهران الأصبهاني ، الناشر: السعادة- بجوار محافظة مصر ، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م ، عدد الأجزاء:١٠

١٦- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي ، عدد الأجزاء: ١.

١٧- مشكاة المصابيح لمحمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، الناشر: المكتب

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

الإسلامي – بيروت ، الطبعة: الثالثة ، تحقيق: تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، عدد الأجزاء: ٣ .

١٨- صحيح الترغيب والترهيب ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض ، الطبعة: الخامسة ، عدد الأجزاء: ٣ .

١٩- السلسلة الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض ، عدد الأجزاء: ٧ .

٢٠- صحيح السيرة النبوية ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتبة الإسلامية- عمان – الأردن ، الطبعة: الأولى ، عدد الأجزاء: ١ .

٢١- شرح العقيدة الطحاوية ، لابن أبي العز الحنفي ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي بيروت ، الطبعة: الثانية ،عدد الأجزاء: ١ .

٢٢- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ، لمحمد ناصر الدين الألباني الناشر: المكتب الإسلاميب بيروت ، الطبعة: الثالثة ، عدد الأجزاء: ١

٢٣- مختصر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: المكتب الإسلامي- بيروت ، الطبعة: الثانية ،عدد الأجزاء : جزء واحد .

٢٤- صحيح أبي داود ، لمحمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع ، الكويت ، عدد الأجزاء: ٧ أجزاء ، الطبعة: الأولى .

٢٥- صحيح الأدب المفرد ، للإمام البخاري ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع ، الطبعة: الرابعة ، عدد الأجزاء: جزء واحد .

نوع الأحاديث المدرجة في كتاب هذا هو الإسلام الذي قالوا عنه:

لم يدرج في هذا الكتاب إلا الأحاديث الصحيحة لذاتها ، أو لغيرها ، أو الحسنة لذاتها ، أو لغيرها ، وكذا الحسن الصحيح ، ومصدر الأحاديث المدرجة

في هذا الكتاب: صحيحا البخاري ومسلم ، أو مما صححه أوحسنه العالم الجليل محمد بن ناصر الدين الألباني من السنن والمسانيد والمعاجم . . إلخ ، وأدرجت معنى مفردات الحديث داخل متن الحديث بعد كلمة(أي) مثال ذلك: **حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ**- أي: موحدين لا يشركون بالله شيئا- (باللون الأحمر) وبينت أقوال الرسول ﷺ ، أو جبريل عليه السلام ، بالسميك بين علامتين تنصيص بخط لوتس ، مثال: « **مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**» ، وأحيانا أدرج بعض كلامي للإيضاح والبيان في الحديث باللون الأحمر .

* * *

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

بيان بالمراجع والمصادر المستخدمة

من أجل الإيجاز استخدمت أرقاما لتشير للمصدر المنقول منه الكلام وهذه الأرقام مدونة في جدول: **أرقام المراجع والمصادر المختلفة المستخدمة في الكتاب،** حيث يوضع رقم المصدر في آخر الكلام المنقول منه ، علما بأنه تم إختصار كل ما هو ليس بحديث أو آية وصولا للفائدة بأقصر الطرق إن شاء الله تعالى ، مثال للتوضيح: (٥٩) هذا يعني أن هذا النص منقول بالمعنى من دروس الشيخ علي عبد الخالق القرني .

وأحيانا أستخدم اهـ بعد قول أحد الأئمة أو العلماء أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية أو الإمام ابن القيم . . إلخ ، وهذا يشير إلى إنتهاء كلام هذا الإمام أو العالم أو الشيخ وما بعده هو من كلامي إذا لم يذكر خلاف ذلك بإدراج رقم أحد المراجع .

أرقام المراجع والمصادر المختلفة المستخدمة في الكتاب:

المصدر	الرقم
الإسلام وأحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١ لزبير سلطان قدوري	١
أبحاث المؤتمر العالمي الثالث للاقتصاد الإسلامي بجامعة أم القرى.	٢
أثر العلم الشرعي في مواجهة العنف والعدوان للدكتور الفوزان.	٣
الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق السعيدة للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد	٤
الإسلام شريعة الزمان والمكان للأستاذ عبد الله ناصح علوان	٥
أصول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان	٦
أصول مذهب الشيعة الإثنى عشرية للدكتور القفاري	٧
إغاثة اللهفان لابن القيم	٨
أمة الإسلام لن تموت للدكتور راغب السرجاني	٩

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام	١٠
البداية والنهاية لابن كثير	١١
تاريخ الطبري	١٢
تاريخ أهل الذمة في العراق	١٣
التربية الذاتية من الكتاب والسنة للدكتور هاشم علي الأهدل	١٤
تعريف غير المسلمين بالإسلام للأستاذ محمد إبراهيم الحمد	١٥
التقوى الدرة المفقودة والغاية المنشودة للدكتور أحمد فريد	١٦
تهذيب الداء والدواء الشيخ محمد الهبدان	١٧
تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية أ.د عبد الله عبد العزيز الجبرين	١٨
الجامع في الرسائل الدعوية جمع وترتيب علي بن نايف الشحوذ	١٩
الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، علي نايف الشحوذ	٢٠
حضارة العرب غوستاف لوبون	٢١
الحقوق الإسلامية للشيخ محمد حسان	٢٢
حقيقة التوحيد للشيخ محمد حسان	٢٣
حلية الأولياء للأصبهاني	٢٤
الدعوة إلى الإسلام توماس آرنولد	٢٥
الرحيق المختوم للمباركفاروري	٢٦
زاد المسلم اليومي من العلم الشرعي	٢٧
زوجات النبي للشيخ سعيد أيوب	٢٨
سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين للدكتور حكمت بن بشر	٢٩
سماحة الإسلام في معاملة غير المسلمين للدكتور عبد الله اللحيان	٣٠
السيرة النبوية لابن هشام	٣١
السيرة النبوية للصلابي	٣٢

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

شرح العقيدة الطحاوية لأبي العز الحنفي	٣٣
شرح العقيدة الواسطية للعثيمين	٣٤
الشريعة للآجري	٣٥
شمس الإسلام تسطع عن قرب زيغريد هونكه	٣٦
صفة الصفوة لابن الجوزي	٣٧
صور من حياة التابعين للدكتور عبد الرحمن الباشا	٣٨
طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة	٣٩
الطبقات الكبرى لابن سعد	٤٠
عمر بن عبد العزيز للدكتور الصلابي	٤١
العنف ضد المرأة للأستاذ حسام الدين الطرفاوي	٤٢
فتح البلاد للبلاذري	٤٣
فتوح الشام للواقدي	٤٤
الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى لسعيد بن علي بن وهف القحطاني	٤٥
قصة الحضارة ول ديورانت	٤٦
الكبائر للإمام الذهبي	٤٧
كتاب الأخلاق في الإسلام	٤٨
كتاب التوابين للإمام المقدسي	٤٩
لا سكوت بعد اليوم بولي فندلي	٥٠
مجلة المجتمع الكويتية العدد ٦٦١	٥١
مجموع الفتاوى لابن تيمية	٥٢
من دروس الدكتور عبد الرحمن السديس	٥٣
من دروس الشيخ إبراهيم الدويش	٥٤
من دروس الشيخ أبي إسحاق الحويني	٥٥

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

❊ ❊ ❊

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

الفهـرس

هـذا هـو الإسـلام

الفهرس

للوصول للفهرس اضغط علىCtrl+ End ، وللوصول لأي عنوان اضغط على الزر الأيسر للماوس على العنوان المطلوب في الفهرس، وبواسطة Page Up, Page Down أو عجلة الماوس تنقل بين الصفحات

❊ ❊ ❊